د. مهنّد مصطفى

بنيامين نتنياهو

إعادة إنتاج المشروع الصهيونيّ
ضمن منظومة صراع الحضارات

مهند مصطفى

حاصل على إجازة الدكتوراه من مدرسة العلوم السياسية في جامعة حيفا عام 2012. كان باحثا زائرا في مركز الدراسات الإسلامية في جامعة كامبردج 2013-2014، وفي المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية في الدوحة. يشغل حاليا منصب مدير عام مدى الكرمل: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية في حيفا، ومحاضرا في برنامج ماجستير الدراسات الإسرائيلة في جامعة بيرزيت. وهو محاضر مشارك في الكلية الأكاديمية بيت بيرل، ورئيس قسم التاريخ في المعهد العربي للتربية في كلية بيت بيرل.

صدر للكاتب عشرات الأبحاث والدراسات والمقالات والكتب في اللغات الإنجليزية، العربية والعبرية. منها كتاب المؤسسة الاكاديمية الإسرائيلية: المعرفة، السياسة والاقتصاد عن مركز مدار في رام الله. صدر له مؤخرا كتابين، الأول عن منشورات جامعة كامبردج بعنوان:

Palestinians in Israel:
The politics of faith after Oslo

وكتاب جديد صادر عن منشورات راوتليج بعنوان:

Israel in the post Oslo Era

بنيامين نتنياهو

إعادة إنتاج المشروع الصهيونيّ
ضمن منظومة صراع الحضارات

تأليف:
د. مهنّد مصطفى

مركز رؤية للتنمية السياسيّة
إسطنبول – 2019

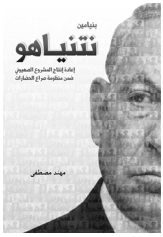

بنيامين نتنياهو

إعادة إنتاج المشروع الصهيوني ضمن منظومة صراع الحضارات

Benjamin Netanyahu

Re-framing of the Zionist Project within the Clash of Civilizations Paradigm

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية – 2019 م

ISBN: 978-605-81816-3-2

مركز رؤية للتنمية السياسية

إسطنبول – تركيا

www.vision-pd.org

info@vision-pd.org

تلفاكس: 902126310107 +

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن خطي من المركز.

الفهرس

تقديم 7
مقدمة 11

الفصل الأول › قراءة سياسية في سيرة نتنياهو الشخصية **22**

1.1 دخول نتنياهو الحقل السياسي كخبير الإرهاب والإعلام ... 30
1.2 التحريض على رابين وفوزه برئاسة الحكومة 41
1.3 زرع بذور جمهورية اليمين الجديدة في دورة نتنياهو الأولى 47

الفصل الثاني › تشكل أيديولوجية نتنياهو ببعدها الشخصي والفكري والسياسي **60**

2.1 فكر بنتسيون نتنياهو «الأب»: الكارثة تترصد لليهود 61
2.2 مقتل شقيقه يونتان وإنتاج سردية البطولة والتضحية 77
2.3 سلطوية نتنياهو والهيمنة الشخصية والفكرية 83

الفصل الثالث › تشكل أيديولوجية نتنياهو وفكره وتأطير المشروع الصهيوني ضمن صراع الحضارات **90**

3.1 مقاربة شخصية نتنياهو في بعض الأدبيات الإسرائيلية 91
3.2 نتنياهو ونموذج صراع الحضارات 98
3.3 الفلسطينيون و «الإرهاب» ونموذج صراع الحضارات 109

الفصل الرابع › نتنياهو والفلسطينيون: مصالحة فلسطينية مقابل تسوية إسرائيلية **128**

4.1 تصور نتنياهو: مصالحة فلسطينية مقابل تسوية إسرائيلية .. 135
4.2 نتنياهو والفلسطينيون في مناطق 1948 144

خاتمة › من صراع قومي إلى صراع حضاري 151

المراجع 157

تقديم

تراجُع دور الفرد القائد في النظم السياسية بشكل عام، وعلى وجه الخصوص في النظم الديمقراطية، لصالح دور المؤسسة، لم يَحل دون وجود تأثير واضح للفرد كرئيس، فما زال الرئيس يترك بصمته على سياسات الدولة التي يقودها، ويؤثر في توجهات الدولة وخطابها، وقد حدث هذا الأمر حتى في دول ديمقراطيّة في العالم، كالولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وغيرهما. ورغم أن الفرد الرئيس أو الزعيم الذي يتحكم في مقاليد السلطة كافة قد يقتصر على النظم الشمولية في الوقت الراهن، إلا أن دور الفرد قد يتفوق، في بعض الحالات، على المؤسسة حتى وإن كان النظام مؤسساتيا وديمقراطيا، بفعل قدرته على صناعة النفوذ والهيمنة الشخصية على مؤسسات الدولة باستغلال الصلاحيات التي يوفرها له الموقع، الأمر الذي ينطبق إلى حد كبير على رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو.

بنيامين نتنياهو، شكل حالة فريدة في تجربة «إسرائيل» السياسية، فمنذ تأسيس دولة الاحتلال الإسرائيلي عام 1948م وحتى اليوم لم يتمكن أي من قياداته، رغم أن بعضهم من المؤسسين ومن الجنرالات العسكرية الذين قاموا بأدوار كبيرة ومؤثرة، من الاستمرار في الحكم لفترة زمنية طويلة كما فعل نتنياهو. فمنذ عام 1996م تمكن نتنياهو من البقاء في رئاسة الوزراء لأربع دورات، الأولى ما بين 1996-1999، وثلاث دورات متتالية منذ 2009 حتى الآن، أي ما يقارب أربعة عشر عاما، مع العلم أن رئيس الوزراء في دولة الاحتلال يتمتع بصلاحيات واسعة في حين أن منصب رئيس الدولة هو منصب فخري بصلاحيات محدودة جدا. الأمر الذي جعل من نتنياهو حالة تستوجب التوقف

عندها ودراستها، سيما أننا أمام شخصية سياسية يمينية متطرفة تحمل الكثير من القناعات والأفكار التي تشكل خطرا على المنطقة واستقرارها.

رغم كثرة الادّعاءات والتنظير لفكرة أن الكيان الإسرائيلي هو الديمقراطية الوحيدة في المنطقة، وأنه كيان يعتمد الأساليب العصرية والديمقراطية في إدراته لمؤسساته السياسية، ورغم أنه كيان علماني رأسمالي، إلا أن قياداته لم تنج يوما من تأثير الروايات الدينية والأيدولوجية، ولم تتوقف يوما عن استغلال الدين والأيدولوجيا في خطابها الداخلي والخارجي، لكن ما يميز بنيامين نتياهو عن من سبقوه أنه فاقهم في التطرف المستند إلى الدين والادعاءات التاريخية والحضارية، فبدا أنه رجل دين متطرف، وسياسي عنصري ديماغوجي يرتدي زيا عصريا أنيقا ويستخدم أدوات حديثة.

وفي هذا السياق حاول نتنياهو أن يتموضع هو وحكومته في سياق الصراع الحضاري المفترض بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، باعتبار المشروع الصهيوني جزءًا من صراع حضاري أكبر بين الغرب والحضارة الإسلامية وأنه يشكل خط الدفاع الأول عن الحضارة الغربية،–المدنية والعصرية والإنسانية– في وجه العالم الإسلامي الذي يصفه بالتطرف والتخلف والعدوانية. فهو وحكومته جزء من الصراع بين «الخير والشر» وبين العالم المتحضر والعالم المتخلف، لذلك لا بد للغرب أن يقدم كل أشكال الدعم اللازمة لتمكين «إسرائيل» من القيام «بواجبها المقدس» في التصدي للعالم العربي والإسلامي. استخدم نتنياهو كل الأدوات الممكنة لإقناع الغرب بهذه الرؤية ولتغيير صورة الكيان الإسرائيلي من قوة احتلال غاشم يمارس كل أنواع القمع والإرهاب بحق شعب أعزل يناضل من أجل حريته وكرامته إلى دولة تسهم في حماية الغرب من

خطر "متوهم" قادم من الشرق.

إن معرفة الخلفيات الدينية والأيدولوجية والسياسية وحتى الاجتماعية لنتنياهو، ومدى تأثيرها على مواقفه المتطرفة تجاه المسلمين والعرب بشكل عام وتجاه الفلسطينيين بشكل خاص، بالإضافة إلى التعرف على رؤيته السياسية تجاه القضية الفلسطينية وقضايا المنطقة، هو ما دفع مركز رؤية للتنمية السياسية إلى العمل على إنجاز دراسة علمية، تُمكن السياسي والأكاديمي والمثقف العربي، والفلسطيني على وجه الخصوص، من التعرف على حقيقة الرجل، خاصة أنه يتمتع بقدرة كبيرة على التضليل والتمويه، وأن يبرع في تقديم خطاب سياسي وإعلامي، في الغالب لا يُعبر عن طبيعته العنصرية والمتطرفة. وسيشكل هذا الكتاب، إضافة نوعية للمكتبة العربية، ومساهمة جدية في عالم المعرفة السياسية والفكرية.

جاءت هذه الدراسة لتقدم للسياسيين العرب والفلسطينيين وللقارئ والمثقف العربي مادة معرفية أكاديمية تمكنه من الوقوف على حقيقة مواقف نتنياهو وخلفياتها الفكرية، خاصة في ظل مرحلة تشهد تطورات وأحداثا سياسية خلقت مشهدًا سياسيًا معقدًا تبدلت فيه الأولويات، واختلت فيه البوصلة لدى العديد من القوى والدول في المنطقة؛ فأصبح المشهد ضبابيا ومرتبكًا إلى حد أن البعض أصبح يرى في دولة الاحتلال صديقًا يمكن التعاون معه، وارتفع صوت المُطبعين والمُنظرين للتطبيع من الكيان الإسرائيلي. وقد تمكن نتنياهو من استثمار تلك اللحظة التاريخية الصعبة ليقدّم نفسه صديقًا للعرب ونبيًا جديدًا لليهود، يقودهم نحو الأمن والاستقرار ويقف معهم على أعتاب مرحلة تكون فيها «إسرائيل» جزءًا طبيعيًا من المنطقة، رغم أنها لم تنتم لها يومًا، ولا يربطها بثقافتها ولا

حضارتها ولا تاريخها أي رابط حقيقي أو مبني على دليل.

لهذا كان لا بد لنا من اختيار أكاديمي وخبير لديه المعرفة والخبرة الكافية لدراسة هذه الشخصية المؤثرة في المشهد الإسرائيلي وكذلك في منطقة الشرق الأوسط، وقد وقع الاختيار على الدكتور مهند مصطفى، وهو أكاديمي فلسطيني من الأراضي المحتلة عام 1948، محاضر أكاديمي، ومدير مركز مدى الكرمل في حيفا، ومحاضر في برنامج ماجستير دراسات إسرائيل في جامعة بيرزيت، لما يتمتع به من معرفة عميقة بالشأن السياسي الإسرائيلي ومن خبرة بحثية مشهود لها، حيث إن لديه العديد من المؤلفات المنشورة في هذا المجال.

هذا الكتاب هو الإصدار الثاني لقسم الدراسات الإسرائيلية في مركز رؤية للتنمية السياسية، الذي يُعنى بالشأن الإسرائيلي بجوانبه المختلفة، السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها. فقد سبق وصدر عن المركز كتاب «الجمهورية التركية في المنظور السياسي الإسرائيلي»، وعدد كبير من الدراسات العلمية والتقارير والأوراق البحثية المختصة بالشأن الإسرائيلي، التي يمكن الرجوع إليها من خلال الموقع الإلكتروني للمركز وكذلك عبر التواصل المباشر مع المركز.

د. أحمد عطاونة
المدير العام
مركز رؤية للتنمية السياسية

مقدّمة

تُعتبر دراسة الشخصيّات السياسيّة من الدراسات المركّبة، ولا سّيما إذا كانت هذه الشخصيّة لا تزال تقوم بدَور سياسيّ، ولم يُسدَل الستار بعد على دَورها الأخير في المشهد السياسيّ والفكريّ. والفرق بين دَوْر الشخصيّات المركزيّة في المشهد السياسيّ ودَوْرها في المشهد المسرحيّ أنّه في الأخير ينتهي دَوْرها بعد إسدال الستارة، وتترك في نفوس المشاهدين مشاعر الاستحسان أو الغضب من الدَّوْر، بينما في المشهد السياسيّ الواقعيّ تستمرّ الشخصيّات المركزيّة في التأثير على المشهد السياسيّ خلال أدائها دَوْرها (لا مجرّد وظيفتها) وبعد انتهاء وظيفتها (مع بقاء دَوْرها)، فضلًا عن الجهد المعرفيّ المضاعف الذي قد يبذله الباحث في دراسة شخصيّة سياسيّة لا تزال حاضرة ومؤثّرة في الحقل السياسيّ، بخلاف دراسة شخصيّة سياسيّة انتهت وظيفتها ودَوْرها.

ونتنياهو هو من الشخصيّات المركزيّة التي أدّت دَوْرًا كبيرًا من خلال المنصب الوظيفيّ الذي حصل عليه في ثلاث دورات متتالية ودورة أخرى سبقت هذه الثلاثَ. والعلاقة بين الدَّوْر والوظيفة في حالة نتنياهو مهمّة جدًّا لفهم التأثير الذي أحدثه على الحقل السياسيّ والفكريّ والاجتماعيّ في «إسرائيل». فدَوْرُه المؤثّر نبع من قدرته على الحكم في ثلاث دورات متتالية[1] مكّنته من إحداث تغييرات بالغة في «إسرائيل» تفوق قدراته القياديّة والفكريّة؛ فالهيمنة تحتاج الى سيطرة، والأخيرة

1 . حَكَم نتنياهو حتّى الآن خمس دورات، الأولى (1996–1999)، وثلاث دورات متتالية: (2009–2013)؛ (2013–2015)؛ (2015 –2019) (2019–؟).

لا تتأتّى دون حكم متواصل. فعلى سبيل المثال، مقارنة بأريئيل شارون الذي مكّنته قدراته القياديّة من إحداث تحوّلات كبرى في إسرائيل، وذلك على الرغم من قِصَر مدّة حكمه مقارنة بنتنياهو، ولا سيّما في التعامل مع الموضوع الفلسطينيّ (بشارة، 2005)، اجتمعت لدى نتنياهو فرص سياسيّة فرضت لحظة تاريخيّة استغلّها هذا أفضل استغلال، إذ يتميّز عن شارون وعن سائر القيادات الإسرائيليّة بقدرته على اقتناص الفرص واستغلالها حتّى النهاية. وإذا جازفنا وقارنّا بين نتنياهو وشارون مثلًا، الشخصيّتين المركزيّتين في إسرائيل في القرن الجديد، يمكن القول إنّ شارون رمى إلى تغيير الواقع، بينما يقتنص نتنياهو التغيُّرات التي حدثت وتَحْدث في الواقع السياسيّ والإستراتيجيّ ويُلقي بنفسه عليها، عبْر استغلالها وأدلجتها. وتوخّيًا للدقّة، يمكن القول إنّ شارون يغيّر الواقع رغم ثقله، ونتنياهو يقتنص فرصًا يفرضها الواقع ولا يصنعها هو.

يدور نقاش في إسرائيل وخارجها، ولا سيّما في الكتابات العربيّة، بشأن دوافع سياسات نتنياهو، وبخاصّة تلك المتعلّقة بالقضيّة الفلسطينيّة، وكذلك في عموم القضايا السياسيّة والإستراتيجيّة؛ فثمّة من يَعزوها إلى دوافع أيديولوجيّة خالصة، وثمّة من يَعزوها إلى اعتبارات پرچماتيّة سياسيّة تتغيّر بتغيُّر المعطيات والوقائع السياسيّة الإقليميّة والدوليّة والفلسطينيّة، وعلى الساحة الإسرائيليّة، بحيث تصبّ اعتباراته الپرچماتيّة في النهاية في ضمان استمرار حكمه. إنّ التعامل مع نتنياهو من خلال هذه الدوچمائيّة (والمقصود التعاطي معه على أنّه پرچماتيّ فقط أو أيديولوجيّ فقط) لا يسعفنا في فهم الرجل وسياساته وتصوُّراته، فحصريّة دراسة الرجل أيديولوجيًّا تُدخل البحث إلى حقل دراسة تاريخ الأفكار بصورة مجرّدة، وكأنّ السياسة هي

خلاصة الأيديولوجيا، أيِّ أيديولوجيا -وهي ليست كذلك-، في حين أنّ التمترس في دراسة پرچماتيّة نتنياهو تزجّ بالباحث في حقل دراسة السلوك السياسيّ لدى الرجل، دونما اعتبار للمنظومة والترسانة الأيديولوجيّة والترسّبات الشخصيّة والنفسيّة التي تلقي بظلالها على السلوك السياسيّ، من حيث ضبطه وتحديد إيقاعه، ولا سيّما أنّ السلوك السياسيّ ينطلق ويأخذ في الحسبان أيضًا قواعد اجتماعيّة ذات طابع أيديولوجيّ، لا تقبل بسهولة التسويات الأيديولوجيّة كما عند السياسيّين، ولذلك فالسلوك السياسيّ لا يمكن أن يكون متحرّرًا كلّيًا من الأيديولوجيا حتّى لدوافع پرچماتيّة. وفي حالة نتنياهو، حافظ هذا على توجّهات ثابتة في مواقفه الأيديولوجيّة، ولا يدلّ ذلك بالضرورة على مثابرة في المواقف، وإنّما على عدم قدرة على تطوير أفكار ومقولات ومقاربات جديدة؛ فعلى نحوِ ما سنبيّن في مناقشة فكره ليس الرجل مفكّرًا ولكنّه يتميّز بدهاء سياسيّ كبير، وبقدرة على استغلال الظرف السياسيّ (ليشم، 2017).

بناء على ذلك، نتنياهو -باعتبار أنّه أبرز السياسيّين قدرةً على اقتناص الفرص- التعامل معه من خلال هذه الدوچمائيّة لا يفيدنا في شيء؛ فنتنياهو هو أيديولوجيّ، وينطلق من أرضيّة أيديولوجيّة مُحْكمة، ولكنّه پرچماتيّ سياسيّ من حيث قدرته على اقتناص فرص سياسيّة، واستغلال لحظات تاريخيّة للتمترس أكثر في مواقعه الأيديولوجيّة. بدون هذه الفرص السياسيّة، تتراجع قدرته على التمترس أيديولوجيًا. فعلى العكس من شارون -على سبيل المثال- الذي حاول إعادة إنتاج واقع سياسيّ وإستراتيجيّ لإسرائيل، يعود نتنياهو إلى منظومته الأيديولوجيّة كلّما سنحت له الظروف التاريخيّة لتحقيق ذلك؛ فهو لا يُنتِج الظرف التاريخيّ بل يستغلّه. فقد استغلّ نتنياهو الظرف التاريخيّ الإقليميّ، ولم ينتجه، واستغلّ الأداء السياسيّ الفلسطينيّ الضعيف

وتآكل المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ، ويستغلّ البيئة الدوليّة المتغيّرة ولم يشارك في إنتاجها، ولكنّه يستغلّها جميعها للعودة إلى مواقعه الأيديولوجيّة إذا سمحت له بذلك الظروف السياسيّة والتاريخيّة. لذا، تجب إعادة فهم فكره الأيديولوجيّ والسياسيّ؛ فالأيديولوجيّ يبقى في مواقعه الأيديولوجيّة في كلّ الظروف واللحظات ولا يغيّرها حتّى على مستوى المفردات والمفاهيم، بينما يتحرّك السياسيّ الوظيفيّ حسب اعتبارات يفرضها الواقع تتحوّل بدون مرجعيّة أيديولوجيّة إلى انتهازيّة سياسيّة. ونتنياهو في هذه الحالة هو سياسيّ پرچماتيّ له مرجعيّة أيديولوجيّة. على سبيل المثال، عندما فرضت الظروف الدوليّة والإقليميّة والفلسطينيّة فكرة حلّ الدولتين، تبنّى نتنياهو هذه الفكرة تصريحيًّا في خطاب بار إيلان عام 2009، وخضع للضغوط الأمريكيّة في لجم الاستيطان (وتجميده في مناطق معيّنة). وعندما أتاحت هذه الظروف نفسها عودة نتنياهو إلى مواقعه الأيديولوجيّة، أسقط هذا في دوة حكمه الثالثة حلّ الدولتين، وأعلن أكثر من مرّة، على نحوٍ مثابر، أنّ زمن إخلاء المستوطنين وتفكيك المستوطنات قد ولّى من قاموسه السياسيّ. من قَبيل المقارنة مرّة أخرى، نشير إلى ما يلي: ذهب شارون في سنوات حكمه الأخيرة إلى منظومة تعامُل مع القضيّة الفلسطينيّة وحاول فرضها على الواقع، كتنفيذ خطّة الانفصال عن قِطاع غزّة، وبناء الجدار الفاصل، وبسبب تنحّيه عن المشهد السياسيّ، النابع من مرضه، لم نشهد تنفيذ سائر مركّبات تصوُّره للقضيّة الفلسطينيّة على أرض الواقع، التي كانت ستؤدّي إلى إنتاج خيار أردنيّ معدَّل.

في مُجْمَل تصوّراته الأيديولوجيّة والسياسيّة في ما يتعلّق بالفلسطينيّين، لا يختلف نتنياهو عن الفكر الصهيونيّ وفكر الرعيل الأوّل من مؤسّسي الحركة الصهيونيّة ودولة إسرائيل، ولكن هنالك طبقة فكريّة يتميّز بها نتنياهو عن سائر القيادات الصهيونيّة. ولتبيان ذلك، لا بدّ من فهم أعمق لشخصيّة نتنياهو والوصول إلى هذه الطبقة في تصوُّره. وللصعود

إلى هذه الطبقة، لا بدّ من إدخال تصوُّر نتنياهو لذاته ودَوْره، إلى جانب تصوُّراته الأيديولوجيّة، والفرص التاريخيّة والسياسيّة المتاحة له. في مزيج لهذه المتغيّرات (الشخصيّة والأيديولوجيّة والسياسيّة)، يرمي نتنياهو في النهاية إلى مَوْضَعة نفسه زعيمًا للشعب اليهوديّ، لا رئيسًا لحكومة إسرائيل فحسب، على نحو زعيم الأمّة اليهوديّة، وستكون هذه الخطوة مركّبًا أساسيًا في تأطيره للصراع على أنّه صراح حضاريّ بين الحضارة الغربيّة (التي ترتكز على الموروث المسيحيّ – اليهوديّ) والحضارة الإسلاميّة.

في هذا التأطير للصراع، يتحوّل نتنياهو إلى ممثّل ومنظّر ورأس الحربة، وربّما إلى زعيم لهذه الحضارة في مواجهتها للحضارة الإسلاميّة. في هذا الصدد، يختلف نتنياهو عن مُنظّر الصهيونيّة التنقيحيّة أو التصحيحيّة، زئيف جابوتنسكي.[2] صحيح أنّ كليهما لا يعتقدان أنّ هنالك أفقًا مستقبليًا حقيقيًا لسلام مع العرب والفلسطينيّين، غير أنّ جابوتنسكي يعزو ذلك إلى حقيقة أنّ الشعب الأصلانيّ (الفلسطينيّين) لم يقبل بشرعيّة المستوطنين الوافدين إلى بلادهم، في حين أنّ نتنياهو يعزو ذلك إلى أنّ الصراع بين اليهود والفلسطينيّين هو جزء من صراع أكبر بين حضارتين، فضلًا عن أنّ نتنياهو لا يعترف بأصلانيّة الفلسطينيّين، ويرى فيهم «خديعة عالميّة» ضدّ الشعب اليهوديّ، بالضبط كما اعتقد بن چوريون. يتعامل نتنياهو بأستاذيّة مع نظرائه من الغرب الذين يَحملون هذا التصوُّر نفسه، ويقارع ويُسفّه أولئك الذين

2. الصهيونيّة التنقيحيّة (وأحيانًا يُطلق عليها الصهيونيّة التصحيحيّة) هي المدرسة الصهيونيّة التي قادها زئيف جابوتنسكي، والتي رفعت شعار ضفّتَي الأردن كمساحة تقام عليها الدولة اليهوديّة. عارضت هذه المدرسة أيّة تسوية على «أرض إسرائيل»، واعتَبَرت أنّ بريطانيا عدوّ مركزيّ لليهود، وأنّ العرب لا يمكن إقناعهم بحقّ اليهود إلّا بالقوّة فقط. لذا، اعتبَرتْ أنّ بناء قوّة عسكريّة يهوديّة هو الحلّ الأفضل لبناء الدولة. انطلقت الحركة من توجّهات ليبراليّة في قضايا الاقتصاد والدين والمجتمع، ومن توجّهات قوميّة في المسألة السياسيّة والصراع.

يخالفونه في الغرب بشأن هذا التأطير للصراع. يحمل هذا التأطير جوانب سياسيّة، لكنّه لا يخلو كذلك من قناعات أيديولوجيّة نظّر لها نتنياهو في بداية التسعينيّات في كتابه «مكان تحت الشمس»، بموازاة التنظير الذي قام به صامويل هنتنجتون (Samuel Hantington) عن صدام الحضارات. جوانبُ هذا الصراع الأيديولوجيّةُ لا تخلو من جذور فكريّة حملتْها الحركة الصهيونيّة أيضًا؛ فنتنياهو في هذا الشأن ليس مقطوعًا عن الصهيونيّة وتصوُّرها لذاتها كحركة تحديث وممثّلة للحضارة الغربيّة في الشرق، ويحاول المضيّ بذلك بخطوات أخرى إلى الأمام باعتبار المشروع الصهيونيّ جزءًا من صراع حضاريّ أكبر لا وكيلَ تحديث فحسب. وتتمثّل الجوانب السياسيّة في هذا التأطير في تهميش القضيّة الفلسطينيّة؛ فصراع إسرائيل مع الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة ابتغاء القضاء عليها، كما يحلم نتنياهو (بن، 2017)، هو أحد مركّبات الصراع الحضاريّ ضدّ الحضارة العربيّة – الإسلاميّة؛ حيث إنّ النضال الفلسطينيّ هو جزء من إرهاب الحضارة الإسلاميّة ضدّ ممثّل الحضارة الغربيّة (ذات الجذور المسيحيّة – اليهوديّة) في الشرق، وهي إسرائيل ومشروعها الصهيونيّ.

إذن، يتعامل نتنياهو مع ذاته على أنّه شخصيّة تاريخيّة في صيرورة الشعب اليهوديّ، وُجِدت لحماية الشعب اليهوديّ من الإبادة أوّلًا، وأنّه ليست هنالك شخصيّة يهوديّة قادرة على تحقيق ذلك سواه، وذاك نابع من فهمه الصحيح لطبيعة الصراع، ولاحقًا برز تعامله مع ذاته كشخصيّة تاريخيّة في الحضارة الغربيّة هدفها قيادة وتوجيه هذه الحضارة نحو مسار الصراع الحقيقيّ، صراع الحضارات. وتلخّص مقولته بشأن أنّ المفتي الحاجّ أمين الحسيني هو مَن أقنع أدولف هتلر بتبنّي الحلّ النهائيّ لمسألة اليهود في أوروبا، أي إبادتهم، تلخّص جزءًا

من هذا التأطير. ومن المستغرَب أنّ من انتقدوه على هذا التصريح من الإسرائيليّين لم ينتبهوا ولا قرأوا أنّ نتنياهو ذكر هذا الأمر في كتابه «مكان تحت الشمس» الذي أصدره في بداية التسعينيّات، وتُرجِم إلى العربيّة في نهاية ذاك العَقد (نتنياهو ب.، 1999). يحمل هذا التصريح مقولتين تنسجمان مع تصوّر نتنياهو: أنّ إسرائيل (بوصفها ممثّلًا عن الحضارة الغربيّة ذات الجذور المسيحيّة – اليهوديّة) في صراع مع الفلسطينيّين (بوصفهم ممثّلين عن الحضارة الإسلاميّة) في معركة وجود من جهة، وأنّ مشروع الإبادة هو مشروع شرقيّ – إسلاميّ من جهة أخرى لليهود ولقيم العالم الغربيّ.

يجد نتنياهو أنّ اللحظة التاريخيّة مواتية لاستحضار منظومته الأيديولوجيّة في العمل السياسيّ محلّيًا ودوليًّا. وتلك لحظة تاريخيّة لم يصنعها نتنياهو، ولكنّه يجني منها الفائدة سياسيًّا وأيديولوجيًّا، ولذا فإنّ الاختراقات الدوليّة التي تقوم بها إسرائيل، كمثل تعزيز العلاقات الإسرائيليّة مع دول أفريقيّة وأوروبيّة، وفي أمريكا اللاتينيّة وفي آسيا، على سبيل المثال، لا تنبع من قدرات الرجل المتميّزة فحسب، بل من اللحظة التاريخيّة والتحوّلات السياسيّة والإستراتيجيّة التي يتميّز نتنياهو بالقدرة على استغلالها. ولا يمكن إنكار أنّ تلك صفة قياديّة، تتمثّل في قدرة الفرد على استغلال فرص سياسيّة ولحظات تاريخيّة لتحقيق مصالح سياسيّة وتمرير منظومة أيديولوجيّة يؤمن بها. صحيح أنّ هنالك فَرقًا بين قائد يستغلّ اللحظة التاريخيّة وقائد يصنع هذه اللحظة. ونتنياهو ينتمي إلى النمط الأوّل من القيادات، ولكنّه يعطي هو ومؤيّدوه لشخصه دَوْرًا يتجاوز حصره في استغلال الفرص إلى صنع واقع يوهم الجميع أنّه هو مَن صَنَعه. في هذا الصدد، يعتقد نتنياهو، زعيم الشعب اليهوديّ في العالم، أنّ إسقاطه عن

الحكم من خلال تهم فساد يتناقض مع الدور التاريخيّ الذي يعدّه هو والتاريخ لذاته، فمؤسّساتُ فرض القانون والشعبُ عليهم أن يتغاضوا عن توجيه تهم له أو إدانته، لأنّ اللحظة التاريخيّة التي يمرّ بها الشعب اليهوديّ والعالم تحتاج إلى رجل مثل نتنياهو، وإنزاله عن خشبة المشهد السياسيّ المحلّيّ والدوليّ ستكون خسارة للشعب اليهوديّ، ولا سيّما لدولة إسرائيل، وخسارة مؤكّدة للحضارة الغربيّة في مواجهتها مع الحضارة الإسلاميّة. فكيف يمكن التفكير في إسقاط رجل سيكون قائدَ هذه الحضارة في مواجهة حضارة «الإبادة والظلاميّة والإرهاب» القائمة في الشرق والتي تتمدّد إلى الغرب، بسبب تلقّيه هدايا (رِشًى) هي عبارة عن زجاجات شمپانيا وسجائر فاخرة؟! هذا مخالِف لمنطق التاريخ وللدور التاريخيّ الذي يُعِدّه نتنياهو لنفسه. لذا، يجب تجاوز أخطاء نتنياهو الصغيرة في سبيل تحقيق الهدف التاريخيّ الكبير.

إلى جانب الإطار الذي يدمج بين الشخصيّ والأيديولوجيّ والسياسيّ، ويؤسّس لطبقة التحليل ذات البعد الحضاريّ في تصوُّرات نتنياهو، كلّ متغيّر منها أثّر عليه بصورة خاصّة. وفي هذه الفِقْرة، أودّ التركيز على العامل الشخصيّ؛ فعلى الرغم من تراجعِ وحدة التحليل الشخصيّة في العلوم الاجتماعيّة لمصلحة وحدات تحليل اجتماعيّة أو مؤسّساتيّة، لا تزال هذه الوحدة من التحليل ذات صلة بفهم المنظومة الفكريّة والسلوكيّة للفرد كما أشار إلى ذلك ماكس ڤيبر (Weber, 1978, p. 13). حمل نتنياهو ثأرَيْن عائليَّيْن: ثأْرَ أبيه من النخَب اليساريّة العمّاليّة الصهيونيّة، وثأْرَ أخيه من الفلسطينيّين والعرب. في الثأر الأوّل، حمَلَ نتنياهو كراهيَة أبيه من النخَب العمّاليّة اليساريّة الصهيونيّة التي قامت بإقصائه من المؤسّسة الأكاديميّة الإسرائيليّة، وجرى تجاهل إنتاجه المعرفيّ، وذلك بسبب

انتماء أبيه إلى التيّار الصهيونيّ التنقيحيّ. حملَ هذا الثأر بطبيعة الحال طابعًا شخصيًّا (إقصاء والده وتجاهله) وأيديولوجيًّا (إقصاءه بسبب توجّهاته)، ولذا جاء نتنياهو منذ دورة حكمه الأولى في أواسط التسعينيّات مشروعًا يهدف إلى إضعاف النخَب القديمة، وكان فشله مدوّيًا في هذا في تلك الفترة، وهو المشروع الذي يعمل عليه في فترات حكمه الأخيرة، ويحقّق نجاحات كبيرة. في الثأر الثاني، حمل نتنياهو ثأرًا شخصيًّا في أعقاب مقتل أخيه في عمليّة تحرير الرهائن الإسرائيليّين الذين احتُجزوا في مطار عنتيبي في أوغندا عام 1976، العمليّة التي كانت ترمي إلى تحرير أسرى فلسطينيّين من السجون الإسرائيليّة مقابل إطلاق سراح الرهائن الإسرائيليّين. وعلى غرار ثأره الأوّل، حمل هذا الثأر بُعدًا شخصيًّا (مقتل أخيه) وبُعدًا أيديولوجيًّا (قُتِل في إطار صراع بين اليهود والعرب). في دورة حكمه الأولى في التسعينيّات، خضع نتنياهو للضغوط الأمريكيّة، وقام بإعادة الانتشار في الخليل. والحقيقة أنّه كانت هذه الخطوةَ الأخيرة التي نفّذتها إسرائيل في إطار اتّفاقيّات أوسلو، وفعليًّا فرّغ نتنياهو اتّفاقيّات أوسلو من جوهرها منذ دورته الأولى.

يدمج نتنياهو بين توجّهات قوميّة متطرّفة وتوجّهات اقتصاديّة نيوليبراليّة، وفي هذا الدمج لا يختلف نتنياهو عن الموروث الأيديولوجيّ والفكريّ للحركة الصهيونيّة التنقيحيّة، وحركات اليمين عمومًا. بَيْدَ أنّه في دورات حكمه الأخيرة ظَهَر يمينيًّا غير ليبراليّ في قضايا الدين والدولة والديمقراطيّة، متماهيًا في ذلك مع فكر اليمين المتطرّف الصاعد في أوروبا. ففي التسعينيّات كان يمينيًّا محافظًا، واليوم هو يمينيّ متطرّف.

يُعتبر بنيامين نتنياهو من القيادات الإسرائيليّة التي خلّفت بصمات

كبيرة على منظومة الفكر السياسيّ الإسرائيليّ، وعلى السياسة الإسرائيليّة وبنْية مشروع إسرائيل الاستيطانيّ الكولونياليّ. فهو يتميّز بكونه رجلًا أيديولوجيًّا، وفي نفس الوقت هو أحد السياسيّين الإسرائيليّين المحنّكين في المشهد السياسيّ الإسرائيليّ، ويمكن القول إنّ نتنياهو بوصفه ظاهرة سياسيّة وفكريّة سبق نشوءَ ظاهرة اليمين الجديد والمتطرّف في أوروبا.

مع انتهاء ولاية نتنياهو الحاليّة رئيسًا للوزراء، سواء من خلال الإطاحة به بسبب قضايا الفساد الماليّ والسياسيّ، أم بسبب انتهاء مدّته القانونيّة رئيسًا للحكومة (والدراسة تستبعد ذلك)، يكون نتنياهو قد تجاوز عدد سنوات حكم بِنْچوريون مؤسّس دولة إسرائيل، ويتحوّل إلى صاحب أطول فترة حكم في إسرائيل من بين الشخصيّات السياسيّة. وإذا كان بِنْچوريون قد أسّس إسرائيل الأولى، بينما أسّس فوز الليكود في انتخابات عام 1977، وتشكيله للحكومة لأوّل مرّة في تاريخ إسرائيل، لإسرائيل الثانية، فإنّ فترة حكم نتنياهو الأخيرة قد أسّست لإسرائيل الثالثة. وتستدعي الحاجة فحص وبحث مدى تأثير شخصيّة نتنياهو الفكريّة والسياسيّة على ملامح ووُجهة إسرائيل الثالثة، وتعاطيها مع القضيّة الفلسطينيّة ومستقبلها.

وعلى الرغم من كون نتنياهو صاحب أطول فترة حكم في إسرائيل من بين السياسيّين الإسرائيليّين، وأسّس ما تُمْكِنُ تسميته إسرائيل الثالثة، فإنّ الأبحاث والدراسات الجادّة عن شخصيّته وفكره وتوجُّهاته السياسيّة كانت قليلة، حتّى تلك الصادرة باللغة العبريّة. وإن وُجِدت، فكلّها تركّز على مسيرته السياسيّة الضيّقة. وربّما يعود السبب الأساسيّ لذلك إلى أنّه لم يُسدَل الستار بعد عن دَوْره في تشكُّل مستقبل إسرائيل من جهة، وإلى عدم القدرة على سَبْر غَوْر

فكره وسياساته على نحو معمّق من جهة ثانية. فهو شخصيّة محنّكة؛ إذ حينًا يظهر كشخصيّةً أيديولوجيّة، وحينًا آخَر يظهر كشخصيّة پرچماتيّة، والحقيقة أنّ البُعدَيْن في شخصيّته لهما طابع ديناميكيّ وليسا في حالة تضادّ بالضرورة. وعلى الرغم من القراءات الإسرائيليّة لشخصيّة نتنياهو، ولا سيّما في الصحف والحِوارات الإعلاميّة والسياسيّة، فإنّ قراءةً منهجيّة علميّة لشخصه وفكره من جهة، وقراءةً فلسطينيّة (مقطوعة عن القراءة الإسرائيليّة) من جهة ثانية، باتتا حاجة ملحّة أكاديميًّا ووطنيًّا نظرًا للدوْر التاريخيّ الذي قام به الرجل في الفكر السياسيّ الإسرائيليّ والصهيونيّ ولا يزال يقوم به، وسيستمرّ في القيام به حتّى بعد إنهاء دَوْره السياسيّ الرسميّ (سواء أكان ذلك بسبب قضايا فساد أم بفعل خسارة في الانتخابات).

سيركّز البحث الحاليّ على الصيرورة السياسيّة التي وضعت نتنياهو في مركز الحقل السياسيّ الإسرائيليّ، كما سيناقش البحثُ فكْرَ نتنياهو وأيدولوجيّته ذات الصلة برؤيته للصراع. بناء على ذلك، لن تتطرّق الدراسة إلى كلّ المراحل والتفصيلات السياسيّة في مسيرة نتنياهو، بل إلى تلك التي أسهمت في بناء شخصيّته وقيادته وموقعه في الحقل السياسيّ والفكريّ اليهوديّ والإسرائيليّ. ولا شكّ أنّ دراسة شخصيّته تحتاج إلى فصول وحيثيّات إضافيّة، وقد يكون لها مكان في دراسة مستقبليّة تنطلق من هذه الدراسة عبْر توسيعها، بحيث تأخذ بعين الاعتبار كلّ هذه الحيثيّات والمراحل.

الفصل الأوّل

قراءة سياسيّة في سيرة نتنياهو الشخصيّة

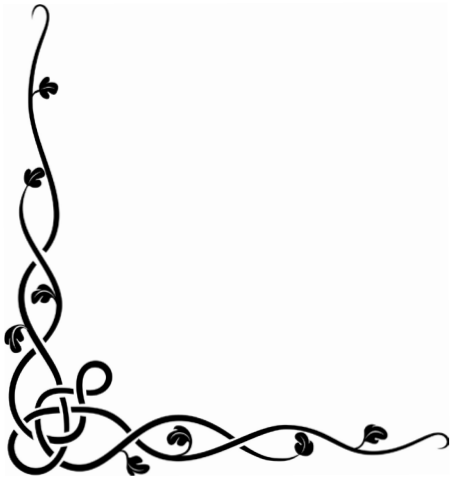

قراءة سياسيّة في سيرة نتنياهو الشخصيّة

لا يبتغي هذا الفصل تقديم عرض تفصيليّ لسيرة نتنياهو الشخصيّة بالمفهوم التقليديّ، ولا الوقوف على كلّ تفاصيل حياته، وإنّما تقديم قراءة سياسيّة لتاريخه تفيدنا في فهم المؤثّرات الشخصيّة والسياسيّة والتاريخيّة التي بلورت شخصيّته السياسيّة والفكريّة. يشير الصحفيّان بنْ كسبيت وإيلان كفير، في كتابهما «نتنياهو: الطريق نحو السلطَة»، أنّ ثلاث شخصيّات رافقت نتنياهو منذ ولادته، فتأثّر بها، واستمدّ رؤيته منها؛ شقيقه يوني، ووالده بِنْتْسيُون نتنياهو، وجدّه الحاخام ناتان ميلوكوفسكي: «كلّ واحد منَ الثَلاثة وثلاثتهم معًا يمثّلون في نظره تاريخ الصهيونيّة. (كسبيت وَكفير، 1997، ص 21).

وُلد جَدّه نتان في عام 1880 في قرية «كاريبو» في دولة ليتوانيا. تعلّم في مدرسة دينيّة في پولندا وعمره عشر سنوات، وتأهّل لدرجة حاخام وهو في الثامنة عشرة من عمره، وتأثّر في فترة شبابه بصهيونيّة هرتسل، وتنقّل بين المجموعات اليهوديّة في أوروپا وروسيا والصين مبشّرًا بالصهيونيّة، ولكنّه انقلب لاحقًا على هرتسل بسبب طرحه مشروع أوچندا وضرورة إيجاد حلّ مرحليّ لليهود. إذّاك تأثّر ميلوكوفسكي بشخصيّة زئيف جابوتنسكي منظّر وقائد التيّار الصهيونيّ التنقيحيّ الذي خرج ضدّ طرح هرتسل، وقد توطّدت علاقات صداقة شخصيّة ورابطة أيديولوجيّة بين الرجلين. ففي المؤتمر الصهيونيّ السابع عام 1907، قال ميلوكوفسكي إنّ مشروع «أوچندا هو خيانة لكلّ الأجيال، وسقوط أخلاقيّ ونفسيّ» (ڤيردي، 1997، ص 21). يصف نتنياهو جَدّه، في كتابه «مكان تحت الشمس»، على النحو التالي:

«كان جَدّي الحاخام نتان ميلايكوفسكي، الذي تجنّد للحركة الصهيونيّة في شبابه، في عقد التسعينيّات من القرن الماضي، واحدًا من عدد لا يُعَدّ ولا يُحصى من المتحمّسين لهذه البشرى، وأصبح أحدَ مبشّري هذه الحركة الرئيسيّين، ونشر مبادئها بين اليهود في شرق سيبيريا حتّى مينوسوتا في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وبعد فترة من الوقت، في عام 1920، أثبت أنّه ليس من الذين يقولون ولا يفعلون، وإنّما يقول ويفعل: حمل عائلته الكبيرة، وأبحر من ترايست {مدينة ساحليّة في شمال شرق إيطاليا} إلى حيفا، واستوطن في أرض إسرائيل» (نتنياهو ب.، 1999، ص 71).

اعتقد ميلوكوفسكي أنّ أيّ طرح غير إقامة وطن قوميّ لليهود في فلسطين يُعتبر خيانة لملايين اليهود الذي ضحَّوْا بحياتهم على مدار مئات السنين في سبيل بلوغ هذا الهدف (كسبيت وَكفير، 1997). في عام 1910 وُلِد نجله البكر، بِنْتْسِيُون نتنياهو، الأوّل من عائلة مكوّنة من ثمانية إخوة وأخت واحدة. وعلى الرغم من أنّهم عاشوا في پولندا، كانت اللغة العبريّة لغة البيت الوحيدة. هاجرت العائلة إلى فلسطين عام 1920. عمل ميلوكوفسكي في الصندوق القوميّ اليهوديّ، وبسبب قربه من جابوتنسكي، بدأ نجله بِنْتْسِيُون نشاطه الصهيونيّ مبكرًا إلى جانب جابوتنسكي. انضمّ بِنْتْسِيُون إلى الحركة التنقيحيّة برئاسة جابوتنسكي عام 1928، وأصبح لاحقًا مساعدَهُ الشخصيّ في الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

وكان الحاخام ميلوكوفسكي قد وقف إلى جانب اليهود الذين اتُّهِموا بقتل حاييم أرلزوروف رئيس الشعبة السياسيّة في الوكالة اليهوديّة، عام 1933، والذي كان من القيادات السياسيّة المهمّة في الحركة الصهيونيّة. وقد وقف ميلوكوفسكي مع المتّهَمين اليهود، الذين

بُرِّئوا، وخاصّة المتّهَم الرئيسيّ بالقتل بسبب وجود شهادة إدانة واحدة (شهادة زوجة أرلزوروف)، وللإدانة بالقتل كان هنالك حاجة إلى أكثر من شهادة. بعد وفاة الحاخام ميلوكوفسكي عام 1935 (وهو في الخامسة والخمسين من العمر)، خصّصت مجلّة «هَيَرْدِين» («الأردن») التي كان يحرّرها نجله بِنْتْسِيُون عددًا خاصًّا عنه، وقد كتب عنه يوسف كلوزنر[1] الكلمات التالية: «لم يكن الحاخام ميلوكوفسكي حزبيًّا تنقيحيًّا. كان صهيونيًّا، صهيونيًّا بدون إضافة، ويكفيه ذلك، ولكنّه كان معجبًا بجابوتنسكي. لقد رأى فيه مقاتلًا شجاعًا من أجل الفكرة المسيانيّة (خلاص اليهود)، وداعمًا لتحقيق الهدف القوميّ كاملًا، ومع الخلاص الكامل كما أوحى الأنبياء ومَن بعدهم» (عرمون، 2016).

في مقال كتبه بِنْتْسِيُون عام 1931، إبّان المؤتمر الصهيونيّ السابع عشر، هاجم فيه معارضي جابوتنسكي بشدّة، ووصفهم بضيق الأفق المستقبليّ، واعتبر أنّ الحركة الصهيونيّة بدون التنقيحيّين هي حركة بلا روح، ولا تحمل القيم المثاليّة، فضلًا عن أنّ تأثيرها سيكون معدومًا (عرمون، 2017).

في فترة الانتداب البريطانيّ على فلسطين، نشط بِنْتْسِيُون في الكتابة والعمل الصحفيّ. كان يمينيًّا راديكاليًّا؛ فقد آمن بفكرة أرض إسرائيل الكبرى (ضفّتَي الأردن)، وبالكفاح العسكريّ ضدّ العرب والانتداب البريطانيّ. في تلك السنوات، تخصّص بِنْتْسِيُون في الدراسات التاريخيّة، وخاصّة تاريخ اليهود في إسبانيا، وحاول الانضمام إلى الطاقم الأكاديميّ في الجامعة العبريّة، إلّا أنّ المؤسّسة

1. يوسف كلوزنر (1874–1958) مفكّر ومؤرّخ يهوديّ كان قريبًا في مواقفه السياسيّة والفكريّة من الصهيونيّة التنقيحيّة، وأحد محرّري الموسوعة العبريّة.

الأكاديميّة رفضت طلبه، وهو ما ترك أثرًا سلبيًّا لديه ومرارة شديدة ممزوجة بكراهيَة للتيّار الآخَر في الصهيونيّة، حيث زعم أنّ سبب رفضه يعود إلى مواقفه السياسيّة والأيديولوجيّة (كسبيت وكفير، 1997، ص 26).

بعد إخفاقه في الحصول على وظيفة في الجامعة العبريّة، هاجر بِنْتْسِيُون إلى الولايات المتّحدة عام 1939 ليكون مساعدًا شخصيًّا وسكرتيرًا لجابوتنسكي حتّى وفاة الأخير عام 1940. بعد وفاة جابوتنسكي، بقي بِنْتْسِيُون في الولايات المتّحدة ناشطًا سياسيًّا في الحركة التنقيحيّة وباحثًا أكاديميًّا، وعمل هنالك مسؤولًا عن مكتب الحركة التنقيحيّة في نيويورك. هنالك وُلِد نجل بِنْتْسِيُون البكر يوني في عام 1946. هاجرت العائلة مرّة أخرى إلى فلسطين في تشرين الثاني عام 1948، بعد الإعلان عن تأسيس دولة إسرائيل، وسكنت في القدس (Caspit, 2017, pp. 21-22). في ذلك العام، أسّس مناحيم بيچن، تلميذ ووريث جابوتنسكي، حركةَ «حيروت»، كحركة سياسيّة تمثّل التيّار التنقيحيّ في الدولة الجديدة، إلّا أنّ الحركة الجديدة وبيچن تحديدًا تعاملوا مع بِنْتْسِيُون كمهاجر جديد، وذلك أنّه لم يكن له دَوْر في الحرب ضدّ العرب والفلسطينيّين، فلم يقترح بيچن عليه تولّي أيّ منصب في الحركة الجديدة، حتّى إنّه لم يعرض عليه أن يكون له دور في المجلّة الناطقة بلسان الحركة، وذلك على الرغم من قدرات بِنْتْسِيُون الفكريّة والأكاديميّة، وهو الرجل الذي كان رائدًا في النشاط الفكريّ والصحفيّ في فترة الانتداب، والمقرّب من جابوتنسكي، وقد ولّد ذلك شرخًا بين الرجلين، وهو الشرخ الذي سيعود على نفسه بين أبناء الرجلين (بنيامين نتياهو وبيني بيچن) في تسعينيّات القرن الماضي، والصراع بين نُخَب الليكود القديمة والشابّ الجديد في

الحزب الذي يريد السيطرة عليه. في تشرين الأوّل عام 1949، وُلِد ابن بِنْتْسِيُون الثاني، بنيامين نتنياهو. يقول كسپيت وكفير في كتابهما إنّ بنيامين وُلِد في واقع كان فيه بِنْچوريون «عدوًّا» وبيچن ليس صديقًا (كسپيت وكفير، 1997، ص 27). تعمّق إحساس بِنْتْسِيُون بالإحباط خلال وجوده في إسرائيل؛ فكلّ محاولاته للعثور على فرصة عمل في المؤسّسة الأكاديميّة الإسرائيليّة باءت بالفشل، وعاد إلى توجيه الاتّهام إلى حزب «مپاي» الحاكم بملاحقته سياسيًّا ومنعه من الحصول على عمل في الجامعات والمؤسّسات الأخرى.

وجد بِنْتْسِيُون ضالّته في اقتراح قدّمه له أستاذ التاريخ يوسف كلوزنر، الذي كان قد عُيّن محرّرًا للموسوعة العبريّة، حيث نصّبه كلوزنر نائبًا له. وبعد سنوات، أصبح بِنْتْسِيُون محرّر الموسوعة. كان بِنْتْسِيُون من أشدّ المعجَبين بكلوزنر، فقد عرفه خلال نشاطه في الحركة التنقيحيّة خلال فترة الانتداب البريطانيّ، وكان يعتبره معلّمه وأستاذه، وكتب الكثير من المقالات مدحًا له؛ فقد كان كلوزنر من مفكّري الصهيونيّة التنقيحيّة، وهو كذلك عانى من إقصاء من طرف النخبة الأكاديميّة في الجامعة العبريّة آنذاك، وشارك بِنْتْسِيُون في الكثير من مبادراته الصحفيّة والثقافيّة خلال هذه الفترة (عرمون، 2017). في كانون الأوّل عام 1957، توجّهت نقابة العمال (الهستدروت) التابعة لحزب «مپاي» إلى داعمي الموسوعة العبريّة (وهي عائلة بلاي برئاسة مدير الموسوعة ألكسندر بلاي (1915-2007)، بشكوى مُفادُها أنّ بِنْتْسِيُون نتنياهو يقلّل من أهمّيّة دَوْر حركة العمل الصهيونيّة في تأسيس الدولة ومحاربة الإنچليز، ويَعزو للحركة التنقيحيّة بقيادة جابوتنسكي دَوْرًا أكبر. وبعد خمس سنوات من هذه الشكوى، وبعد إصدار عشرة مجلّدات من الموسوعة العبريّة، استقال بِنْتْسِيُون من

عمله في الموسوعة العبريّة، وكانت استقالته قد جاءت بعد حصوله على منصب في إحدى جامعات الولايات المتّحدة الأمريكيّة. وانتقلت العائلة للإقامة في الولايات المتّحدة، وبعد صعود الليكود إلى الحكم عام 1977، هاجرت العائلة عام 1978 إلى إسرائيل واستقرّت فيها. خلال مكوث العائلة في الولايات المتّحدة، تجنّد يوني للجيش، وتبعه بنيامين نتنياهو فالتحق بالخدمة العسكريّة عام 1967.

يشير الصحفيّ آري شفيط إلى الأثر الذي تركه «نَفْي» بِنْتْسِيُون على العائلة: "على الرغم من أنّه {بِنْتْسِيُون} نال الشهرة بوصفه خبيرًا في مجاله في نهاية المطاف، فإنّ المؤسّسة الأكاديميّة الإسرائيليّة لم تعترف بقدراته على الإطلاق. وقد اضطُرّ، نتيجةً لذلك، إلى العمل في سلك التعليم والأبحاث في الولايات المتّحدة وتربية أولاده في الخارج. وقد ترك هذا الرفض – هذه التجربة القاسية التي اقترنت بالعظمة التي لم تحظَ بالاعتراف– أثرَهُ على عائلة نتنياهو، وبات يفرز تأثيرًا لا يُسْبَر غَوْره على رئيس الحكومة حتّى هذا اليوم. وهذا هو مصدر السلوك الثأريّ المستمرّ الذي ينتهجه نتنياهو الابن ضدّ النخبة اليساريّة في إسرائيل. إنّ بِنْتْسِيُون نتنياهو لم يورث العقلانيّة لابنه بنيامين فحسب، بل ترك له أيضًا الشعور بأنّه ينتمي إلى أخويّة حصريّة تلقى معاملة يصبغها الازدراء من نفس الإسرائيليّين الذين رفضوا والده» (شلحت، 2014، ص 83).

كان نتنياهو، خلال خدمته العسكريّة، ضابطًا في وحدة «مطكال» للعمليّات الخاصّة، وذلك حتّى العام 1972. بعد إنهاء خدمته في الجيش عام 1972، يأيضاسافر إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة للدراسة، لكنّه عاد وشارك في حرب أكتوبر عام 1973، وبعدها عاد إلى الولايات المتّحدة حيث درس حتّى العام 1976 في المعهد

التكنولوجيّ في ماساتشوستس (MIT)، وهي إحدى الجامعات المرموقة أكاديميًّا في الولايات المتّحدة والعالم، وقد حصل من المعهد على البكالوريوس في العمارة، والماجستير في إدارة الأعمال. بعد تخرُّجه استمرّ نتنياهو بالعيش في الولايات المتّحدة مستشارًا لشركة أمريكيّة، حتّى العام 1978. ثمّ تسلّم منصب مدير معهد يونتان لدراسة الإرهاب عام 1978، وهو المعهد الذي أقامته العائلة في الولايات المتّحدة على اسم شقيقه يوني بعد مقتله في عمليّة عنتيبي التي سنتحدّث عنها لاحقًا. كان لموت يوني، الذي أحبّه بنيامين نتنياهو حبًّا جمًّا، أثرٌ على قرار هذا الأخير خوض الحقل السياسيّ الإسرائيليّ؛ فالعائلة كانت تنظر إلى يوني باعتباره لاعبًا مستقبليًّا في الحقل السياسيّ، وإلى بنيامين باعتباره فاعلًا في الحقل الاقتصاديّ، وإلى عيدو -شقيقهما الثالث- باعتباره عاملًا في المجال المهنيّ الأكاديميّ. بعد مصرع يوني، نفى بنيامين نتنياهو شخصيّة «بن نتاي» {اسمه في الولايات المتّحدة} عن ذاته، وبدأ بنيامين نتنياهو أو بيبي مرحلة جديدة في حياته (أزولاي-كاتس، 1999، ص.ص 75-77).

في هذا المعهد سوف يخرج نتنياهو بتصوّراته عن «الإرهاب» ليزعم لاحقًا أنّه هو الذي أسهم في تغيير الرؤية الأمريكيّة في ما يتعلّق بهذا الموضوع (نتنياهو ب.، 1987). في العام 1980، عاد نتنياهو إلى إسرائيل وعمل في شركة اقتصاديّة في القدس لمدّة عامين، قبل تعيينه ملحقًا سياسيًّا للسفارة الإسرائيليّة في واشنطن عام 1982، وهو ما سيكون نقطة التحوّل الأولى في طموحه السياسيّ نحو قمّة الهرم في إسرائيل. فقد دخل نتنياهو الحقل السياسيّ في ظلّ ظروف وتحوّلات ثقافيّة وتكنولوجيّة أنتجت مركزيّة الإعلام في السياسة،

وهو كان الشخصَ الأكثر ملاءَمةً لتغيُّرات الحقل السياسيّ، وقد وصفه الباحث الإعلاميّ باروخ لشيم في كتاب عنه بأنّه «مدرسة في التسويق السياسيّ» (ليشم، 2017).

1.1 دخول نتنياهو الحقل السياسيّ كخبير الإرهاب والإعلام

دخل نتنياهو الحقل السياسيّ الإسرائيليّ في العام 1982، بعد أن توجّه سفير إسرائيل في الولايات المتّحدة، آنذاك، موشيه أرنس، باقتراح له أن يشغل منصب الملحق السياسيّ للسفارة الإسرائيليّة في واشنطن. استرجع أرنس هذه اللحظة بقوله: «في بداية عام 1982، توجّهت إلى تسيبي رافِيَّح واقترحت عليه تولّي منصب الملحق السياسيّ في سفارة إسرائيل في واشنطن. رافيّح رفض ذلك. توجّهت إلى بيبي {اسم التحبّب لبنيامين نتنياهو} الذي وافق بعد عشرين دقيقة. عندما يقولون لي اليوم: انظر ما فعلتَ، لديّ جواب: ماذا تريدون منّي؟! هذا ذنْب تسيبي رافِيَّح» (كسبيت وكفير، 1997، ص 5).

التقى أرنس بنتنياهو أوّل مرّة خلال محاضرة كانت لنتنياهو في بوسطن، وقد أُعجِب أرنس بقدرته الخطابيّة وبعرضه للأمور، فضلًا عن لغته الإنجليزيّة الممتازة، حيث وصفه بأنّه رجل دعاية طبيعيّ (فيردي، 1997، ص 172). عُيِّن نتنياهو ملحَقًا سياسيًّا في خضمّ الحرب على لبنان. وفي سبيل تسنُّم هذا المنصب تنازل، كما هو متّبَع، عن جنسيّته الأمريكيّة. في هذه الأثناء، كان لنتنياهو بنت وزوجة أمريكيّة جديدة. في واشنطن، شَرَعَ نتنياهو في بناء قيادته السياسيّة، فقد كان لمكانة أبيه ومعارفه في واشنطن، ومن خلال العلاقات التي عزّزها خلال عمله في معهد يونتان، دَوْرٌ في تعزيز مكانته الدبلوماسيّة في الولايات المتّحدة. استطاع نتنياهو أن يثبت جدارته بوصفه دبلوماسيًّا ناجحًا في وزارة الخارجيّة. ونجح، بدعم

مباشر من أرنس، في أن يتفوّق على زملائه في السفارة على الرغم من أقدميّتهم وتجربتهم الأطول. كان نتنياهو يعتبر نفسه ابنًا لأرنس، والأخير كان يدفع صوب دمجه وتقديم المساعدة له، وقد كان نتنياهو يشغل منصب السفير بالوكالة، خلال مكوث أرنس في إسرائيل (فيردي، 1997، ص 175).

خلال الحرب على لبنان، جاءت مبادرة الرئيس الأمريكيّ رونالد ريچن لوقف الحرب، والعمل على مبادرة سلام أردنيّة – فلسطينيّة – إسرائيليّة. اقترح نتنياهو على أرنس فكرة أن تقوم إسرائيل بالترحيب بالمبادرة على أن تترك للآخرين رفضها. رفض بيچن هذا العرض، وشكّل هذا الأمر بالنسبة لنتنياهو درسًا سياسيًّا. وكما تشير الصحفيّة فيردي، اعتبر نتنياهو كلّ مبادرة أمريكيّة «مأساة»، واتّخذ موقفًا مغايرًا لموقفه الأوّل محاولًا تفسير وتسويق الموقف الإسرائيليّ الرسميّ في العالم (فيردي، 1997، ص 176).

في هذه الفترة، بدأ نتنياهو التقرّب من الحزب الجمهوريّ، ومن المجموعات المحافِظة المقرّبة للحزب التي اعتبرت أنّ الاتّحاد السوفييتي يمثّل «مملكة الشرّ»، على حدّ تعبير رونالد ريچن؛ حيث سيتبنّى نتنياهو هذا الموقف خلال الثمانينيّات معتبرًا أنّ الإرهاب العالميّ يعتمد على دعم الاتّحاد السوفييتيّ، وبعد الحرب الباردة سيَعتبر إيران الدولة الداعمة له، وذلك انسجامًا مع رؤيته أنّ الإرهاب يحتاج دائمًا إلى دولة لدعمه (نتنياهو ب.، 1987). في مقابل تقرُّبه من مجموعات يمينيّة جمهوريّة محافظة، اعتَبَرَ الحزبَ الديمقراطيّ مماثلًا لحزب «مپاي» في الحقل السياسيّ الإسرائيليّ الذي يبغضه نتنياهو وعائلته تاريخيًّا.

استمرّ نتنياهو في عمله في الولايات المتّحدة، وهذه المرّة عمل

مندوبًا لإسرائيل في الأمم المتّحدة (1984–1988). ركّز نتنياهو خلال عمله على المسألتين اللتين يحبّ التحدّث بشأنهما: الكارثة اليهوديّة والإرهاب. فمن خلالهما استطاع نتنياهو الظهور بصورة مكثّفة في الإعلام الأمريكيّ. نجح نتنياهو في إقناع الأمم المتّحدة بفتح أرشيف المؤسّسة حول الكارثة. وعلى الرغم من أنّ الأرشيف لم يحمل ما هو جديد بهذا الخصوص، نجح نتنياهو في الحصول على كلّ الفوائد الدعائيّة من هذا الحدث على المستوى السياسيّ الإسرائيليّ والشخصيّ. في ما يتعلّق بمسألة الإرهاب، سوّق نتنياهو نفسه خبيرًا للإرهاب، معتمدًا على نشاطه في معهد يونتان لدراسة الإرهاب، وعلى كونه شقيق يوني الذي لقي مصرعه خلال عمله ضدّ «الإرهاب». في هذه الأثناء، يُصدِر نتنياهو كتابه الأوّل (من تحريره) حول الإرهاب بعنوان «كيف تستطيع النظم الديمقراطيّة الانتصار على الإرهاب»، وهو كتاب تجميع لمحاضرات المؤتمر الذي نظّمه المعهد في هذا الشأن وحرّره نتنياهو (نتنياهو ب.، 1987).

في لقاء أجراه معه الصحفيّ اليمينيّ يعقوف أحيمئير في العام 1985، لم تكن إجابات نتنياهو تختلف عمّا يجيب به اليوم. في اللقاء سأله الصحفيّ: «هل هنالك حاجة إلى التفاوض مع «العدوّ»»؟ فأجابه نتنياهو: «دعني أسألك: هل كانت هنالك حاجة إلى الحديث مع هتلر»؟ وفي أعقاب ذلك سأله الصحفيّ: «هل سنبقى نقاتل طَوال الوقت»؟ أجابه نتنياهو: «هنالك توقُّع أن تتحوّل إسرائيل إلى ديزني–لاند. لن يكون ذلك! أليس ثمّة في تاريخ الشعوب والدول من عاشوا كلّ الوقت بالحروب؟! سيبقى هنالك دائمًا قَتَلة ومجرمون، وسنبقى دائمًا نحتاج إلى الشرطة. لا يمكن البحث عن نهاية ذلك» (فيردي، 1997، ص 206). تلك مقولات سيبقى نتنياهو يردّدها

حتّى يومنا، في اعتبار أنّ أعداء إسرائيل هم هتلر، وأنّ على إسرائيل الاستعداد الدائم للحرب في كلّ لحظة. وَجَد نتنياهو في تسويق نفسه إسرائيليًّا ودوليًّا على أنّه خبير في الإرهاب، وَجَد تعويضًا عن الخلفيّة العسكريّة التي ميّزت معظم القيادات السياسيّة ذات الخلفيّة العسكريّة؛ فإسرائيل عرفت العسكر الذين يخوضون في الشأن السياسيّ والإستراتيجيّ، ويحظَوْن بشرعيّة جماهيريّة كبيرة، وما كان نتنياهو يستطيع أن يجد له مكانًا بينهم على الرغم من خدمته في وحدة «مطكال»، فهي وحدة تقوم بتنفيذ أعمال تكتيكيّة عينيّة، وليس لها تداخل كبير في الشأن العسكريّ الشامل، وهو ما ميّز جنرالات دخلوا السياسة كيتسحاق رابين وأريئيل شارون وموشيه ديان وغيرهم، كما أنّ قائد وحدته، إيهود براك، أكمل خدمته العسكريّة وحفر لنفسه مكانة مرموقة في الذاكرة والتاريخ العسكريّ الإسرائيليَّيْن. لذا ركّز نتنياهو خلال حياته على موضوع الإرهاب، حتّى الآن، معتبرًا أنّه هو الخبير الأوّل عالميًّا في هذا الشأن، وسوّق نفسه بذكاء في هذا المجال.

منذ تأسيس دولة إسرائيل، رأَسَ حزبَ الليكود (حركة حيروت– تاريخيًّا) أربعةُ شخصيّات، شكّلوا كلّهم حكومات في إسرائيل: مناحيم بيچن؛ يتسحاق شامير؛ أريئيل شارون؛ نتنياهو. يختلف نتنياهو عن الثلاثة الأوائل. فكلّهم من رعيل المؤسّسين، وهو من مواليد إسرائيل (عام 1949). اثنان منهم (شامير وشارون) جاءا على شرعيّة ارتكزت أيضًا على خلفيّتهم العسكريّة (Mitchell, 2015)؛ شامير بدوره في عصابة الليحي التي حاربت في عام 1948، وانخراطه في الجهاز الأمني الإسرائيليّ لاحقًا، والثاني الذي لُقّب «ملك إسرائيل»، شارك تقريبًا في كلّ حروب إسرائيل، وكان

جنرالًا ترك بصمة في العسكريّة الإسرائيليّة. أمّا مصدر شرعيّة بيچن، فكان يعود إلى كونه الأبَ المؤسّس للّيكود وقائدَه التاريخيّ، والمُعارضَ الشرس لداڤيد بِنْچوريون. في المقابل، لأنّ نتنياهو يفتقر إلى كلّ هذه المصادر من الشرعيّة، طوّر منظومة «خبير الإرهاب» كمصدر شرعيّة جديد، فضلًا عن تأجيج الكراهيَة وإشاعة الخوف في صفوف الإسرائيليّين؛ فإذا كان بيچن يتميّز بخطاب شعبويّ احتوائيّ، فإنّ نتنياهو تميّز بخطاب شعبويّ إقصائيّ.

ونعود إلى مسيرته السياسيّة... عزّز نتنياهو علاقاته مع الإدارة الأمريكيّة الجمهوريّة، ومع وسائل الإعلام الأمريكيّة، وكان يشدّد على علاقته الشخصيّة مع رئيس الحكومة شامير ووزير الدفاع أرنس (كانت تحكم إسرائيلَ آنذاك حكومةُ وَحدة وطنيّة- 1984-1988)، وكان يَعتبر نفسَه أهمّ من السفير الإسرائيليّ في واشنطن. كان ظهور نتنياهو الإعلاميّ في الولايات المتّحدة، ومنصبه كمندوب إسرائيل في الأمم المتّحدة، مرحلة مهمّة في انطلاقته الشخصيّة القويّة في الحقل السياسيّ الإسرائيليّ بعد ذلك. وفعلًا، بعد انتهاء مدّة عمله في الأمم المتّحدة، انتُخب نتنياهو في المكان الخامس في قائمة الليكود لانتخابات عام 1988، وكان ذاك نجاحًا باهرًا بالنسبة له؛ فقد برز كشخصيّة سياسيّة حزبيّة لامعة، واستطاع أن يحصل على ثقة أعضاء الليكود، والتواصل مع فروع الحزب. كان الليكود في ذاك الوقت يبحث عن شخصيّات جديدة شابّة وكارزماتيّة، ووجد ذلك في شخصيّة نتنياهو، إلّا أنّ شامير رفض لاحقًا تعيينه وزيرًا في الحكومة على الرغم من نجاحه البالغ في الانتخابات الداخليّة، وعُيّن نائبًا لوزير الخارجيّة آنذاك، داڤيد ليڤي. وعيّنه لاحقًا نائبَ وزير في مكتب رئيس الحكومة. خاضت هذه الحكومة تحدّيَ حرب الخليج الأولى،

وكان نتنياهو أحد أبرز المتحدّثين عن الحكومة في وسائل الإعلام العالميّة خلال الحرب، فقد كان راعيه السياسيُّ، موشيه أرنس، وزيرًا للدفاع. وبعد الحرب، جاءت المبادرة الأمريكيّة لعقد مؤتمر مدريد للسلام، وسيكون لنتنياهو دَور مركزيّ فيه.

يشير الكاتبان چادي بلوم ونير حيفتس، في كتابهما «الراعي» حول سيرة شارون الذاتيّة، أنّ شارون عارض أن يشارك يتسحاق شامير في مؤتمر مدريد للسلام، ويؤكّدان أنّ شامير قام خلال هذه الفترة بإقصاء شارون الذي كثّف من البناء في المستوطنات بوصفه وزيرًا للإسكان، وقرّب إليه بنيامين نتنياهو الذي شغل في تلك الأثناء منصب نائب وزير الخارجيّة. حاول شارون إفشال مؤتمر مدريد؛ ففي كلّ زيارة كان يقوم بها وزير الخارجيّة الأمريكيّ جيمس بيكر لإسرائيل والمنطقة للتحضير لمؤتمر مدريد، كان يستقبله شارون ببناء المزيد من الوحدات السكنيّة في المستوطنات، وإقامة مستوطنات جديدة نحو: بات عين؛ فْتِيحيفتس؛ طلمون؛ عوفريم (بلوم وحيفتس، 2005، ص 453). عشيّة انعقاد مؤتمر مدريد، أعلن شارون عن عزمه منافسة شامير على قيادة حزب الليكود، وكان هذا الإعلان دراماتيكيًّا؛ إذ لم ينافس أحدٌ شامير على قيادة الليكود، ولا سّيما قادته التاريخيّين (شارون؛ موشيه أَرِنْس- وزير الدفاع؛ داڤيد ليڤي- وزير الخارجيّة). في هذه الفترة، تدهورت كذلك علاقة داڤيد ليڤي بشامير، حيث فضّل الأخيرُ نائبَ وزير الخارجيّة (بنيامين نتنياهو) عليه في إشراكه في التحضيرات لمؤتمر مدريد، وهمّش ليڤي كوزير للخارجيّة. وعلى الرغم من أنّ الدول العربيّة المشارِكة في المؤتمر أعلنت أنّها ستبعث بوزراء خارجيّتها ممثّلين لها في المؤتمر، اختار شامير السفر برفقة نتنياهو للمشاركة في المؤتمر تاركًا ليڤي في إسرائيل. تحوّل نتنياهو

الذي رافق شامير إلى الناطق المركزيّ في وسائل الإعلام العالميّة لشرح موقف إسرائيل، مستغلًا مهارته في اللغة الإنجليزيّة وقدرته الخطابيّة والدعائيّة.

في هذه الفترة، تنبّه شارون أنّ عليه خوض الانتخابات بجِدّيّة على منصب رئيس حزب الليكود، وهذه المرّة خوفًا من النجم الصاعد الجديد في الحياة السياسيّة، بنيامين نتنياهو، الذي قد يشكّل بديلًا محتمَلًا لشامير بعد أن تعزّزت شعبيّته في السنوات الأخيرة، وحصل على شرعيّة شامير بوصفه متحدّثًا أوّل باسْم دولة إسرائيل، على حساب القيادات القديمة في الليكود. وقبل أيّام من افتتاح المؤتمر في تشرين الأوّل عام 1991، طالب شارون شامير بالاستقالة بسبب مشاركته في المؤتمر، وذلك تعزيزًا لمكانته في حزب الليكود (بلوم وحيفتس، 2005، ص 455). إلى جانب بداية صعود نتنياهو كبديل للقيادة في الليكود كما توقّع شارون، وهو ما حصل لاحقًا، كشف يسرائيل هرئيل أحد قيادات المستوطنين، ورئيس مجلس المستوطنات سابقًا، في مقالة له، أنّ بيني كتسوفير، وهو أحد قيادات حزب «هتحيا» اليمينيّ المتطرّف، والذي كان شريكًا في الائتلاف الحكوميّ في حكومة شامير، كشف أنّ نتنياهو عمل على إقناعهم لإسقاط حكومة شامير بسبب مشاركته في مؤتمر مدريد، وهو الذي شارك في المؤتمر نفسه، حيث هاتف نتنياهو رئيس الحزب، يوڤال نئمان، وطلب منه تهديد شامير بالانسحاب من الحكومة، لأنّه (أي شامير) على وشك الانهيار في المحادثات، وطالبه «بإيقاف شامير عند حدّه» (هرئيل، 2017). وجاء مقال هرئيل في أعقاب الضغط الذي يمارسه نتنياهو على اليمين الإسرائيليّ بعدم الانجرار وراء مطالبته بالاستقالة بسبب قضايا الفساد، لأنّ ذلك سيعيد سيناريو

إسقاط حكومة شامير التي أدّت إلى توقيع اتّفاق أوسلو لاحقًا، باعثًا برسالة إلى اليمين أنّ إسقاطه سيؤدّي إلى أوسلو جديد. وهو ما دفع قيادة حزب هتحيا إلى الخروج ضدّ نتنياهو بهذا الخصوص، لتفنيد ادّعائه بشأن دَورهم في إسقاط حكومة شامير.

على أيّة حال، حدّد حزب الليكود شهر شباط من العام 1992 موعدًا لانتخابات رئيس الحزب، وفي هذه الدورة تنافس نتنياهو على العضويّة في قائمة الليكود فقط. بينما شارون الذي كان يأمل في الفوز في هذه الانتخابات برئاسة الحزب حصل على المركز الثالث بنسبة 22%، بينما حصل شامير على 46% وداڤيد ليڤي على 31%. في هذه الانتخابات، حصل نتنياهو على الموقع الخامس في قائمة الليكود للانتخابات كما ذكرنا سالفًا. في الانتخابات العامّة في إسرائيل في العام نفسه، خسر الليكود الحكم، وصعد حزب العمل إلى الحكم من جديد بقيادة يتسحاق رابين. في أعقاب الخسارة، اندلعت في الليكود حروب داخليّة بين القيادات القديمة، وهو ما أفاد منه النجم الصاعد نتنياهو الذي عرض نفسه كقيادة جديدة في الحزب، ولا سيّما في أعقاب قضايا الفساد التي بدأت تنكشف في فترة سنوات حكم الليكود الأخيرة، والتي أخرجت مئات الآلاف من المتظاهرين إلى الشوارع رافعين شعار «سئمنا من الفاسدين»، وهي الاحتجاجات التي استغلّها حزب العمل جيّدًا في حملته الانتخابيّة التي حملت شعار «إسرائيل تنتظر رابين».

قبل خسارة الليكود الحكم، أقرّ الحزب قانون الانتخابات المباشرة لرئاسة الحكومة، على أن يجري ذلك لأوّل مرّة في الانتخابات التي تعقب انتخابات عام 1992، وكان نتنياهو من المؤيّدين البارزين لهذا التغيير، وربّما كان هذا أحد الأسباب التي تفسّر تأنّيه في المنافسة

على رئاسة الليكود عام 1992، فضلًا عن تمرُّغ حزب الليكود في قضايا فساد أراد نتنياهو الابتعاد عنها، وتحضير نفسه لانتخابات رئاسة الليكود القادمة.

في أعقاب هزيمة الليكود في الانتخابات، أعلن شامير عن استقالته من رئاسة حزب الليكود، الأمر الذي فتح المنافسة على رئاسة الحزب، بين الجيل القديم (شارون؛ أرنس؛ ليفي) والجيل الجديد (موشيه كتساف؛ مئير شطريت؛ بيني بيچن)، إلّا أنّ شخصيّة نتنياهو كانت الأبرز، وقام بتعزيز مواقعه في الحزب وداخل فروعه. وبعد إعلان أرنس عن عدم رغبته في الترشّح لرئاسة الحزب، أعلن نتنياهو على نحو رسميّ عن ترشّحه لهذا المنصب. في شهر تشرين الثاني عام 1992، انعقد مركز الليكود لمناقشة مسألة إعادة ترميم الحزب. في هذا الاجتماع، اقترح نتنياهو تبنّي طريقة الانتخابات التمهيديّة (البرايمريز) لاختيار رئيس الحزب وقائمة مرشّحيه للكنيست. وفيه كذلك ظهر نتنياهو قائدًا حقيقيًّا للحزب؛ فقد استقبله أعضاء الحزب بالترحيب الشديد. أدرك شارون، الذي توقّع صعود نتنياهو في فترة شامير، أنّ آماله في الفوز برئاسة الحزب أمام نتنياهو ليست كبيرة، فأعلن عدم خوضه المنافسة على المنصب. أمّا نتنياهو الذي كان يحتاج إلى تأييد 75% من أعضاء مركز الليكود لتمرير فكرة الانتخابات التمهيديّة (وهي نسبة كبيرة كانت تحتاج إلى جهود فائقة لإقناع الحزب بها)، فقد حصل بشأن تبنّي فكرة الانتخابات التمهيديّة على تأييد 80%. بذا كانت هذه الخطوةَ الأولى التي يقوم بها نتنياهو وتُظهر على نحوٍ غير قابل للشكّ أنّ الليكود يمرّ بمرحلة جديدة، بقيادة شابّ جديد احتلّ مواقع الحزب وهزم القيادةَ القديمة والقيادةَ الجديدة الصاعدة من الحكم المحلّيّ (شِطْريت وكَتْساف)،

وهزم طبقة «الأمراء» في الحزب –وهو اللقب الذي أُطلق على أبناء قيادات الليكود من الرعيل الأوّل (من بين هؤلاء: بيني بيچن ودان مريدور).

في الانتخابات التمهيديّة التي جرت لأوّل مرّة في الليكود في الرابع والعشرين من آذار عام 1993، فاز نتنياهو برئاسة حزب الليكود بأغلبيّة الأصوات (52%)، بينما حصل داڤيد ليڤي على 26% من الأصوات، وحصل بيني بيچن (نجل مناحيم بيچن) على 15%، ولم يحصل موشيه كتساڤ على أكثر من نسبة 7% من الأصوات. كان فوز نتنياهو كبيرًا، إذ أحدثَ زلزالًا في حزب الليكود وفي الحياة السياسيّة في إسرائيل عمومًا؛ فلأوّل مرّة يرئس حزبَ الليكود سياسيٌّ من الرعيل الثاني (بعد مناحيم بيچن ويتسحاق شامير)، وسيكون في ما بعد أوّلَ رئيس حكومة وُلِد بعد قيام دولة إسرائيل.

جاء فوز نتنياهو على الرغم من تكشُّف أوّل مشكلة شخصيّة لاحقته؛ فقبْل الانتخابات التمهيديّة في الحزب، وتحديدًا في الرابع عشر من شهر كانون الثاني عام 1993، ظهر نتنياهو على التلفزيون الإسرائيليّ كاشفًا عن أنّ هنالك أشخاصًا هدّدوه بنشر تسجيل له يؤكّد وجود علاقة غراميّة له مع امرأة أخرى (اتّضح لاحقًا أنّ اسمها روت بار، وهي امرأة متزوّجة عملت في مجال العلاقات العامّة في مكتب نتنياهو)، وذلك إذا لم يسحب ترشيحه من رئاسة حزب الليكود، وقد اعترف نتنياهو خلال اللقاء التلفزيونيّ أنّه كانت له علاقة مع امرأة أخرى خارج حياته الزوجيّة، وأنّ هذه العلاقة استمرّت لفترة وجيزة وانتهت، مشدِّدًا أنّ هذا الأمر يخصّه شخصيًّا طالبًا العفو من زوجته سارة. وقال نتنياهو في اللقاء نفسه إنّه يعرف مَن يقف وراء هذا التهديد، مشيرًا أنّه لا يستحقّ أن يكون من قيادات الدولة.

وتلك مقولة وجّهت الأنظار صوب داڤيد ليڤي الذي أنكر صلته بالموضوع. الغريب في هذه القصّة أنّ نتنياهو قدّم شكوى للشرطة بهذا الخصوص، إلّا أنّه لم يتوصّل إلى معرفة هُويّة من يقف وراء التهديد، ولم يثبت وجود تسجيل، أو وجودًا لتهديد وُجِّه لنتنياهو أصلًا. طالب داڤيد ليڤي من نتنياهو بالاعتذار له، وهو ما فعله نتنياهو بعد عامين من تفجُّر القضيّة. هذه القضيّة ستلاحق نتنياهو إلى ما قبل انتخابات عام 1996 بأسبوع، حيث وصل إلى مسامعه أنّ وسيلة إعلام مركزيّة سوف تنشر تقريرًا عن هذه القضيّة. حاول نتنياهو، بكلّ ما أُوتِيَ من قوّة وبشبكة علاقاته، إحباطَ أو تجميد نشر التقرير، من خلال الاتّصال بشخصيّات مقرَّبة من رئيس تحرير هذه الصحيفة، وفي النهاية توجّه إلى أريئيل شارون الذي كانت لديه علاقة مقرّبة من رئيس التحرير، ونجح في وقف نشر التقرير، ومنذ ذلك الوقت يحمل نتنياهو موقفًا معاديًا للإعلام معتبِرًا أنّ وسائل الإعلام تحاول الإطاحة به وإفشاله (ڤيردي، 1997).

بعد انتخاب نتنياهو لرئاسة حزب الليكود، بدأت فترة «الدكتاتور»، وهو لقب أطلقه مكسيم ليڤي (رئيس بلديّة اللدّ، وشقيق داڤيد ليڤي) على نتنياهو (بلوم وحيفتس، 2005، ص 465). فقد قام نتنياهو، بمساعدة المدير العامّ لحزب الليكود الجديد، أفيچدور ليبرمان، الذي عيّنه بُعَيْد انتخابه، قام بتغيير دستور الحزب، بحيث منح الدستورُ الجديد رئيسَ الحزب صلاحيات غير مسبوقة. في ما بعد، سيطر نتنياهو بمساعدة ليبرمان على كلّ فروع الليكود في إسرائيل، حيث دعم مؤيّدوه مَن هُم في صفّ نتنياهو وأضعفوا مَن هُم في صفّ الآخرين من قيادات الليكود القديمة. في هذه الأجواء، تعزّزت سيطرة نتنياهو على حزب الليكود، ولا سيّما عندما قاد الليكودَ

نحو فوز كبير في الانتخابات المحلّيّة في نهاية عام 1993، حيث فاز مرشّحو الليكود برئاسة المدن الكبيرة؛ فلأوّل مرّة يتقلّد مرشّح الليكود منصب رئاسة بلديّة القدس (إيهود أولمرت)، وفاز مرشّحو الليكود برئاسة مدن كبيرة ومهمّة، نحو: تل أبيب؛ بئر السبع؛ رمات چان ... عزّز فوز الحزب في الانتخابات المحلّيّة قيادة نتنياهو، وأعطت التغييرات التي أحدثها في الحزب مصداقيّة، وقرّبته بخطوة كبيرة نحو رئاسة الحكومة.

1.2 التحريض على رابين وفوزه برئاسة الحكومة

«قتلتَ وأيضًا ورثتَ» –انتشرت هذه المقولة التوراتيّة بعد فوز نتنياهو برئاسة الحكومة عام 1996، للدلالة على الدور التحريضيّ الذي قام به نتنياهو قُبَيْل اغتيال رابين. قاد نتنياهو حملة التحريض على حكومة يتسحاق رابين في أعقاب توقيع اتّفاق أوسلو في أيلول عام 1993. في آذار عام 1994، شارك نتنياهو في مظاهرة كبيرة في الخليل، وذلك قبل وصول الشرطة الفلسطينيّة إلى المدينة. في هذه المظاهرة رُفعت رسومات لرابين بصورة فرعون مصر، كُتِب عليها «تجاوزنا فرعون وسنتجاوز هذا أيضًا». استمرّت مظاهرات اليمين بالتصاعد والشراسة، ولا سيّما بعد عمليّات التفجير في عام 1994 إثر توقيع اتّفاق أوسلو، العمليّات التي نفّذتها حركة حماس انتقامًا لشهداء مجزرة الحرم الإبراهيميّ الشريف في الخليل من العام نفسه، والتي قتلت عشرات الإسرائيليّين. وعشيّة وصول عرفات إلى غزّة، نظّم اليمين مظاهرة كبيرة في القدس، شارك فيها نتنياهو الذي هاجم الحكومة لأنّها سمحت لعرفات بدخول قِطاع غزّة. في هذه المظاهرة صرخ الحضور بأنّ رابين خائن. بينما كانت المظاهرة الأكثر تحريضًا على رابين وشارك فيها نتنياهو تلك التي نُظّمت

في القدس في تشرين الأوّل عام 1995، في أعقاب التوقيع على اتّفاق أوسلو «ب» (اتّفاق طابا)، حيث وقف نتنياهو على شرفة في «كيكار تْسِيُون» (ساحة صهيون)، نازعًا شرعيّة حكومة رابين التي تعتمد على العرب (يقصد الأحزاب العربيّة التي دعمت الحكومة من خارج الائتلاف الحكوميّ والتي سُمِّيت الكتلة المانعة، وبفضلها أُقِرّ اتّفاق أوسلو في الكنيست). في هذه المظاهرة، رُفِعت صور رابين وهو في زيّ الشرطة النازيّة (إس إس) ولافتات كُتِب عليها «رابين خائن» وَ «رابين قاتل»، وصورة رابين مع كوفيّة بجسم كلب (دلالة على الشريك الفلسطينيّ)، وأُحرقت صور رابين، وهي المظاهرة التي عَلِقت في الذاكرة الإسرائيليّة (اليساريّة طبعًا) كمظاهرة أسهمت في التحريض المباشر على قتل رابين، وبخاصّة أنّ نتنياهو لم يعترض أو يحتجّ خلال المظاهرة على هذه الصور والأصوات، وهو ما نفاه نتنياهو لاحقًا. في مظاهرة أخرى ضدّ حكومة رابين في الشهر نفسه نُظِّمت في مستوطنة «إفرات» في الضفّة الغربيّة، أعلن الحاخام الرئيسيّ للمستوطنة أنّ نتنياهو هو رئيس الحكومة القادم لدولة إسرائيل. وفي الرابع من تشرين الثاني عام 1995، اغتيل رابين خلال مشاركته في مظاهرة في تل أبيب دعمًا لحكومته. في جنازة رابين رفضت عقيلته، ليئا رابين، مصافحة نتنياهو، وهكذا تحوّل نتنياهو من نجم صاعد وقائد منتظر (عطفًا على المسيح المنتظر) لرئاسة الحكومة إلى شخصيّة غير مرغوب بها في صفوف شرائح كبيرة في المجتمع الإسرائيليّ.

في كتاب «الراعي» (بلوم وحيفتس، 2005)، يشير مؤلِّفا الكتاب أنّه في الوقت الذي حملت عائلة رابين موقفًا مناهضًا لنتنياهو بُعَيْد مقتل رابين، استُقبِل شارون بحميميّة في بيت عزاء العائلة، على الرغم

من أنّ الاثنين شاركا وخَطَبا في تلك المظاهرات نفسها التي اتّسمت بتحريض ضدّ رابين (بلوم وحيفتس، 2005، ص 479). وفي الإمكان أن يُعزى هذا التباين في موقف عائلة رابين إلى عاملَيْن: الأوّل أنّ الجذور الأيديولوجيّة لشارون تعود إلى تلك المنظومة الفكريّة والأمنيّة والسياسيّة التي آمن بها رابين، أي حركة «مپاي» كما صاغها بِنْچوريون؛ والثاني أنّه ربّما ترسّخت لدى عائلة رابين (ومُجْمَل اليسار الصهيونيّ في ذلك الوقت) أنّ معارضة شارون لرابين كانت أيديولوجيّة ولم تكن شخصيّة، بينما مزج نتنياهو بين الأيديولوجيّ والعداء الشخصيّ لرابين، فضلًا عن أنّ نتنياهو كان منافس رابين على قيادة الدولة، وتأثيره على الجمهور كان أكبر من تأثير شارون. ففي مقابلة مع عقيلة رابين، ليئا (تُوفّيت عام 2000)، قالت إنّها لن تسامح نتنياهو أبدًا، فهو كان «مهندس التحريض» على زوجها (شمولي، 2000).

أدّى مقتل رابين إلى تراجع في شعبيّة نتنياهو؛ فبعد أن منحته استطلاعات الرأي تفوّقًا على رابين بنسبة 10% في نهاية عام 1994، منحت پيرس تفوّقًا كبيرًا على نتنياهو بفارق 30% بعد مقتل رابين والصدمة التي أصابت المجتمع الإسرائيليّ في أعقاب الاغتيال (منديلوڤ ي.، 1999، ص 243). كانت مَهمّة نتنياهو صعبة في إعادة إنتاج قيادته لليكود من جديد بعد الجوّ العامّ الذي ساد المجتمع الإسرائيليّ في أعقاب الاغتيال، حيث وُجّهت إليه مسؤوليّة مباشرة على التحريض ضدّ رابين. فبعد أن عزّز سيطرته على الحزب ومؤسّساته، بمساعدة ليبرمان، صدرت مبادرة من داخل الحزب تهدف إلى تغيير نتنياهو واستبداله بأحد أمراء الليكود، دان مريدور، وهو يمينيّ ليبراليّ وشغل منصب وزير القضاء في حكومة

شامير، وفي عهده شُرّعت قوانين أساس[2] ذات طابع ليبراليّ، مثل قانون أساس حرّيّة الإنسان وكرامته.

وفي هذه الظروف، ظهرت مرّة أخرى عوامل أسهمت في فوز نتنياهو لاحقًا في انتخابات رئاسة الحكومة، علمًا أنّ انتخابات عام 1996 كانت أوّل انتخابات تجري حسب طريقة الانتخابات المباشرة لرئاسة الحكومة، بحيث يصوّت الناخب ببطاقتين، واحدة للحزب والأخرى لرئاسة الحكومة. على المستوى الداخليّ وقف شارون، خصم نتنياهو، هذه المرّة إلى جانبه وعارض تغييره بمرشّح جديد، وأيّد الإبقاء على نتائج الانتخابات التمهيديّة التي جرت عام 1993، وهي التي انتُخب فيها نتنياهو رئيسًا للحزب ومرشّحًا لرئاسة الحكومة. كذلك قام نتنياهو بصياغة خطاب جديد معتبرًا أنّ مَهمّة حكومته لن تكون إلغاء اتّفاقيّات أوسلو، بل الحفاظ على ما تبقّى من «أرض إسرائيل»، مؤكّدًا أنّ إسرائيل لن تحتلّ من جديد قِطاع غزّة، ولن تفكّك السلطة الفلسطينيّة، ولكنّه أكّد أنّه «ليس هنالك سبب لتوسيع مساحة الحكم الذاتيّ» (منديلوف ي.، 1999، ص 244).

وعلى الرغم من أنّ الانتخابات كانت ببطاقتين، فإنّ تجنيد أحزاب لدعم مرشّح معيّن والإعلان عن ذلك كانت تُعتبر هامّة لفوزه. وفعلًا، بمساعدة شارون استطاع نتنياهو تشكيل قائمة تحالف

2. هي قوانين ذات صفة دستوريّة، جاءت للتعويض عن غياب دستور في إسرائيل، أو قوانين ستشكّل أساسَ الدستور المستقبليّ لها. وقوانين الأساس هي قوانين لا يمكن تعديلها أو تغييرها إلّا بأغلبيّة أعضاء الكنيست (61 عضوًا على الأقلّ)، لا بأكثريّة عاديّة تُميّزُ التعديلات في القوانين العاديّة وتشريعها. هنالك أربعة عشر (14) قانون أساس في إسرائيل، نحو قوانين الأساس التالية: الكنيست؛ الحكومة؛ القضاء؛ الجيش؛ حرّيّة الانسان وكرامته...

لانتخابات الكنيست تكوّنت من الليكود، وحزب «تسومت» برئاسة رفائيل إيتان، وحزب «چيشر» برئاسة داڤيد ليڤي (الذي انسحب من الليكود على خلفيّة صراعه من نتنياهو). وقد منح نتنياهو كِلا الحزبين تمثيلًا متساويًا في قائمة الليكود: سبعة أعضاء لكلّ حزب في المقاعد الأربعين الأولى. في هذه الأثناء، انضمّ الجنرال يتسحاق مردخاي إلى الليكود (وهو الذي سيعيّنه نتنياهو لاحقًا وزيرًا للدفاع) وفاز بالمكان الأوّل في الانتخابات التمهيديّة للحزب، وجاء شارون في المركز الثاني. وهكذا استطاع نتنياهو أن يعيد ترميم الحزب، والأهمّ أنّه تمكّن من ترميم مكانته فيه وتعزيز آماله في الفوز.

بَيْدَ أنّ أحداثًا أخرى أدّت دَورًا لا يقلّ أهمّيّة في فوز نتنياهو برئاسة الحكومة. فبعد اغتيال رابين، انتُخب شمعون پيرس لرئاسة الحكومة من قِبل الائتلاف الحكوميّ القائم، ولم يستغلّ تفوُّقه الكبير على نتنياهو بعد الاغتيال معلنًا عن انتخابات مباشرة وسريعة، حيث أراد پيرس أن يحكم فترة معيّنة قبل الانتخابات، حتّى يفوز بجهوده، وإثبات جدارته بالمنصب، لا بفضل الظروف التي وفّرتها له عمليّة الاغتيال. وهكذا جرى تعيين موعد الانتخابات في أيّار عام 1996، أي بعد اغتيال رابين بنصف عام. استغلّ نتنياهو هذه الفسحة الزمنيّة أفضل استغلال، وبدأ ببناء إستراتيجيّة انتخابيّة مستعينًا بخبراء في الحملات الانتخابيّة، وعلى رأسهم شخصان: أرثور فنكلشطاين وإيال أراد، وهما خبيران في الحملات الانتخابيّة وكان لهما دَوْر، ولا سيّما فنكلشطاين، في فوز مرشّحين من الحزب الجمهوريّ برئاسة الولايات المتّحدة الأمريكيّة. وهكذا أدخَلَ نتنياهو الثقافة الأمريكيّة إلى الحملة الانتخابيّة الإسرائيليّة.

أظهرت استطلاعات للرأي آنذاك أنّ 85% من الجمهور اليهوديّ

يعارضون بشدّة أيّ تنازل في القدس، وأنّ 56% منه يعارضون الانسحاب من هضبة الجولان، وأنّ نسبة 50% من هذا الجمهور تعارض إقامة دولة فلسطينيّة (نويبخ، 1996، ص 36). أدرك نتياهو أنّ قضيّة القدس تُعتبر قضيّة مركزيّة لدى الجمهور اليهوديّ، وهو ما أوحى له ولمستشاريه الانتخابيّين فكرة إطلاق شعار حملتهم الانتخابيّة الذي تمثّل في أنّه «بيرس سوف يُقسّم القدس». لم تنحصر أخطاء بيرس في عدم إجراء الانتخابات مباشرة بعد الاغتيال، بل لقد أصدر هو نفسه أمرًا باغتيال يحيى عيّاش (أحد أهمّ قياديّي الجناح العسكريّ في حركة حماس، والذي كان «مهندس» العمليّات التفجيريّة في إسرائيل)، وأعلن عن حملة عسكريّة على لبنان، سُمّيت «عناقيد الغضب»، وذلك قبل أسابيع قليلة من الانتخابات. كان بيرس يبتغي من خلال هاتين العمليّتين بناءَ شخصيّته كزعيم أمنيّ قادر على اتّخاذ قرارات عسكريّة، لا «رجل سلام» يقدّم تنازلات، ولا سيّما أنّه كان يشغل منصب وزير الدفاع إلى جانب كونه رئيس الحكومة (وهما منصبان ورثهما عن رابين بعد اغتيال الأخير). فشل بيرس في تحقيق أهدافه من هاتين العمليّتين، وأسهمتا في تعزيز آمال نتياهو بالفوز؛ فبعد اغتيال يحيى عيّاش انتقمت له حركة حماس بسلسلة من العمليّات التفجيريّة داخل إسرائيل، ممّا أعاد إلى الصدارة قضيّة الأمن الشخصيّ لتَكُون قضيّة مركزيّة في المجتمع الإسرائيليّ، وهكذا عاد نتياهو مع هذه التفجيرات إلى مرحلة شعبيّته التي سبقت اغتيال رابين، والتي رافقت كونه «خبيرًا في الإرهاب»؛ فقد غيّبت هذه التفجيرات الصدمةَ التي خلّفها اغتيال رابين على وعي المجتمع الإسرائيليّ، وأعادت إلى الأذهان الفترة الأمنيّة الصعبة التي سبقت الاغتيال. إلى جانب ذلك، فشلت عمليّة «عناقيد الغضب» في تحقيق أهدافها السياسيّة، وجلبت على إسرائيل نقدًا دوليًّا واسعًا،

وبخاصّة بعد المجزرة التي ارتكبها الجيش الإسرائيليّ في بلدة قانا اللبنانيّة، تلك المجزرة التي أدّت إلى مقتل نحو مئة مدنيّ، من بينهم أطفال. وبمهارة نتنياهو الانتخابيّة والسياسيّة البارعة، تمكّن من استغلال كلّ الظروف في طموحه نحو رئاسة الحكومة؛ فمن جهة سوّق للجمهور اليهوديّ أنّ بيرس سيُقسّم القدس، ومن جهة ثانية أدرك أنّ المجتمع اليهوديّ لم يقتنع تمامًا بفكرة أيديولوجيّة الليكود المتمثّلة في فكرة «أرض إسرائيل الكاملة»، فأعلن عن تأييده الانفصال عن الفلسطينيّين، ولكن مع الحفاظ على الأمن الشخصيّ، وهكذا جاء الشعار الثاني لليكود في الانتخابات «نتنياهو: نصنع سلامًا آمنًا». وهكذا انتصر نتنياهو الشابّ الطمّاح على شيخ السياسة الإسرائيليّة، بيرس، فقد حصل نتنياهو على 50.5% من الأصوات، وحصل بيرس على 49.5%. هذا الانتصار أعلن عن بداية حقبة جديدة في الحقل السياسيّ الإسرائيليّ.

1.3 زرْع بذور جمهوريّة اليمين الجديدة في دورة نتنياهو الأولى

تشير الأدبيّات السياسيّة الإسرائيليّة أنّ فترة نتنياهو الأولى في الحكم (1996–1999) كانت فاشلة (منديلوف ي.، 2001). فقد تميّزت بضعف قدرة الحكومة على تنفيذ قراراتها، وعانت إسرائيل في فترة حكمه من كساد اقتصاديّ وارتفاع في معدّلات البطالة، وخضع نتنياهو للضغوط الأمريكيّة لإكمال المفاوضات مع منظّمة التحرير الفلسطينيّة، ممّا جعل اليمين الأيديولوجيّ الذي عارض اتّفاق أوسلو يرى فيه قائدًا ضعيفًا لليمين. علاوة على ذلك، فشلَ نتنياهو في مشروعه في تغيير أو إضعاف النخَب القديمة، تلك التي تجنّدت ضدّه للحفاظ على امتيازاتها، ومن هذه الفترة يمكن تأريخ الصراع بينه وبين هذه النخَب، كما ظهرت قضايا فساد سياسيّ

تورّط فيها نتنياهو، وخاصة قضيّة محاولة تعيين المحامي روني بارؤون مستشارًا قضائيًّا للحكومة، التي كانت جزءًا من صفقة عقدها نتنياهو مع حركة «شاس» الدينيّة، بغية الحصول على دعمها في تنفيذ إعادة انتشار الجيش الإسرائيليّ في الخليل حسب تفاهمات «وايْ پْلانتيشن» في تشرين الأوّل عام 1998، وبالمقابل يوافق نتنياهو على تعيين بارؤون مستشارًا للحكومة، وهو الذي تعهّد بأن يوقّع، في حالة تعيينه، صفقة مخفَّفة في قضايا فساد كان رئيس حزب «شاس»، أرييه درعي، متورّطًا فيها. في وقت لاحق، أغلق المستشار القضائيّ الجديد، إلياكيم روبنشتاين، ملفّ نتنياهو وأبقى على ملفّ درعي في هذه القضيّة، وذلك لأنّه لم تتوافر أدلّة قاطعة تُدين نتنياهو في هذا الملفّ. علاوة على هذا، تميّزت فترة نتنياهو الأولى باحتدام النقاش بين المتديّنين والعلمانيّين على نحوٍ لم يسبق له مثيل؛ وذلك لاعتماده الشديد على الأحزاب الدينيّة في تشكيل وبقاء حكومته (بشارة، 2005، ص 237). على الرغم من كلّ ما قيل بشأن هذه الفترة، ثمّة شواهد كثيرة تدلّل على أنّ هذه الدورة لم تكن فاشلة، ولذا ترمي الفقرات التالية إلى تفنيد المقولة التي تزعم أنّ نتنياهو فشل في هذه الدورة، وأنّ هذه الفترة على وجه التحديد أسّست لهيمنة اليمين الشعبويّ والمتديّن لاحقًا.

كان نتنياهو أوّلَ رئيس حكومة من خارج رعيل المؤسّسين في إسرائيل، أي الرعيل الذي كان شريكًا بصورة أو بأخرى في قيام دولة إسرائيل، وكان أوّلَ رئيس حكومة يولد بعد قيام إسرائيل، وأوّل رئيس حكومة يُنتخب حسب طريقة الانتخابات المباشرة، كما كان نتنياهو السياسيَّ الذي أدخل إلى ثقافة الحقل السياسيّ الإسرائيليّ النمطَ الأمريكيَّ في الحملات الانتخابيّة في إسرائيل، على نحو: تنظيم الحملة

الانتخابيّة بالطريقة الأمريكيّة عبْر الاستعانة بمستشارين مهنيّين؛ التركيز على صفات وقدرات الفرد الشخصيّة ومَلَكَته الخطابيّة؛ استخدام وسائل الإعلام بكثافة؛ التسويق السياسيّ... (ليشم، 2017). في هذه الحملة، أظهر نتنياهو كراهيَته لليسار عندما همس في أذن الحاخام كدوري جملته المشهورة التي التقطتها وسائل الإعلام: «اليسار نسيَ ما يعنيه أن تكون يهوديًّا».

تنسجم هذه المقولة مع مشاركة نتنياهو كرئيس للمعارضة في حملة التحريض ضدّ حكومة يتسحاق رابين بسبب توقيعها اتّفاق أوسلو، وتركّز الذاكرة التاريخيّة الإسرائيليّة على مشهد مشاركة نتنياهو في مظاهرة في القدس في الخامس من تشرين الأوّل عام 1995، عندما خطب نتنياهو في الحضور، الذي رفع صور رابين بلباس الشرطة النازيّة السرّيّة (إس إس)، وهتفوا قائلين إنّ رابين هو خائن، وغيرها من الهتافات التي تهدر دمه، إلّا أنّ الذاكرة التاريخيّة لا تذكر أهمّ جملة قالها نتنياهو في خطابه المذكور، تلك التي اعتبر فيها حكومة رابين غير شرعيّة لأنّها اعتمدت على دعم الأحزاب العربيّة في إقرار اتّفاق أوسلو (الكتلة المانعة)، حيث قال نتنياهو في هذه المظاهرة إنّ اتّفاق أوسلو أُقِرّ بدعم «أغلبيّة غير صهيونيّة تشمل خمسة ممثّلين للأحزاب العربيّة المتضامنة مع منظّمة التحرير الفلسطينيّة» (چلنور وبلاندر، 2013، ص 938).

تميّزت قرارات نتنياهو في فترته الأولى بالتسرّع وعدم إدراكه لانعكاسات قراراته. حاول نتنياهو في بداية حكمه التنّصل من اتّفاق أوسلو، عبْر تجاهل التعهّدات التي أبرمتها الحكومة السابقة في إطار الاتّفاق، وكان القرار الأساسيّ الأوّل الذي اتّخذه في هذا السياق، هو فتح نفق تحت الجدار الجنوبيّ من المسجد الأقصى المبارك في أيلول

عام 1996، وذاك أدّى إلى مقاومة الفلسطينيّين لهذا القرار واندلاع مواجهات بينهم وبين قوّات الجيش الإسرائيليّ، أسفرت عن مقتل سبعة عشر جنديًّا إسرائيليًّا واستشهاد مئة فلسطينيّ. وفي الشهر نفسه من العام الذي تلاه، حاولت إسرائيل اغتيال رئيس المكتب السياسيّ لحركة حماس، خالد مشعل، في عمّان عن طريق تسميمه. أخفقت تلك المحاولة، وأفضت في نهاية المطاف إلى خضوع إسرائيل لطلب أردنيّ بإرسال الترياق الذي يُبْطِل مفعول السمّ في جسد مشعل، والإفراج عن زعيم حركة حماس في السجون الإسرائيليّة، الشيخ أحمد ياسين.

في هذه الفترة، كان رئيس الموساد داني ياتوم. وفي العام الذي تلاه (1998) عيّن نتنياهو إفرايم هليفي رئيسًا جديدًا للموساد، وتحدّث هليفي في مقابلة معه عن ميزة نتنياهو في هذه الفترة، حيث يشير:

> *«نتنياهو إنسان ذكيّ جدًّا. خلال دقائق معدودة يستطيع أن يدرك كلّ الاعتبارات التي تتعلّق بقضيّة معيّنة، على كلّ اتّجاهاتها: في السياسة الداخليّة، وفي السياسة الخارجيّة، وفي انعكاسات أخرى. لديه قدرة إدراك لكلّ الأمور والتوصّل إلى قرار سريع جدًّا. في بعض الأحيان، الأمر يثير الإعجاب، وفي أحيان أخرى هذا متهوّر جدًّا، ويجب إخباره. عذرًا، لا يمكن التسرّع. عندما عُيّنتُ لمنصب رئيس الموساد، دعاني شارون، وزير الخارجيّة آنذاك، وقال لي بطريقته الوقحة: 'إذا فاجأك رئيس الحكومة نتنياهو باقتراح معيّن، فلا تقبله أبدًا. قل له إنّك بحاجة إلى التفكير في الأمر. إذا نسي الأمر في اللقاء القادم، فانسَ الموضوع أنت أيضًا، وإذا ذكّرك للمرّة الثانية بالاقتراح، فقل له إنّك تفحص ذلك'. نتنياهو سريع في اقتراح إجابات وحلول، والكلّ عنده يجب أن يكون دراماتيكيًّا. هو رجل إنتاج الدراما، لهذا الأمر إيجابيّات {...}، ولكن ليس دائمًا» (كارپل، 2016، ص.ص 40-42).*

مرّة أخرى يَعتبر الكثير من الباحثين والإعلاميّين الإسرائيليّين أنّ فترة نتنياهو السياسيّة الأولى كانت فاشلة، فقد ظهر كقائد سياسيّ متردّد في اتّخاذ القرارات، غير قادر على الوقوف أمام الضغوط الداخليّة والخارجيّة، محتال ولا يوثَق بكلامه، وينشر وعودًا للجميع بعضُها يناقض بعضَها الآخر، فضلًا عن شعور الضحويّة (الادّعاء الدائم أنّه ضحيّة ومطارَد) الذي يميّز خطابه، سواء أكان ذاك شعورًا حقيقيًّا أَم مفتعَلًا. تشير الصحفيّة أورلي أزولاي – كاتس في كتابها حول شخصيّة نتنياهو وانتخابات عام 1999 (وهو بعنوان «الشخص الذي انتصر على ذاته») أنّ معارضيه، ولا سيّما داخل حزب الليكود، بدأوا بالتعرّف على شخصيّته؛ وتتمثّل هذه الشخصيّة في كونه رجلًا مناورًا مخادعًا كاذبًا، يستغلّ مَن حوله لأهدافه الشخصيّة وإنْ أدّى ذلك إلى الإزراء بهم. تفكيره عميق وذكيّ جدًّا، ساحر، ولكنْ رؤيته قصيرة المدى تحرّكها أطماعه الشخصيّة في الحفاظ على كرسيّه. واقعه الأساسيّ هو الإعلام وصورته، أي العالم الافتراضيّ (أزولاي – كاتس، 1999). وتَستحضر الصحفيّة تصريحات أدلى بها دان مريدور، الذي شغل منصب وزير الماليّة في حكومة نتنياهو في دورته الأولى، واستقال بسبب نكث نتنياهو لوعوده له، فضلًا عن تراكم أسباب أخرى يتعلّق بعضها بفساد سياسيّ تورّط فيه نتنياهو، فحمَلَتْ مريدور على اتّخاذ قرار الاستقالة، كمثل آخرَيْن في حكومته الأولى (استقالة مردخاي من وزارة الدفاع، واستقالة دافيد ليفي من وزارة الخارجيّة). يصف مريدور شخصيّة نتنياهو على النحو التالي:

«كانت لبيبي مشكلة في سياسته. من جهة، صرّح أنّه سينفّذ اتّفاق أوسلو، ومن جهة أخرى شكّل ائتلافًا حكوميًّا ضيّقًا يعتمد على قواعد يمينيّة – دينيّة. شكّل حكومة تنطوي على تناقضات سياسيّة داخليّة، لكن ليست هذه هي الفظاعة

عنده، وإنّما شخصيّته؛ إذ كان يتصرّف وكأنّه يستطيع أن يخدع من جديد. بيبي هو امرؤٌ كلّما عرفتَه أكثر، أحببتَ ألّا تعرفه. من يعرفه لا يستطيع تحمُّله. كلّ قدراته هي قدرات ممثّل. منصّته هي التلفزيون. هناك يبدأ كلّ شيء وينتهي. بيبي فهم أحد الأمور المركزيّة في العالم الحديث، وهو الإعلام الجماهيريّ، وخاصة التلفزيون... لدى بيبي، الأمر المهمّ هو الانطباعُ لا الواقعُ. بالنسبة له، كلّ العالم عبارة عن شاشة، وليس هنالك أهمّيّة للواقع، بل الأهمّيّة هي للواقع الذي يجري إنتاجه من خلال الشاشة... هو رجل تسويق رائع، ولكن ليس لديه منتَج للتسويق. كان لبيچن وشامير منتَج، ولبيرس كان منتَج. لبيبي هنالك تسويق واحد {ربما يقصد: «منتَج»}: شخصيّة الزعيم. هو لا يعتمد على أحد، ولا يثق بأحد. عنده جوهر سياساته الجلوس صباحًا مع بعض المساعدين وصياغة «جملة اليوم». جملة يمكن تكرارها في كلّ نشرة راديو وتلفزيون. هذه هي فعليًّا كلّ سياساته. مأساة هذا الرجل في كونه رجلًا ذكيًّا، صاحب قدرة تفكير وتحليل، يفهم في الاقتصاد والسياسة الخارجيّة، لكنّه لا يفعل شيئًا مع هذا الفهم؛ لا يهمّه ذلك، بل يريد الحصول على نتيجة، نتيجة واحدة وسريعة، ولا يهمّه أنّه يقول اليوم شيئًا وغدًا يقول شيئًا آخر، بل المهمّ أنّه على النتيجة أن تخدم ماكينة بقائه» (أزولاي – كاتس، 1999، ص.ص 113–114) .

يعتقد عالم الاجتماع الإسرائيليّ المعروف، باروخ كيمرلينچ، أنّ فشل نتنياهو (ولاحقًا إيهود براك) يعود إلى كون دولة إسرائيل لم تكن جاهزة بعد لقيادات الرعيل الثاني (كيمرلينچ، 2001، ص 18). ويذهب كيمرلينچ إلى القول إنّ نتنياهو خرج من اللعبة السياسيّة في أواخر التسعينيّات لعدم إدراكه التحوّلات الاجتماعيّة الجارية في المجتمع الإسرائيليّ، والتي تتّجه صوب انتهاء حكم النخبة

الإشكنازيّة العلمانيّة اليساريّة، وصعود نُخَب جديدة تبغي في نهاية المطاف تغيير الدولة والمجتمع، وحتّى إعادة تعريف العلاقة مع اليهود في العالم (كيمرلينج، 2001، ص 12). يمكن القول إنّ مقولة كيمرلينج الأولى صحيحة، بينما جانبت المقولة الثانية الصواب. ونقدنا للمقولة الثانية لا ينبع من المساحة التاريخيّة التي تفصلنا عن نهاية التسعينيّات، حيث كتب كيمرلينج بحثه عام 2001، وإنّما من قراءة تحليليّة لخطاب نتنياهو السياسيّ في تلك المرحلة، وكذلك من قراءة للتحوُّلات التي حدثت لاحقًا في العَقد الأوّل من القرن الـ 21. كان نتنياهو يدرك التحوّلات الجارية في المجتمع الإسرائيليّ، وكان يدرك أكثر الكراهيَةَ التي تكنّها الشرائح الاجتماعيّة الصاعدة للنخَب القديمة، وحاول بنفسه التصادم معها ابتغاءَ تغييرها، ولكن يتّفق كاتب هذه السطور مع ما قاله كيمرلينج بشأن أنّ هذه الفترة كانت فترة تحوُّل، استمرّت حتّى نهاية حكم شارون، وربّما فشل نتنياهو لأنّه أراد تسريع هذا التحوّل التدريجيّ الذي يحدث، بتغيير جذريّ لم تسمح به «الدولة العميقة» والنخب القديمة، لا اليساريّة فقط؛ إذ هنالك نُخَب يمينيّة تنتمي أيضًا إلى النخَب القديمة، وشارون كان آخر الممثّلين لها.

وفي هذا الصدد يشير عزمي بشارة قائلًا:

> *«نتنياهو دخل في صراع مع المؤسّسة الإسرائيليّة التي ترى نفسها استمرارًا للنخبة التي أقامت الدولة. وساعد شعور عامّ لدى نصف المجتمع الإسرائيليّ أنّ هنالك محاولة لاستثنائه وإخراجه من السلطة في عمليّة تتجاوز تداول الحكم بين أحزاب في عمليّة انتخابات. فشل نتنياهو. ولو تجاوز المحتفلون بفشله دوافع الاحتفال باتّجاه تغيير حقيقيّ في سلّم الأولويّات الاجتماعيّ واستنتاج النتائج الصحيحة*

سياسيًّا، لكان من المتوقّع أن تنجم تطوّرات إيجابيّة من فشل نتنياهو» (بشارة، 2005، ص 203).

يقترح البحث الحاليّ قراءة أخرى لهذه الفترة تختلف عن القراءات الإسرائيليّة الدارجة، منطلقًا من مقولةٍ مُفادُها أنّ هذه الفترة أسهمت في تأسيس مرحلة جديدة في السياسة الإسرائيليّة، ظهرت نتائجها في العَقد الأخير تحديدًا. غالبيّة القراءات التي تنطلق من فشل فترة نتنياهو تنطلق من قراءة ضيّقة تنحصر في غياب قدرته على إدارة حكومته، التي عانت من صراعات داخليّة أفْضَتْ في النهاية إلى تقديم موعد الانتخابات، فضلًا عن تراجعه عن وعوده بعدم الانسحاب من مناطق من الضفّة الغربيّة أو إعادة الانتشار، أو عدم إعادة الانتشار في هذه المناطق. ولكن هذا كان شأن حكومات إسرائيليّة منذ الثمانينيّات، ويعود جزء كبير منه إلى بنْية النظام السياسيّ والانتخابيّ الإسرائيليّ. ودونما تقليل من فشل نتنياهو في إدارة حكومته لقلّة خبرته في العمل السياسيّ الحزبيّ، وصعوده السريع إلى قمّة رأس الدولة، نشير أنّ هذه الفترة حملت معها تحوُّلات كبيرة ستظهر لاحقًا في إسرائيل. وفي الإمكان الإشارة في ما يلي إلى أهمّ هذه التحوّلات:

- شكّلت هذه المرحلة بداية أفول الجيل القديم في السياسة الإسرائيليّة، وبداية صعود جيل جديد، أو إنّها مهّدت الطريق لصعود جيل جديد داخل اليمين، سينقلب على الجيل القديم. ففي هذه الفترة، انتصر نتنياهو على أربع قوى مركزيّة: انتصر على الجيل القديم في الليكود وأنهى على نحوٍ شبه نهائيّ دَوْر هذا الجيل في السياسة الحزبيّة، وبقي منٍ هذا الجيل في صفوف الليكود أريئيل شارون، الذي سيقود دولة إسرائيل

بعد اندلاع الانتفاضة، لفترة قصيرة، ولكنّها حاسمة في هيمنة اليمين على إسرائيل. كذلك انتصر نتنياهو على شمعون بيرس في الانتخابات، وهكذا أنهى حكم هذا الجيل في حزب العمل أيضًا. وليس من قَبيل المصادفة أن يدعم بيرس لاحقًا انضمامَ حزب العمل إلى حكومة شارون عام 2001، وينضمّ هو بنفسه إلى حزب «كاديما» الذي أسّسه شارون بعد ذلك؛ فقد كان يعتقد أنّهما الوحيدان المتبقّيان من جيل المؤسّسين، وعليهم القيام بخطوات تاريخيّة قبل مغادرتهما النهائية للحقل السياسيّ الإسرائيليّ، فضلًا عن تشارُكهما العداء لنتنياهو. في هذه الفترة، انتصر نتنياهو أيضًا على جيل أمراء حزب الليكود، وقطع الطريق أمام طموحهم في التقدّم في الحياة السياسيّة. تميّز هذا الجيل بإخلاصه لتوجّهات اليمين الليبراليّة في ما يتعلّق بقضايا المجتمع والدين والقضاء والإعلام وغيرها؛ فبعد انتهاء هذه الفترة تقلّصت آمال هذا الجيل في العودة إلى الحياة السياسيّة والتأثير الفاعل عليها (لذلك انضمّ أغلبهم إلى حزب كاديما لاحقًا)، وحتّى تسيپي ليڤني التي كانت من رعيل الأمراء وحاولت الصعود إلى قمة الهرم السياسيّ بعد إيهود أولمرت، فعلت ذلك في إطار حزب كاديما، وانهار حلمهما بعد انتخابات عام 2009. وبقي من رعيل الأمراء في الليكود حتّى اليوم بيني بيچن، ودخل قائمةَ الليكود في انتخابات عام 2015 ضمن المقاعد المحصَّنة التي يختارها نتنياهو بدون انتخاب، وكان بيني بيچن ممّن استدعاهم نتنياهو لتزيين قائمته بقيادات قديمة، وهكذا أطلق ميتشل على نتنياهو في كتابه حول قادة الليكود «ملك الأمراء» (Mitchell, 2015).

كذلك أسهم نتنياهو في أفول نجم زعيم الشرقيّين في حزب الليكود، داڤيد ليڤي؛ فبعد انتصاره عليه في الانتخابات التمهيديّة، أشركه في حكومته عام 1996، ولكن سرعان ما ترك ليڤي الحكومة بسبب نكث نتنياهو بوعوده له، وهكذا لم يبقَ داڤيد ليڤي عضوًا في الليكود وأنهى دَوْرَهُ السياسيّ بعد مشاركته حكومة براك لاحقًا وانهيارها. لذلك كانت هذه الفترة تمهيدًا لظهور جيلٍ جديد في السياسة الإسرائيليّة عمومًا، وداخل الليكود خصوصًا، جيلٍ لا يعترض على زعامة نتنياهو، بل يراه قائدًا أَوْحَد للّيكود، وغير قابل للهزيمة، وهو ما يشهده الليكود اليوم من سيطرة وهَيْمنة نتنياهو على الحزب وخوف أعضائه منه، وخشيتهم من الاستئناف على قيادته، ومن يفعل ذلك يجد نفسه خارج صفوف الحزب.

- شكّلت هذه الفترة بداية تأسيس المرجعيّة الدينيّة في حزب الليكود وتسييس الجمعيّات اليمينيّة، وربطهما بمشروع هيمنة اليمين على الحقل السياسيّ والاجتماعيّ في إسرائيل. فلأوّل مرّة تتجنّد حركة «حباد» الدينيّة لمصلحة مرشّح في الانتخابات الإسرائيليّة؛ فهي من رفعت شعار «نتنياهو جيّد لليهود» خلال الحملة الانتخابيّة عام 1996، وهكذا ربطت هذا الحركةُ ذاتُ النفوذ المحلّيّ والعالميّ نفسَها باليمين عمومًا وبالليكود خصوصًا. وترتبط هذه النقطة بهمس نتنياهو للحاخام كَدُوري «اليسار نسيَ معنى أن تكون يهوديًّا»، وهكذا أعطى نتنياهو الهُويّة الدينيّة موقعًا هامًّا في معركته السياسيّة ضدّ خصومه، هذه الهُويّة التي ستتعزّز في أيديولوجيّة الليكود لاحقًا، وتصبح مكوِّنًا مركزيًّا من اليمين الجديد عمومًا. وفي هذه المرحلة، أخذَ في التكوُّن

مجتمعٌ مدنيّ يمينيّ يرى في التأثير على توجّهات الحكومة وعلى الإسهام في بقاء اليمين في الحكم وظيفةً مركزيّة له. وسيقوم المجتمع المدنيّ اليمينيّ بدور حاسم في هيمنة اليمين على الحقل الاجتماعيّ الإسرائيليّ بعد صعود نتنياهو إلى الحكم مرّة أخرى عام 2009.

- شكّلت هذه المرحلة نهاية اتّفاق أوسلو؛ فعلى الرغم من قيام نتنياهو بتنفيذ إعادة الانتشار في الخليل، لم يلتزم بسائر التعهُّدات الإسرائيليّة في الاتّفاق، ويمكن القول إنّ إعادة الانتشار في الخليل كانت آخر التزام تنفّذه إسرائيل في إطار اتّفاقيّات أوسلو حتّى اليوم، ومع انتهاء تاريخ الاتّفاق (خمس سنوات) انتهى معه اتّفاق أوسلو عمليًّا، وبقي منه ما جرى تنفيذه: سلطة فلسطينيّة، وتقسيم الضفّة الغربيّة إلى ثلاث مناطق؛ حيث سيتحوّل هذا الواقع إلى أساس مشروع اليمين الجديد في العَقد الأخير، المتمثّل في بقاء سلطة فلسطينيّة كتجسيد لحقّ تقرير المصير للفلسطينيّين، وفي الضمّ الزاحف والتدريجيّ لسائر الأرض (مصطفى، 2017).
- شكّلت هذه المرحلة بداية مشروع تغيير النخَب القديمة في إسرائيل. صحيح أنّ نتنياهو فشل في هذا المشروع، لأنّه اتّخذ له إستراتيجيّة صدام ومواجهة مباشرة مع هذه النخَب، إلّا أنّ مجرّد طرح هذا المشروع أو الخطاب شكّل رافعة ولافتة لليمين الجديد لاحقًا، الذي اعتبر أنّ حكمه لم يترجَم إلى تأثير على الحقل الاجتماعيّ والسياسيّ بسبب بقاء النخَب القديمة، وهي المقولة التي ستدفع اليمين في العَقْد الأخير إلى تغيير النخَب أو تحجيم تأثيرها، عَبْر تشريعات قانونيّة وتعيينات جديدة ومراسيم إداريّة وتغييرات بنيويّة في الجهاز البيروقراطيّ الإسرائيليّ. كان نتنياهو

أوّلَ قياديّ في الليكود يَعتبر تغيير النخَب مشروعًا يُكمل وصول الليكود إلى الحكم. في هذا يقول بشارة:

«اكتفى شامير بالحكم وبتغيير السياسة لصالح اليمين وتجميد العمليّة السلميّة، وذلك دون أن يمسّ المؤسّسة الإسرائيليّة الحاكمة، بدءًا بحزبه هو، وانتهاءً بالنخَب السياسيّة والقضائيّة والاقتصاديّة، ولكن نتنياهو جاء ببرنامج طموح لتغيير النخَب القائمة، بدءًا من الصراع داخل الليكود نفسه {...} وانتهاء بالصدام مع النخَب الأكاديميّة والثقافية والقضائية {...} كلّ ذلك بالتحالف مع عناصر هامشيّة في المؤسّسة الإسرائيليّة مثل الأحزاب الدينيّة... ومع عناصر من الأثرياء السماسرة غير المنتجين... ولم يكن لديه مانع من استخدام وسيلة مخاطبة الانتماءات الطائفيّة ونقمة العناصر الاجتماعيّة المهمَّشة ضدّ المؤسّسة القائمة»... (بشارة، 2005، ص 202).

وقد نجح نتنياهو في بلورة وعي اليمين وتوجيه اهتمامه إلى هذه المسألة في هذه الفترة. وإذا كان نتنياهو قد فشل عمليًّا في هذا المشروع، فإنّه نجح في وضعه في وعي اليمين كمشروع مستقبليّ له بُعدٌ أيديولوجيّ، لا بُعْدٌ يتعلّق بالحَوْكمة والإدارة، فتَماهي النخَب مع اليمين سوف يُمكّنه من تمرير مشروعه الأيديولوجيّ دون وجود عقبات أمام تنفيذ هذا المشروع.

- شكّلت هذه الفترة بداية تغلغل المستوطنين إلى صفوف حزب الليكود (چلنطي، 2007، ص 62). كان الليكود حزبَ «أرض إسرائيل»، ولكنّه لم يكن حزبَ المستوطنين، وقد عمل نتنياهو على تغيير هذا الواقع، عبْر التقرّب إلى المستوطنين وفتح أبواب الحزب لهم. أراد نتنياهو من هذه الخطوة تقليص قوّة الجناح

الليبراليّ في الحزب، ولا سيّما بعد محاولة هذا الجناح الإطاحة به بُعَيْد اغتيال رابين، وتعزيز دعم المستوطنين للّيكود على حساب الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة التي مثّلتهم انتخابيًّا وأيديولوجيًّا، إذ اعتقد نتنياهو أنّ الليكود يمثّلهم أيديولوجيًّا في إطار مشروع «أرض إسرائيل» (وليس في توجّهه الليبراليّ في مواضيع محدّدة)، ولكنّه لا يترجم ذلك انتخابيًّا في صفوفهم، فضلًا عن محاولته تجنُّب انتقاد الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة له من خلال تقريب الليكود لهم، وهكذا شكّلت هذه المرحلة بداية تغلغل المستوطنين في حزب الليكود، الأمر الذي سيتعزّز بقوّة في العَقد الأخير، ليحوّلهم إلى قوّة مركزيّة ومؤثّرة في صفوف الحزب.

- وهو التحوّل الذي يشير إليه بشارة في كتابه «من يهوديّة الدولة حتّى شارون»، فنتيجة تحوّلات تاريخيّة وسياسيّة، تحوَّلَ مصوّتو الأحزاب الدينيّة إلى مصوّتين لليمين، بحيث لم تعد الأحزاب الدينية تكتفي «بالتعبير عن مصالح قِطاع معيَّن من السكّان، وإنّما رغبتها بالتأثير على طابع الحياة في الدولة وتطوير مصالح جديدة تشمل ازديادًا في قوّة المجالس الدينيّة وموظّفيها وبيروقراطيّتها» (بشارة، 2005، ص 233). واليوم، تشهد إسرائيل تغلغلًا للخطاب الدينيّ في المجال العموميّ، ومحاولةَ تقليص مساحة المواقع التي لا يؤثّر فيها الدين، بتشريعاته وأوامره، ويظهر ذلك في مَناحي الدولة والمجتمع كافّة، نحو: أدينّة الجيش، وسيطرة وهيمنة المؤسّسة الدينيّة الأرثوذكسيّة على التهويد الشخصيّ (چيُّور)، في إسرائيل والعالم، ومنع إصلاح خطّ سكك الحديد، وفتح المحلّات التجاريّة أيّام السبت، وغيرها.

الفصل الثاني

تشكُّل أيديولوجيّة نتنياهو بأبعادها:

الشخصيّ والفكريّ والسياسيّ

تشكُّل أيديولوجيّة نتنياهو بأبعادها: الشخصيّ والفكريّ والسياسيّ

يرمي هذا الفصل إلى تحليل الدور الذي قام به الأب بِنْتْسِيُون نتنياهو والشقيق يوني نتنياهو في بلورة فكر نتنياهو وتوجّهاته السياسيّة (أو التأثير على بلورة فكره)، مع التأكيد أنّ مؤثّرات فكريّة وسياسيّة أخرى قامت بهذا الدور، وجعلت نتنياهو يُبلور منظومة فكريّة مختلفة في بعض مركّباتها عن أبيه ولكنّها غير منفصلة عنه. كذلك يتطرّق الفصل إلى سلطويّة شخصيّة نتنياهو، ليجتمع لنا جزء من الخلفيّات الفكريّة والشخصيّة لهذا الرجل، قبل تحليل فكره وأيديولوجيّته.

2.1 فكر بِنْتْسِيُون (نتنياهو الأب): الكارثة تتربّص في الأفق باليهود

كان بِنْتْسِيُون نتنياهو من أهمّ الشخصيّات التي تأثّر بها نتنياهو الابن (Aronoff, 2014, 45). نشأ بِنْتْسِيُون نتنياهو في حضن المنظومة الأيديولوجيّة للحركة الصهيونيّة التنقيحيّة. كانت الأيديولوجيا التي آمن بها بِنْتْسِيُون نتنياهو هي أيديولوجيّة الحركة التنقيحيّة التقليديّة، التي تدعو إلى إقامة «إسرائيل الكبرى»، التي لم تكن تمتدّ على أراضي الضفّة الغربيّة وحدها، بل على أراضي ما يُعرف اليوم بالأردن، حيث كانت تُعتبر أرضًا موعودًا بها لليهود في نظر الصهيونيّة التنقيحيّة أو التصحيحيّة، حسب التسمية التي كانت هذه الحركة تُعرف بها. وكانت هذه الحركة قويّة، بل كانت تختطّ نهجًا عسكريًّا وتدعو إلى تشييد «جدار حديديّ» بين الدولة الوليدة والعرب الذين يحيطون بها.

وقد تطرّق بِنْتْسِيُون نتنياهو إلى العرب في مقابلة أجرتها معه صحيفة معاريف عام 2009، أكّد فيها أنّه لا يؤمن بوجود شعب فلسطينيّ. وفي هذا الصدد قال:

"لايجدالكتاب المقدّس {التناخ}أيّ صورة أسوأ من هذه الصورة للرجل القادم من الصحراء. لماذا؟ لأنّه لا يحترم أيّ قانون، ولأنّه يستطيع أن يفعل ما يحلو له في الصحراء... إنّ النزعة التي تميل إلى الصراع هي في جوهرها نزعة العربيّ. فهو عدوّ في جوهره. وشخصيّته لن تسمح له بالتوصّل إلى أيّ تسوية أو اتّفاق. وهو لا يلقي بالًا لنوع المقاومة التي سيواجهها، أو الثمن الذي يتحتّم عليه أن يدفعه. إنّ وجوده مرتبط بحرب أبديّة» (شلحت، 2014 ص.ص 80-81).

كذلك أشار إلى أنّه ينبغي لإسرائيل أن تكون على هذا الموقف. وقال إنّ «حلّ الدولتين لا وجود له... فليس هناك من شعبين هنا، بل هناك شعب يهوديّ وسكّان عرب... وليس هناك من شعب فلسطينيّ. لذلك، فأنت لن تقيم دولة لأمّة متخيَّلة... إنهم لا يزيدون على أن يسمّوا أنفسهم أمّة من أجل محاربة اليهود». هنا سألته المراسلة «ما الحلّ إذن؟» أجاب والد رئيس الحكومة بأنّه «ليس هناك من حلّ سوى القوّة، والحكم العسكريّ القويّ. وأيّ انفجار سوف يجلب معاناة هائلة على العرب. لا ينبغي لنا أن ننتظر نشوب تمرّد كبير كي نباشر العمل، بل علينا أن نتصرّف على الفور وبقوّة كبيرة كي نمنعهم من الاستمرار». وقال إنّ الأمر ذاته ينطبق على المواطنين العرب في إسرائيل الذين تبلغ نسبتهم عشرين بالمئة من سكّان إسرائيل:

«أعتقد أنّه يجب علينا أن نتحدّث إلى العرب الإسرائيليّين بلغة يفهمونها ويُعجبون بها -لغة القوّة. فإذا تصرّفنا بقوّة تجاه أيّ جريمة يرتكبونها، فسوف يفهمون أنّنا لا نُظهر أيّ تسامح. ولو

كنّا استعملنا هذه اللغة منذ البداية، لكانوا يتوخّون الآن قَدْرًا أكبر من الحذر».

وشبّه الصراعَ الإسرائيليّ – العربيّ بقوله:

«إنّ العرب واليهود مثل عنزتين تلتقيان على جسر ضيّق، وإحداهما مضطرّة إلى القفز في النهر، لكنّهما لا تريدان ذلك لأنّ القفز يعني خطر الموت. ولذا فإنّهما تتناطحان على الجسر ولا تقفزان، والمناطحة مستمرّة من دون توقّف. وتؤمنان أحيانًا أنّه في نهاية المطاف ستُنهَك إحداهما وتُضطرّ إلى القفز عن الجسر، وعندها طبعًا يتقرّر مَن من بينهما هي الأقوى والتي ستُرغِم الضعيفةَ على القفز. وسيكون الحسم في هذه المرحلة من خلال حتميّة البقاء. وفي حين أنّ القفز بالنسبة إلى اليهود سيؤدّي إلى ضياع الشعب اليهوديّ، فإنّه بالنسبة إلى الجانب العربيّ سيؤدّي إلى إلحاق أذى بجزء صغير منهم، كون العرب منتشرين في مساحة كبيرة جدًّا. لذلك فأنا مؤمن بأنّ عزيمة الشعب اليهوديّ في البقاء ستكون أقوى من عزيمة العرب».

وقد وجد نتنياهو الأب الإلهامَ في المشانق التي كانت الإمبراطوريّة العثمانيّة تعلّقها في بلاد الشام:

«لقد تعرّض العرب إلى الضرب المبرح، إذ لم يتجرّأوا على الثورة. وبالتأكيد، فأنا لا أوصي بنصب المشانق كاستعراض للقوّة، مثلما كان الأتراك يفعلون، لكنّني أريد أن أبيّن أنّ الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يحوّل العرب عن موقفهم الرافض يكمن في القوّة».

اعتبر بِنْتْسِيُون أنّ النخَب القديمة، تلك التي أَقْصتْهُ عن المواقع الأكاديميّة، لا تزال قائمة، ولذلك «لا إمكانيّة للافتراض أنّه سيجري تحقيق أهداف الدولة كون اليسار تنازل عنها». ويضيف:

«مشكلة هذا اليسار أنّه يعتقد أنّ الحرب مع العرب شبيهة في أساسها بجميع الحروب الجارية بين الشعوب في العالم. فهذه الشعوب تتوصّل إلى تسوية إمّا بعد أن ينتصر طرف على آخر، وإمّا عندما يتوصّل الطرفان إلى الاستنتاج أنّ الحرب أنهكتهما وأنّ النصر مستحيل، غير أنّ الحرب مع العرب تجري برسم أنّه وَفقًا لطبيعتهم وغرائزهم هم غير مستعدّين للتسوية. وحتّى عندما يتحدّثون عن تسوية، فهم يقصدون عمليّة مراوغة يتمكّنون بواسطتها من التغرير بالطرف الآخر كي يوقف الجهود الكبيرة التي يبذلها ويسقط في سلّة التسوية. واليسار يساعدهم في تحقيق هذا الهدف. لكن التسوية ليست بالأمر الواقعيّ. وهي تُضعف مواقفنا وتُعوِّدنا على حالة ترهّل، وتولِّد لدينا قناعة مغلوطة ووهمًا، وكلّ وهم يؤدّي إلى الضعف».

بعيدًا عن لقاءاته الصحفيّة، ولسَبْر غَوْر فكر بِنْتْسِيُون، هنالك حاجة إلى العودة إلى أهمّ مؤلّفاته. ففي كتاب له بعنوان «آباء الصهيونيّة الخمسة»[1]، اعتبر بِنْتْسِيُون أنّ هنالك خمسة آباء مركزيّين للحركة الصهيونيّة، وفي تعريفه لاختياره هؤلاء الخمسة أشار أنّه اختار هؤلاء الذين كتبوا عن المسألة اليهوديّة، أي وقفوا على المخاطر التي تهدّد وجود اليهود بسبب صعود العداء للساميّة، واعتبروا أنّ حلّ المسألة اليهوديّة يجب أن «يكون من خلال إقامة دولة يهوديّة في وطن الشعب اليهوديّ، وأشاروا إلى الطريقة لتحقيق هذا الهدف من خلال حراك سياسيّ ودبلوماسيّ، الطريقة التي تمنح الصهيونيّةَ دعْمَ القوى الكبرى، وضمانها إزالة العوائق في مسيرة بناء الدولة

1. وهُم (حسب الترتيب في الكتاب): يهودا ليف پينسكر؛ ثيودور هرتسل؛ ماكس نوردو؛ يسرائيل زنچويل؛ زئيف جابوتنسكي.

اليهوديّة» (نتنياهو ب.، 2003، ص 9). يرى بِنْتْسِيُون نتنياهو أنّ جابوتنسكي كان أقدرَ القيادات الصهيونيّة على فهم «المشكلة العربيّة» في فلسطين، فقد أدرك جابوتنسكي أكثر من هرتسل، وحتّى على نحوٍ أفضل من نوردو وزنچويل، جذورَ المعارضة العربيّة {لا يسمّيهم الكاتب فلسطينيّين}، وهي التي عزّزتها بريطانيا، لأنّها توقّعت الحصول على استقلالها من الدعم البريطانيّ ممّا حوّلها إلى معارضة من الصعب السيطرة عليها. ويشير بِنْتْسِيُون إلى أنّ جابوتنسكي تنبّه للأسس الطبيعيّة لهذه المعارضة، وعلى أساس إدراكه لهذه الأسس شخّص أساسَ المشكلة. ويوضّح نتنياهو أنّ جابوتنسكي اعتقد أنّه لو ضُربت المعارضة العربيّة بقوّة منذ البداية لقُضِيَ عليها، ولكن القيادة الصهيونيّة الرسميّة لم تفعل ذلك (نتنياهو ب.، 2003، ص.ص 270-271). عرض بِنْتْسِيُون الجوانب المريحة له أيديولوجيًّا في فكر جابوتنسكي، وسنلاحظ في عرض فكر بنيامين نتنياهو التشابه بين فكرة الجذور الطبيعيّة للمعارضة العربيّة التي طرحها بِنْتْسِيُون في سياق عرضه لفكرة جابوتنسكي، وفكر نتنياهو الابن حول جذور العداء العربيّ الإسلاميّ لإسرائيل والغرب، النابع من «الثقافة العربيّة – الإسلاميّة» (الجذور الطبيعيّة –على حدّ تعبير جابوتنسكي)، لا بسبب وجود مشروع كولونياليّ استيطانيّ عمل على تأسيس دولة يهوديّة في فلسطين.

يحاول بِنْتْسِيُون، بطريقة عرضه لفكر جابوتنسكي، الربط بين الراهن الإسرائيليّ والفكر الجابوتنسكيانيّ، ولا سيّما تحليل جابوتنسكي للموقف العربيّ من المشروع الصهيونيّ، حيث يعتبر جابوتنسكي أنّ العرب لا يمكن أن يقبلوا المشروع الصهيونيّ في فلسطين، ولا يمكن رشوتهم بامتيازات اقتصاديّة واجتماعيّة لقبول المشروع (نتنياهو ب.، 1982). واعتبر أنّ كلّ محاولات الصهيونيّة إقناع العرب

بالتنازل عن طموحهم إلى طرد اليهود من فلسطين وتحقيق السلام معهم هي «هذيان صبيانيّ» (نتنياهو ب.، 2003، ص 272). يرى جابوتنسكي أنّ هذا الهذيان الصبيانيّ نابع من استهتار بمشاعر الشعب العربيّ، والتعامل معهم على أنّهم مجموعة من «الغوغائيّين، مستعدّون لبيع وطنيّهم مقابل شبكة من سكك الحديد المتطوّرة». ويقتبس بِنْتْسِيُون جملة أخرى من مقالة جابوتنسكي بشأن الجدار الحديديّ: «كلّ شعب أصلانيّ سيستمرّ بقتال المستوطنين كلّما كان لديه أمل في التخلّص من خطر الاستيطان الغريب» (نتنياهو ب.، 2003، ص 272).

لأوّل وهلة، يبدو هذا الموقف معبّرًا عن اعتراف بالفلسطينيّين كمجموعة أصلانيّة في فلسطين، وكذلك فيه اعتراف بتشكُّل هُويّة قوميّة (عربيّة لا وطنيّة فلسطينيّة) في صفوف الفلسطينيّين، ولكن في الحقيقة كان جابوتنسكي يرمي، في هذا المرحلة على الأقلّ، إلى الاستئناف على نمط عمل الصهيونيّة السياسيّة التقليديّة التي مثّلها حاييم ڤايتسمان، المتمثّلة في محاولة استرضاء العرب للاعتراف بالمشروع الصهيونيّ، علاوة على المقولة الأساسيّة لجابوتنسكي أنّه لا يمكن حلّ الصراع مع المجموعة القوميّة العربيّة في فلسطين، لأنّها لن تقبل بوجود استيطانيّ غريب في بلادها، كما لا يمكن نزع اعتراف منها من خلال «مسيرة سلام» معهم وتقديم تنازلات لهم، وإنّما من خلال ضربهم بقوّة. وهكذا يلخّص بِنْتْسِيُون موقف جابوتنسكي حول العلاقة مع الفلسطينيّين على النحو التالي:

> *«وليس هنالك حاجة إلى المزيد ممّا يمكن قوله بشأن المسألة العربيّة. واضح أنّه {أي جابوتنسكي} رأى موقف العرب عنيدًا جدًّا، وليس سهلًا للتسوية والقبول كما رآها الكثيرون من أبناء عصره. كذلك من الواضح أنّ ما يمنع اليوم إبادتنا*

ليس إلّا الجدار الحديدّي، الذي شيّدناه بقوّتنا. من يجرؤ على التخلّي عن هذا الحائط الحديديّ؟ من يجرؤ على إضعافه؟ لقد فكّر جابوتنسكي بحائط سياسيّ لا يقلّ أهمّيّة عن الحائط العسكريّ، وأدرك ما تعلّمناه من درس مُرٍّ: أنّه ليس ثمّة نصر عسكريّ كامل دون حمايته بنصر سياسيّ، ولا نصر سياسيًا كامل بدون حمايته من طرف الرأي العامّ» (نتنياهو ب.، 1982، ص 14).

في الفصل الذي يتطرّق فيه بِنْتْسِيُون إلى ثيودور هرتسل، يؤكّد في خُلاصته أنّ هرتسل آمن بأرض إسرائيل الكبرى من العريش حتّى نهر الفرات (نتنياهو ب.، 2003، ص 126). وعندما فاوض هرتسل في أيّامه الأخيرة للحصول على قضاء عكّا، كان ذلك نابعًا، برأي بِنْتْسِيُون، من أنّ هرتسل اعتبر أنّ عكّا هي نقطة انطلاق للحصول على الحكم في كلّ «أرض إسرائيل» خلال الصراع على تقسيم الدولة العثمانيّة {الرجل المريض}. يرمي بِنْتْسِيُون من ذلك إلى ربط فكر هرتسل بفكرة المدرسة التنقيحيّة؛ ففي خلاصة فصله عن هرتسل، يوضّح بِنْتْسِيُون أنّ مَن جاءوا بعده لم يفهموا فكره، أنّه لا يمكن الاستيطان دون نظام سياسيّ وقوّة عسكريّة تحميه. وانتقد كلّ من حاول أن يقلّص مَطالب هرتسل حول الحقوق السياسيّة لليهود التي تضمّنها الانتداب البريطانيّ على فلسطين، وهو يلمّح بكلامه إلى التيّار الاشتراكيّ الصهيونيّ، بقيادة ڤايتسمان وبِنْچوريون وأرلوزروڤ، وهو طبعًا فهْمٌ قاصرٌ وسطحيّ وانتقائيّ لفكر هذا التيّار وإستراتيجيّته السياسيّة والعسكريّة، ولكنّه فهْمٌ يخدم الأَجِنْدات الأيديولوجيّة التي يحملها بِنْتْسِيُون.

أسهم بِنْتْسِيُون في كتابة مقال قصير في الكتاب الذي حرّره بنيامين نتنياهو حول «الإرهاب» عام 1987. يحاول بِنْتْسِيُون في مقاله

نفْيَ صفة «مقاتلون من أجل الحرّيّة» عن ظاهرة «الإرهاب» وَ «الإرهابيّين». وهو يقصد بطبيعة الحال المقاومة الفلسطينيّة التي يستذكرها عدّة مرات في مقاله. يعتبر بِنْتْسِيُون ظاهرة الإرهاب أخطر من النازيّة؛ إذ يصف «الإرهابيّ» على النحو التالي:

«يمثّل الإرهابيّ إنسانًا من نوع جديد، يعيد الإنسانيّة إلى فترة ما قبل التاريخ، إلى فترة لم تكن فيها الأخلاق. وبما أنّه لا يعترف بأيّة قيمة أخلاقيّة وعديم كلّ شعور أخلاقيّ، فإنّه عديم الضوابط الأخلاقيّة. لذا، هو قادر على ارتكاب كلّ جريمة، وكما هي ماكينة القتل، فإنّه يقوم بأفعاله بلا خجل وبلا أخلاق. ولكنّه أيضًا كاذب مخادع بصورة كاملة، ولذلك فإنّه أخطر بكثير من النازيّة التي كانت تصرّح بأهدافها على نحوٍ علنيّ. في ما يتعلّق بالحقيقة، هو {أي الإرهابيّ} عدميٌّ كاملٌ» (نتنياهو ب.، 1987، ص 58).

إنّ تشبيه أعداء إسرائيل بالنازيّة وهتلر سيكون إحدى المقولات التي سيردّدها بنيامين نتنياهو كثيرًا خلال مسيرته السياسيّة. فإذا كانت المقاومة لإسرائيل وهيمنتها أخطر من النازيّة، بالنسبة لنتنياهو الأب، فإنّ مقولات نتنياهو الابن ستكون «معتدلة» بالنسبة له، فهو يضعها فقط في مستوى واحد مع النازية.

كان المقال القصير الذي كتبه بِنْتْسِيُون حول «الإرهاب» يرمي إلى مقارعة الأصوات في الغرب التي تتفهّم مقاومة الشعوب ضدّ الاحتلال والاستعمار، على اعتبار أنّها حركات تحرُّر وطنيّ للحصول على الحرّيّة والاستقلال. وعلى نحوٍ متماهٍ مع الجمهوريّين آنذاك (إدارة رونالد ريجن)، يشير بِنْتْسِيُون أنّ هذا «الإرهاب» مرتبط بالاتّحاد السوفييتيّ، حيث إنّ الأخير يدعمه سياسيًّا ومادّيًّا، «فالإرهاب» يحتاج إلى قوّة دوليّة داعمة له لكي يستمرّ في المقاومة –وتلك مقولة

سيكرّرها نتنياهو الابن خلال فترة الثمانينيّات، ويعيد إنتاجها في التسعينيّات باستبدال الاتّحاد السوفييتيّ الذي انهار بصعود دولة جديدة داعمة للإرهاب، برأيه، تتمثّل في إيران.

على أيّة حال، يشير بِنْتْسِيُون أنّ هنالك سياسيّين في الغرب يعتقدون أنّ «الإرهابيّين» يسعون إلى هدف سام، وأنّه في الإمكان محاورتهم، وهذا الأمر برأي بِنْتْسِيُون نابع من قصور في فهم طبيعة الإرهاب وأهداف الإرهابيّين. يشير بِنْتْسِيُون أنّ استعمال «الإرهابيّين» لمبادئ الحرّيّة والتحرّر والعدالة هي حيلة ترمي إلى خداع الغرب، بينما هم في الواقع على العكس من كلّ ذلك. وفي هذا السياق، يستحضر بِنْتْسِيُون حالة منظّمة التحرير الفلسطينيّة التي تستخدم هذه الخديعة؛ إذ هي تمارس قتل المدنّيين، وكلّ من يعارض طريق المنظّمة من صفوف الفلسطينيّين تقوم بقتله، فهي تحلّ مشاكلها الداخليّة واختلاف الآراء بين قياداتها من خلال الاغتيالات والقتل. ويتابع بِنْتْسِيُون في عرض ادّعاءاته بقوله إنّه حتّى في حالات أخرى نجحت فيها حركات تحرّر بالحصول على الاستقلال، مارست هذه الحركات في ما بعد القمعَ وانتهاك حرّيّات الإنسان بحقّ شعوبها، ولذا فإنّ وصف هذه الحركات بأنّها حركات تحرُّر هو بعيد عن الحقيقة.

دراسة الآباء المؤسِّسين للصهيونيّة، ومقالات هنا وهناك، لم تكن النصوصّ الأهمّ التي ألّفها بِنْتْسِيُون، بل كتابه عن الحاخام «دون يتسحاق أبراڤانئيل» (1437–1508)، وهو الكتاب الذي اعتمد في تأليفه على رسالته لنيل شهادة الدكتوراة. يُعتبر أبراڤانئيل بنظر بِنْتْسِيُون أهمّ شخصيّة يهوديّة في القرون الوسطى؛ فقد كان حاخام اليهود في الأندلس ومنظّرهم وقائدهم. وصفه بِنْتْسِيُون بأنّه

«رجل دولة، دبلوماسيّ، ورجل بلاط ومصرفيّ ذو سمعة

عالميّة، وكان في الوقت نفسه، عالمًا موسوعيًّا، ومفكّرًا فلسفيًّا وكاتبًا عبقريًّا» (Netanyahu B., 1968, p. vii).

من منظور بِنْتْسِيُون، كان أبراڤانئيل شخصيّة دمجت بين العمل والفكر، وبين الحكم والفلسفة، وكذلك بين السياسة والكتابة.

علاوة على ذلك، عايش أبراڤانئيل فترة مرّ فيها الشعب اليهوديّ (هكذا يسمّيهم بِنْتْسِيُون في تلك الفترة – «شعب») بتحوّلات عميقة على المستويات الفكريّ والاجتماعيّ والسياسيّ. ومثّلت فترته عمليّة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصر الحديث. الأهمّ في هذا الصدد هو ما يشير إليه الكاتب بشأن هذه الفترة، أنّها مثّلت شيوع التوجّهات المسيانيّة الخلاصيّة[2] في صفوف اليهود، وهي توجّهات مسيانيّة كانت تنذر بالكارثة (Apocalyptic Trends)، وتتحصّن فيها من وقوعها. وقد مثّل أبراڤانئيل في كتاباته وأفكاره هذه التوجّهات. وأثّر أبراڤانئيل لاحقًا على صعود التوجّهات الخلاصيّة في صفوف اليهود في القرنَيْن السادس عشر والسابع عشر؛ فقد اعتبر أنّ قدوم المسيح المخلّص هو أساس ثابت في العقيدة اليهوديّة. حمل أبراڤانئيل توجّهات فكريّة ودينيّة وسياسيّة عديدة، نعتقد أنّها أثّرت على نتياهو الابن، كما سنبيّن ذلك لاحقًا خلال تحليل فكر نتياهو، ولكن في الإمكان الإشارة إلى ثلاثة توجُّهات مركزيّة كما تظهر في كتاب بِنْتْسِيُون:

1. المقولة المركزيّة في فكر نتياهو وأبراڤانئيل أنّ الصراع أو

2. هي توجّهات صادرة عن جوهر العقيدة اليهوديّة التي تؤمن أنّ خلاص اليهود (وهو تعبير دينيّ) سيكون من خلال عودة المسيح اليهوديّ المخلّص (مشيح) لينقذ اليهود، ويشيّد مملكة لهم يحكمها حسب التعاليم الدينيّة اليهوديّة. وتنطلق فكرة الخلاص من أنّ التاريخ الإنسانيّ هو تاريخ مسيّر لتحقيق الزمن الخلاصيّ. لذا، على اليهود الانتظار والحفاظ على هُويّتهم الدينيّة حتّى قدوم المخلّص.

الصدام بين الحضارتَيْن الإسلاميّة والمسيحيّة سيستمرّ، وهو التأطير الذي يعتبره بِنْتْسِيُون «الإنجاز التاريخيّ لأبراڤانئيل» داخل المسيحيّة واليهوديّة (Netanyahu B. , 1968, p. 254).

2. التاريخ يسير في مسارين: الأوّل التاريخ العامّ والثاني تاريخ اليهود (ص 143)، ولذا فإنّ نتنياهو الابن دائم الاستحضار للتاريخ في الحاضر، فهو يعود إلى التاريخ من الحاضر، ويقرأ المستقبل من التاريخ.

3. المقولة الثالثة هي رؤية المستقبل من أجل الحاضر.

أثّرت المقولة **الثالثة** على نتنياهو في محاولة العمل كنقيض لها، أي منع كارثة مستقبليّة من خلال فهم ديناميكيّتها التاريخيّة والاستعداد لها في الحاضر. فكما يشير بِنْتْسِيُون، رأى أبراڤانئيل أنّ هنالك كارثة في الأفق تنتظر اليهود في إسبانيا، ولكنّه لم يعمل شيئًا سوى الانتظار معتمدًا على إيمانه بقدوم المخلّص. كان أبراڤانئيل قادرًا على رؤية المستقبل الكارثيّ الذي يترصّد لليهود في إسبانيا، ولكنّه لم يعمل شيئًا سوى الانتظار، انتظار الخلاص من السماء؛ فحسبما آمن أبراڤانئيل، الشعوب الأخرى كانت تسير تحت إمرة أمراء اللّه (خلفاء اللّه على الأرض)، بينما اليهود كانوا يسيرون تحت عين وإمرة اللّه نفسه. من هذه الناحية، مثّلت الصهيونيّة نقيضًا لأبراڤانئيل، فهي من جهة حملت مشروع «خلاص» اليهود من خلال العمل داخل التاريخ وعلى الأرض لا خارج التاريخ (بشارة، 2005). ومن جهة أخرى، مثّلت الصهيونيّة عمليّة إنقاذ اليهود من الحاضر، الناتج عن تاريخ متسلسل من الملاحقة التاريخيّة في أوروبا. أمّا نتنياهو الابن، فيعمل لخلاص اليهود من كارثة مستقبليّة (المشروع النوويّ الإيرانيّ في الوقت الراهن) كما توقّع أبراڤانئيل الكارثة القادمة على

اليهود، ولكنّه اختلف عنه بالعمل على منع حدوث هذه الكارثة لا بانتظار حدوثها، ولذا يُكثر من الحديث عن الخطر الإيرانيّ ككارثة مستقبليّة تهدّد الوجود اليهوديّ في فلسطين، ويجب الاستعداد والعمل على منعها في الحاضر. وهكذا فالصهيونيّة حاولت إنقاذ الحاضر اليهوديّ من التاريخ، بينما يسعى نتنياهو إلى انقاذ الحاضر اليهوديّ من المستقبل.

يلتفت المؤرّخ الإسرائيليّ بِنْزَكِين إلى التأثير الذي قامت به شخصيّة أبراڤانئيل وفكره على نتنياهو الابن، ولا سيّما تبنّيه لفكرة الصراع الحضاريّ بين الغرب والإسلام، حيث يقول:

> *«ليس من الصعب تمييز الخطوط المشتركة بين الفكر السياسيّ الذي حمله أبراڤانئيل والفلسفة السياسيّة التي يحملها نتنياهو الاب، {حيث} أن نتنياهو يعتقد أنّ هنالك صراع بين الغرب (المسيحيّ) ضدّ الإرهاب (الإسلاميّ)، وتبنّى من أبراڤانئيل مفهوم استعمال القوّة العسكريّة الذي قال 'فقط قوّة عسكريّة حاسمة هي الضمانة الحقيقيّة الوحيدة للسلام'، وأنّه 'كلّ حرب تحمل مخاطر كبيرة، ولهذا يجب الامتناع عنها قدر المستطاع، ففي بعض الأحيان تتناقض نتائج الحرب مع كلّ الحسابات المنطقيّة'. ولكن أكثر ما أخذه بنيامين نتنياهو من أبراڤانئيل هو دمج الفكر السياسيّ بتاريخ الكوارث. ففي حين نظر والده في التاريخ من خلال مركّبَين للكارثة -التهجير من إسبانيا والهولوكوست اليهوديّ-، فإنّ نتنياهو الابن أضاف مركّبًا ثالثًا، من خلال وصفه لإسرائيل بأنّها تحمل في ذاتها إمكانيّة أن تتحوّل إلى الكارثة اليهوديّة. خطاباته الهامّة مركّبة من المبنى نفسه: بداية يتحدّث عن تاريخ الكارثة اليهوديّة، وبعد ذلك يشير إلى الخطر الكامن في كارثة مستقبليّة حقيقيّة (إيران؛ الجهاد*

العالميّ؛ المواطنين العرب في الانتخابات) وفي النهاية يعلن حالة طوارئ» (بِنْزَكِين، 2015).

ويكمل بِنْزَكِين في تحليله العميق لهذا التأثير بالقول:

«لا يكتفي نتنياهو بوصف إسرائيل من خلال تسلسل من الكوارث التاريخيّة وطرد إسبانيا والكارثة اليهوديّة. قبل سفره من أجل الخطاب في الكونجرس {الخطاب الذي ألقاه عام 2015 الذي كان يرمي إلى إقناع الكونجرس بخطورة الاتّفاق النووي مع إيران، والذي نُظِّم دون تنسيق وموافقة من طرف إدارة أوباما}، زار نتنياهو قبر أبيه وقال هناك: 'والدي لم يخَفْ يومًا الخروج إلى العاصفة في الخارج'، وذلك من خلال استعمال الوصف الذي كتبه والده عن أبراڤانئيل. وكما حاول والده خلق ضجّة أمام اليهود في أمريكا مع وصول الأنباء عن الكارثة، بغية تجنيد الإدارة الأمريكيّة للعمل ضدّ معسكرات الإبادة ومن أجل اللاجئين {اليهود}، فإنّ نتنياهو الابن يسافر لتجنيد الكونجرس ليضغط على الإدارة الأمريكيّة ابتغاءَ إزاحة الخطر الإيرانيّ عن الوجود اليهوديّ في البلاد. المفارقة التاريخيّة تكمن في أنّ نتنياهو الأب اعتقد أنّ الحركة الصهيونيّة حقّقت نبوءة أبراڤانئيل 'ليس بقوّةٍ الربّ وإنّما بقوّة الإنسان'، بينما تعيد أعمال ابنه شعبًا كاملًا إلى الفكر الأصليّ لأبراڤانئيل، الذي ينطلق من أنّ التدخّل الإلهيّ ضروريّ للوصول إلى الخلاص السياسيّ للشعب اليهوديّ، وهنالك من يتحدّثون عن ذلك جهرًا، ومنهم تيّارات في الأرثوذكسيّة المسيانيّة يدّعي أتْباعها أنّ الحاخام قال لنتنياهو: «أنت ستكون رئيس الحكومة الأخير، وأنت من سينقل القيادة إلى المسيح المنتظَر» (بِنْزَكِين، 2015).

في كتاب آخر لِبِنْتْسِيُون نتنياهو يحمل العنوان «أصول محاكم

التفتيش في إسبانيا القرن الخامس عشر»، يتناول تاريخ اليهود في إسبانيا في القرن الخامس عشر، وعلى وجه التحديد يعالج الكتاب مسألة ملاحقة اليهود من طرف محاكم التفتيش في ذلك الوقت (Inquisition)، ويصل إلى نتيجة مختلفة عن الادّعاء الذي شاع في التاريخ اليهوديّ والصهيونيّ أنّ ملاحقة محاكم التفتيش لليهود كانت لأسباب دينيّة، على الرغم من اعتناق جزء منهم المسيحيّة. يذهب بِنْتْسِيُون في كتابه إلى أنّ الملاحقة نبعت من أسباب سياسيّة بسبب تسنُّم اليهود الذين تحولوا للمسيحيّة مناصبَ قياديّةً بارزة، من ضمنها مواقع دينيّة متقدّمة في المؤسّسة الدينيّة المسيحيّة. الادّعاء الذي شاع في هذا السياق قبل دراسة بِنْتْسِيُون أنّ محاكم التفتيش استمرّت في مطاردة اليهود الذين تحولوا للمسيحيّة لأنّها لم تقتنع بصدق تحولهم، بينما يشدّد بِنْتْسِيُون على الدوافع السياسيّة لهذه الملاحقة (Netanyahu B. ,1995). انعكست مقولة هذا الكتاب أيضًا على توجّهات نتنياهو الابن الذي يعتقد أنّ تنازلات اليهود للعرب والفلسطينيّين لن تحميهم من الملاحقة والضغط الدوليَّيْن لتقديم تنازلات أخرى؛ فالتنازل في هذا المعنى عند نتنياهو ينسجم مع فكرة اعتناق المسيحيّة الذي اتّبعه اليهود للهروب من محاكم التفتيش، ولكن ذلك لم يسعفهم ولم ينقذهم من الملاحقة، فتفوُّقهم سيبقى محطّ حسد العالم (الأغيار)، ولذا فالتنازل في عُرْف نتنياهو يعني الضعف، بينما البديل يكون من خلال الثبات على المواقف على الرغم من الضغوط، وببناء قوّة عسكريّة واقتصاديّة تحمي الوجود اليهوديّ، لا بالخضوع لمطالب ورغبات الأغيار.

في سياق دراسة بِنْتْسِيُون للتاريخ الإسبانيّ، لا بدّ من الإشارة إلى تأثير هذه الدراسة على مقاربة نتنياهو الابن للحالة الفلسطينيّة.

ففي كتابه «مكان تحت الشمس»، يناقش نتنياهو مقولة الفلسطينيّين والعرب التي تنطلق من أنّ الحقّ في فلسطين هو للعرب والفلسطينيّين لكونهم عاشوا فيها طَوال مئات السنين الأخيرة. هنا يستحضر نتنياهو الحالة التاريخيّة الإسبانيّة التي تَخَصّص فيها أبوه، فيزعم نتنياهو أنّ حكم العرب والمسلمين لإسبانيا لمئات السنين لم يمنع الإسبان من التصدّي لهم بالقتال وطردهم من بلادهم، وذلك على الرغم من أنّهم، أي المسلمين، شيّدوا هناك حضارة مزدهرة. وذلك أنّ قلوب الإسبان بقيت متعلّقة ببلادهم، وفي النهاية استطاعوا طرد العرب والمسلمين من هناك وأعادوا بناء دولتهم. ولم يمنعهم وجود العرب هناك طيلة مئات السنين من التخلّي عن هذا الهدف، ولذا فإنّ ما انطبق على الإسبان ينطبق على اليهود في حالة فلسطين، فضلًا عن أنّ العرب في فلسطين -بخلاف المسلمين في إسبانيا، كما يشير نتنياهو، وهو ما سنتطرّق إليه لاحقًا- لم ينتجوا ثقافة أو يشيّدوا عمرانًا في البلاد، فكانوا عابرين في فلسطين، حملتهم الرياح إلى هناك، وسيَعْبرون مع هبّة رياح أخرى إلى مكان آخر (نتنياهو ب.، 1999).

كان الدرس الأساسيّ الذي تعلّمه نتنياهو الابن من والده، في ما يتعلق بالتاريخ الإسبانيّ، أنّ اليهود عليهم أن يكونوا مستعدّين للقتال مئات السنين للحفاظ على حقوقهم (Aronoff, 2004, 46). كان نتنياهو يعتقد أنّ استمرار القتال والاستعداد له سوف يكون لصالح الشعب اليهوديّ، ولا سيّما ديمچرافيًّا؛ إذ كان يؤمن بأنّ الميزان الديمچرافيّ سوف يصبّ لصالح اليهود في فلسطين. هكذا كتب في فصل «المسألة السكّانيّة» في كتابه «مكان تحت الشمس»، وفقط في دورات حكمه الأخيرة بدأ نتنياهو يعطي العامل الديمچرافيّ أهمّيّة أكبر في خياراته السياسيّة، وذلك بتأثير نهج وتوجّه أريئيل شارون.

فبدل ضمّ كلّ الضفّة الغربيّة مع سكّانها (نهج نتنياهو القديم)، يمكن ضمّ غالبيّة الضفّة الغربيّة بدون سكّانها.

وخلاصة ذلك أنّ ثمّة تأثيرًا فكريًّا وسياسيًّا بالغًا لبِنْتْسِيُون على نجله بنيامين نتنياهو، وقد ظهرت معالم هذا التأثير على خطاب الابن السياسيّ والأيديولوجيّ. تعود جذور بِنْتْسِيُون نتنياهو الفكريّة إلى حقبتين تاريخيّتين، تاريخ اليهود في القرون الوسطى، وتاريخ الحركة الصهيونيّة التنقيحيّة، حيث كان بِنْتْسِيُون مُرافقًا شخصيًّا ومقرّبًا من قائدها ومُنظِّرها. وقد تأثّر بِنْتْسِيُون من كلّ حقبة بطريقة أسهمت في بلورة فكره وتصوّراته. فمن حقبة القرون الوسطى تأثّر بِنْتْسِيُون من تاريخ اليهود في إسبانيا والكارثة التي حلّت بهم، وتقاعُس اليهود عن منع الكارثة بالارتهان إلى الفكر الخلاصيّ المسيانيّ، فضلًا عن أنّه استمدّ من هناك تفوّق أو فوقيّة اليهود على الشعوب الأخرى، ودَوْرهم في الفكر الحديث، مستنتجًا أنّ على اليهود بناء قوّتهم وكيانهم من خلال الاعتماد على ذاتهم الجماعيّة عبْر تعزيز مصدر القوّة الأساسيّ للشعوب، أي القوّة العسكريّة التي كان يمكن لها أن تمنع الكارثة التي حلّت بهم بسبب الطرد من إسبانيا. أمّا من حقبة التاريخ الحديث، فقد تأثّر بفكر جابوتنسكي، وانتقد الصهيونيّة السياسيّة (حاييم ڤايتسمان ولاحقًا بِنْچوريون) التي ارتهنت للعمل الدبلوماسيّ والسياسة البِرچماتيّة المفرِّطة، برأيه، لتحقيق أهدافها، على حساب بناء قوّة عسكريّة يهوديّة. يمكن القول إنّ الفكر الخلاصيّ الدينيّ المسيانيّ، الذي لم يمنع كارثة اليهود في القرون الوسطى، ينسجم برأي بِنْتْسِيُون مع العمل الدبلوماسيّ والاعتماد على الآخرين واستعطافهم على نحوٍ مُفْرِط، وهذا ما يرى هو أنّ الصهيونيّة الڤايتسمانيّة والبِنْچوريونيّة الحديثة

تتميّز به؛ في الحالتين أصابت اليهود كارثةٌ، كارثة الطرد في إسبانيا بسبب الارتهان إلى الفكر الخلاصيّ المسيانيّ، والكارثة اليهوديّة الحديثة التي أصابت اليهود بسبب المراهنة على الدبلوماسيّة الزائدة والپرچماتيّة السياسيّة. انعكست الحالتان على فكر نتنياهو الابن الذي يريد منع كارثة مستقبليّة قد تحلّ باليهود في فلسطين، وذلك بالاعتماد على فكرة الجدار الحديديّ في معناها المجازيّ، أي بناء قوّة عسكريّة وعدم الثقة بالآخرين، بل بالاعتماد على الذات فقط.

2.2 مقتل شقيقه يونتان وإنتاج سرديّة البطولة والتضحية

يهدف هذا المبحث إلى تحليل تأثير أخيه الأكبر، يوناتان نتنياهو (لاحقًا: يوني) على شخصيّة نتنياهو. ويستند هذا المبحث إلى تحليل الكتاب الذي حرّره نتنياهو وأخوه عيدو عن أخيهما بعد مقتله. سُمِّيَ هذا الكتاب «رسائل يوني»، وهو الكتاب الأوّل الذي حرّره نتنياهو، وصدر في أعقاب مقتل أخيه في عمليّة عنتيبي في أوچندا. قام نتنياهو وأخوه عيدو بتجميع الرسائل التي كتبها يوني منذ الستّينيّات (وتحديدًا منذ عام 1963) إلى ما قُبَيْل مقتله (1976)، وكتبوا له خلاصةً تُبيّن رؤيتهما لمكانة أخيهما في التاريخ اليهوديّ. وَ«رسائل يوني» عبارة عن رسائل كان يوني يبعثها إلى عائلته، وخاصّة والده، ولم تَخْلُ من رسائل وجّهها إلى بنيامين نتنياهو نفسه (نتنياهو ونتنياهو، 1978).

عملت عائلة بنيامين نتنياهو، وهو شخصيًّا، على مَوْضَعة أخيه في قلب الذاكرة التاريخيّة الإسرائيليّة، كأحد الأبطال في تاريخ الشعب اليهوديّ؛ إذ حرصت العائلة على بَلْوَرة ذاكرة تاريخيّة تقرن نجاح عمليّة تحرير الرهائن الإسرائيليّين وتضحية أخيه بهذه العمليّة، حيث سُمّيت العمليّة العسكريّة الناجحة «عمليّة يوني». كان يوني

قائد القوّة الإسرائيليّة التي هاجمت مختطفي الطائرة الفرنسيّة في مطار عنتيبي، وقُتِل يوني خلال الهجوم الأوّل على المطار، وكان القتيلَ الوحيد في العمليّة الناجحة. وقد ارتبطت العمليّة بيوني نتنياهو لأنّه كان القتيل الوحيد في هذا الهجوم، ولذا كان من السهل بناء موقع مركزيّ له في الذاكرة التاريخيّة الإسرائيليّة، وكان كتاب «رسائل يوني» الحجر الأوّل في أساس هذه المَوْضعة التاريخيّة، وقد أنتجت السينما الإسرائيليّة فيلمًا خاصًّا عن يوني ودوره في العمليّة، وضعه في مركز العمليّة وأسهم في تعزيز موقعه في الذاكرة الشعبيّة الإسرائيليّة، كما قام أخوه عيدو نتنياهو بتأليف كتاب كامل عن دَوْر يوني في عمليّة عنتيبي أسماه «معركة يوني الأخيرة» صدرت الطبعة الأولى منه عام 1991، وأعيدت طباعة الكتاب عام 2011 (نتنياهو ع.، 2011)، وذلك على الرغم مِن أنّ مَن دفعوا بالعمليّة وخطّطوا لها كانوا شخصيّات أخرى.

لا شكّ أنّ مَوْضَعة يوني كبطل في الذاكرة التاريخيّة الإسرائيليّة كانت تحمل أيضًا أهدافًا سياسيّة للعائلة، ترمي إلى تحدّي الذاكرة التاريخيّة الرسميّة العمّالية الصهيونيّة التي أقصت اليمين التنقيحيّ، فضلًا عن إقصاء عائلة نتنياهو كجزء من هذا اليمين، هذه الذاكرة التي سيعيد الليكود إنتاجها من جديد عند اعتلائه للحكم عام 1977، ويعيد الصهيونيّة التنقيحيّة، وأبطالَها ورموزها وتاريخها، لتَكُون جزءًا من مَعْبد الذاكرة الإسرائيليّة (ليبل، 2007).

يشير كتاب «رسائل يوني» –في ما يشير– إلى الحالة النفسيّة الصعبة التي كان يوني يعيشها في فترة أيّامه الأخيرة؛ فمن يقرأ رسائله عشيّة موته يدرك ذلك بسهولة. كذلك تكشف الصحفيّة رونيت فيردي أنّ أفراد وحدة يوني كانوا ينوون عَقد جلسة مع رئيس الاستخبارات

العسكريّة كان من المُزمَع عقْدها بعد أسبوع من عمليّة عنتيبي، يطالبون فيها بتنحيته عن الوحدة لأنّ أداءه تَراجَعَ، وحالته النفسيّة ازدادت صعوبة. وعن العمليّة العسكريّة، تشير أنّ يوني لم يكن في جميع مراحل التحضير للعمليّة، وأنّه انضمّ إلى المراحل الأخيرة من التخطيط للعمليّة ولم يكن مشاركًا منذ بدايتها، وكان الجميع، العسكريّون والسياسيّون، يعرفون ذلك، ولكن جرى التعامل معه كضابط مركزيّ للعمليّة، لأنّه كان القتيل الوحيد، وضابطًا كبيرًا في الوحدة التي قامت بالعمليّة، ولأنّ القيادة العسكريّة والسياسيّة، وعلى وجه التحديد إيهود براك (بوصفه أحد الضباط الذين خططوا للعمليّة) وشمعون بيرس (بوصفه وزيرًا للدفاع آنذاك) أرادت الحفاظ على مشاعر العائلة، وبذلك «أسهموا من حيث لا يدرون ولا يقصدون في مشروع تخليده» كبطل من أبطال الشعب اليهوديّ (فيردي، 1997، ص 141).

الحقيقة أنّ ما يهمّنا من هذه الحيثيّات هو الاستخدام الذي قامت به العائلة ونتنياهو حتّى اليوم لهذا الحدث لمَوْضعة نفسها في تَراتُبيّة الموت الإسرائيليّة، وربط العائلة بالتضحية من أجل الوطن، ومَوْضعة يوني في معبد أبطال الشعب اليهوديّ. ففي خاتمة كتاب «رسائل يوني»، كتب الشقيقان عيدو وبنيامين (محرّرا الكتاب) ما يلي: *«طبعًا فإنّ خيار يوني لم يكن ممكنًا لولا{...} أنّه رأى بعينيه انتماءه للشعب اليهوديّ ولأرض إسرائيل. لقد نظر إلى نفسه على نحوٍ واضح كممثّل التاريخ الرائع لشعب إسرائيل، كوريث تراث المكّابيم وبار كوخبا {مجموعة يهوديّة عسكريّة خُلّدت في الذاكرة اليهوديّة المعاصرة مقرونة بمفاهيم الشجاعة والتضحية}، وكمكمّل في نضال البطولة لشعب إسرائيل الذي لا مثيل له بوجوده وخصوصيّته»* (نتنياهو ونتنياهو، 1978، ص.ص 291-292).

عبّر يوني في رسائله عن محبّته لأخيه بنيامين الذي قال عنه إنّه *«أكثر إنسان يحبّه في العالم» (نتنياهو ونتنياهو، 1978، ص 52)*.

في موضع آخَر، يصف يوني في رسالة بعثها عام 1964 نصًّا كتبه بنيامين (لم يأتِ على ذكر ما هو ذاك النصّ)، بما يلي: «رائع. لديك قدرة غير عاديّة على الكتابة والتعبير، كنت أتمنّى لو عرفتُ مقدار نصف الإنجليزيّة التي تعرفها. أنت قادر، كما يبدو لي، أن تستغلّ كلّ مخزون اللغة التي تعرفها. إذا استمررت على هذا المنوال، فستنجح في تحقيق أمور رائعة» (ص 56).

ولكنّه عبّر أيضًا عن مواقف كثيرة، على نحو حياة اليهوديّ في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، حيث عاش يوني هناك وتنقّل بين إسرائيل والولايات المتّحدة مكان سكن والدَيْه ودراسته في جامعة هارفارد لاحقًا. ففي هذه النقطة كشف يوني، وعلى نحوٍ مثابر وعبْر كلّ هذه الفترة التي بعث بها رسائله، عن امتعاضه منَ اليهود الذين يسكنون خارج إسرائيل، واعتبر أنّ الحرّيّة الحقيقيّة لليهوديّ تتمثّل في العيش في إسرائيل. في رسالة بعثها في نيسان عام 1963، كَتبَ –في ما كَتبَ–:

«أمران يمكن أن يَحْدثا لإسرائيليّ في أمريكا؛ إمّا أن يتحوّل إلى أمريكيّ خالص، وإمّا أن يتحوّل إلى إسرائيليّ بدمه وروحه أكثر ممّا كان في السابق. أنا أنتظر اللحظة التي فيها أستطيع العودة وأبدأ الحياة من جديد» (نتنياهو ونتنياهو، 1978، ص 16).

في الفترة التي سبقت سفره إلى إسرائيل والتحاقه بالجيش عام 1964، شرح يوني أمورًا تتعلّق بنشاطه بين الشباب اليهوديّ في

أمريكا، ودَوْره في عرض الرواية الإسرائيليّة والصهيونيّة للشباب اليهوديّ ونجاحه في ذلك. في رسائله الأخيرة، اعتبر يوني أنّ التنازل عن أراضٍ احتلّتها إسرائيل عام 1967 يُعتبر «انتحارًا سياسيًّا»، وتمنّى في الرسالة نفسها أن يخرج الشخص الذي يقوم بالتضحية بعمل شجاع وينهي هذه الحرب (نتنياهو ونتنياهو، 1978، ص 282). وانتقد يوني في رسائله نيّة الحكومة الإسرائيليّة الانسحاب من أراضٍ عربيّة من أجل عَقْد اتّفاق سلام مع العرب. في إحدى رسائله في تشرين الثاني عام 1974، أشار يوني إلى اقتراب نهاية دولة اليهود إذا لم يجرِ حسم الحرب مع العرب، أو إذا جرى الانسحاب من الأراضي المحتلّة، ويُلحَظ في هذه الرسالة ربط مصير الشعب والدولة بخدمته الشخصيّة في الجيش، حيث يكتب:

> *«أنا خائف على مصير دولة اليهود. لا أوهام لديّ. أنا أرى أنّ الصيرورة المقصودة التي ستؤدّي إلى نهايتنا تتسارع... لن تكون الصيرورة سريعة، ولكن قوّتنا ستتلاشى من حرب إلى أخرى، ويمكن أن نخرج بسلام إذا نجحنا في أن «نستمرّ في الشغل» {تعبير إسرائيليّ دارج للدلالة على التسويف والمماطلة} لعشرات السنوات... أنا حاليًّا في الجيش، وأنا مقتنع إلى حدّ ما أنّني أقوم، على الأقلّ في هذه الفترة، بأقصى ما يمكن لكي أطيل حياتنا، أو منع انقطاعها قبل أوانها» (نتنياهو ونتنياهو، 1978، ص 251).*

في الخاتمة التي كتبها نتنياهو وشقيقه عيدو في كتاب «رسائل يوني»، يشيران إلى أنّ يوني يمثّل تاريخ وبطولة الشعب اليهوديّ؛ إذ يكتبان: «في السنوات التي أعقبت حرب الأيّام الستّة، آمن يوني أنّه على الرغم من كلّ الصعاب السياسيّة التي كانت تواجه «إسرائيل»، يستطيع الجيش دائمًا أن يُبعِد الهولوكوست عنّا». ويحلّل المحرّران

الرسالة بشأن خوف يوني على مصير دولة اليهود، ويكتبان تحليلًا لهذه الرسالة، والتي نعتقد أنّها تمثّل نتنياهو حتّى اليوم، حيث يشيران إليها على النحو التالي:

«غيّرت حرب يوم الغفران، وما جاء في أعقابها، نمطَ التفكير لدى يوني؛ فقد تبلور لديه الوعي أنّ الطريق التي تسير بها الدولة ستقودها إلى مضيق سيهدّدها بخطر الخراب {ذاك تعبير دينيّ يمثّل تدمير الدولة- مثل خراب الهيكل}». في الثالث من تشرين الثاني كتب: «أنا خائف على مصير دولة اليهود. لا أوهام لديّ. أنا أرى أنّ الصيرورة المقصودة التي ستؤدّي إلى نهايتنا تتسارع... لن تكون الصيرورة سريعة، ولكن قوّتنا ستتلاشى من حرب إلى أخرى، ويمكن أن نخرج بسلام إذا نجحنا في أن 'نستمرّ في الشغل' لعشرات السنوات». في الـ 11 من تشرين الثاني عام 1975 كتب: «لا أخبار مثيرة في البلاد. كلّ شيء عاديّ، بمعنى سيّئ إلى حدّ ما، ويحتاج {الواقع} إلى تحسين فوريّ... محزن! بدأت أشعر كأنّني فيتناميّ صغير، والحكمة هي أن نحارب عمليّة العزلة التي تحيط بنا. ولكن لا حكماء في إسرائيل».

قارِنوا ذلك بمقطع من رسالة كتبها يوني قبل حرب يوم الغفران، في بداية عام 1973: *«مثير ماذا سيحدث في منطقتنا في أعقاب اتّفاق السلام في فيتنام. لا زلت لا أرى سلامًا في الشرق الأقصى، بالطبع، بل على العكس. أنا أتنبّأ بحرب دمويّة، وربّما انتصار شيوعيّ هناك. على ما يبدو، ذاك لن يمنع الأمريكيّين من الانتقال من هول الانتصار إلى الشرق الأوسط وتسوية «سلام» هنا... أنا أعتقد أنّه سيكون من الصعب أن تُفرَض علينا شروط سلام لا نرغب بها، وآمل أن يكون للأمريكان عقل أن لا يجرّبوا ذلك» (نتنياهو ونتنياهو، 1978، ص 293).*

2.3 سلطويّة نتنياهو والهيمنة الشخصيّة والفكريّة

منذ أن أطلق عليه مكسيم ليڤي صفة «الدكتاتور»، في بداية التسعينيّات، ونتنياهو يؤكّد مرّة تلو الأخرى صوابيّة هذا التوصيف. يحمل نتنياهو صفات الشخصيّة السلطويّة، في إدارته للحقل السياسيّ والحزبيّ الإسرائيليّ، وفي إدارته للسياسات الدوليّة الإسرائيليّة. أشار المؤرّخ الإسرائيليّ عوفر نوردهايمر، أستاذ التاريخ في جامعة تل أبيب، إلى خمسة مؤشّرات للقيادة السلطويّة (بما في ذلك تلك التي في إسرائيل حاليًّا): نزْع شرعيّة الخصوم السياسيّين؛ اتّهام وسائل الإعلام بأنّها معادية وغير وطنيّة؛ سَنّ تشريعات انتقائيّة ضدّ منظّمات حقوق الإنسان والأقلّيّة، لكن ليس ضدّ مجموعة «الوطنيّين»؛ نزع شرعيّة المؤسّسات التي تهدّد الروح السلطويّة؛ إحداث تفسُّخ بين المجموعات المختلفة، الأمر الذي يُضعفها ويخلق الشعور بالضحويّة عند المجموعة المنضوية تحت الحكم (نوردهايمر، 2016).

وتعود سلطويّة نتنياهو إلى تصوُّره لذاته في تاريخ الشعب اليهوديّ. يشير الكثيرون إلى الانطباع الذي يرسمه نتنياهو لشخصيّته ودَوْره في تاريخ الشعب اليهوديّ، فهذا ما أعدّه له والده منذ البداية عندما غرس فيه «الالتزام لشعبنا»، وهذا ما تراه عائلته، على غرار ما وصفه نجله يائير:

> *«عندما نرى تضحيتك واستعدادك للتضحية بنفسك من أجل أرض إسرائيل وشعب إسرائيل، نقول شكرًا جزيلًا لك على التضحية».*

ويعقّب الصحفيّ النقديّ روجل ألْبير على هذه الكلمات، الصادرة من نجله بمناسبة عيد ميلاد والده عام 2017، بالقول:

«هذه كلمات سجود تقليديّة. تَعرض القائد كمن يضحّي بنفسه من أجل الشعب والوطن. ويجب الانتباه أنّ القيادة حصل عليها بسبب استعداده للتضحية بنفسه من أجل الشعب والوطن، لا بسبب انتخابه بصورة ديمقراطيّة لمنصب يمكن للجمهور أو القانون أن يطيحا به. رئاسة الحكومة له، لأنّه ثمّة علاقة روحانيّة مع الشعب والوطن» (ألبير، 2017، ص 30).

يشير شموئيل كِمْحي وآخران، في دراستهم التحليليّة لسلوك نتنياهو السياسيِّ، إلى أهمّ صفات نتنياهو الشخصيّة، والتي يمكن إدراجها في المقاربة السلطويّة لشخصيّته. يقارن الباحثون بين سلوك نتنياهو السياسيِّ في العام 1999 وسلوكه في العام 2017، ويتوصّلون إلى نتائج تؤكّد أنّ أنماط السلوك السياسيّ لدى نتنياهو لم تتغيّر في العامَيْن المذكورَيْن، بل أصبحت أكثر راديكاليّةً (Kimhi, Yehoshua, & Oliel, 2017). ويشيرون تحديدًا إلى الصفات التالية وهي: مَيْل نتنياهو إلى المركزيّة وتهميش الآخرين؛ التركيز على الولاء الشخصيّ له هو؛ عدم تحمُّل المسؤوليّة عن الأخطاء والإخفاقات؛ لا يتّخذ قرارات صعبة؛ بقاؤه في الحكم فوق أيّ اعتبار؛ يخاطب بالأساس قواعده اليمينيّة؛ لا يعتذر عن أخطائه؛ يمنع وجود منافسين له في الحزب ويقوم على إقصائهم؛ يتعامل مع الآخرين بطريقة أداتيّة، فمَن حَوْله هم مجرّد أدوات بيده ولا يهتمّ بمشاعرهم؛ متعطّش للسلطة بلا حدود... تلك وغيرها من الصفات التي يرصدها الباحثون تدلّ على تفكيره السلطويّ. وهي المميّزات السلوكيّة نفسها التي توصّل إليها كِمْحي في دراسته الأولى عن شخصيّة نتنياهو عام 2001، ولم يرصد فيها تغييرًا يُذْكر في الدراسة عام 2017، بل رصد تعزيزًا لها (Kimhi, 2001).

يوظّف نتنياهو خطاب الخوف والتخويف في سبيل تعزيز سلطويّته وسيطرته على الحقل السياسيّ وعلى وعي الإسرائيليّين الجماعيّ. خطاب إشاعة الخوف يرمي إلى ضمان بقائه في السلطة. هو يسوّق نفسه على أنّه الوحيد القادر على تخفيف خوفِ الإسرائيليّين، الخوفِ الذي أنتجه هو بنفسه ويعيد إنتاجه باستمرار (Lochery, 2016). فعلى سبيل المثال، يحذّر نتنياهو الإسرائيليّين من خطر الإبادة بسبب المشروع النوويّ الإيرانيّ من جهة، ويدعو اليهود في العالم للهجرة إلى إسرائيل كونها المكان الآمن الوحيد لهم. وقد استخدم خطاب إشاعة الخوف في انتخابات الكنيست العشرين (2015)، عندما حذّر قواعده الاجتماعيّة من خطر تصويت العرب في الانتخابات، ممّا سيؤدّي إلى إسقاط حكم اليمين. تلك مشاعر أسهمت في حصول الليكود على أكبر عدد من المقاعد وإعادة تشكيل نتنياهو للحكومة.

يُعتبر نتنياهو نموذجًا لزعيم يمينيّ متطرّف يسعى إلى ترسيخ حكمه عبر نزع شرعيّة خصومه، وهو يعمد في ذلك إلى خطاب شعبويّ، ووسائل الإعلام الحديثة، في مقارعة خصومه في الداخل والخارج. فهو يستخدم بكثرةٍ صفحات التواصل الاجتماعيّ، ليعبّر عن استهتاره بالنظام الدوليّ القائم والمؤسّسات الدوليّة، ولمهاجمة كلّ من ينتقدون إسرائيل متّهِمًا إيّاهم بالجهل أو بمعاداة إسرائيل أو بمعاداة الساميّة. يكشف تحليل أُجْرِيَ لموقع نتنياهو على صفحة التواصل الاجتماعيّ «فيسبوك»، خلال العام 2016، أنّ هنالك أربع فئات يهاجمها نتنياهو على نحوٍ جماعيّ: المجتمع الدوليّ (32%)؛ الإعلام (28%)؛ العرب (20%)؛ اليسار (17%) (ميخائيلي، 2017). وفي تقرير آخر فَحَصَ نصوص نتنياهو على صفحته في

الفيسبوك في العام 2016، تَبيّنَ أنّ نتنياهو كتب 556 نصًّا، من بينها 157 (وهي أغلبها) عالجت مسائل في علاقات إسرائيل الدوليّة ولقاءاته مع شخصيّات دوليّة. وتناول 96 نصًّا قضايا الأمن والحرب ضدّ الإرهاب، وَ- 18 نصًّا أكّد فيها على غياب شريك في الجانب الفلسطينيّ (دطل، 2017).

أثبتت حالة ترامب أنّ استعمال مواقع التواصل الاجتماعيّ يمكن له أن يشكّل أداة فعّالة لإدارة وبلورة الشأن العامّ وصياغة المجال العموميّ، وهذا ما فهمه نتنياهو، وهو يكثر من استعمال هذه الأداة في إدارة مواقفه الدوليّة أيضًا، وفي هجومه على خصومه السياسيّين، حتّى قبل ظاهرة ترامب، وقد يكون ترامب تقليدًا لنتنياهو لا العكس.

يبلور نتنياهو خطابًا محلّيًّا ودوليًّا يحمل ثلاثة مركّبات وهي: مركّب استشراقيّ؛ مركّب كولونياليّ؛ مركّب سلطويّ. يتمثّل المركّب الاستشراقيّ في الادّعاء أنّ النظام الدوليّ القائم (والمجتمع الدوليّ بكلّ مركّباته) لا يفهم طبيعة التحوّلات الجارية على البيئة الدوليّة والإقليميّة، وإسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تفهم هذا العالم بالشكل الصحيح. في هذا الصدد، صرّح نتنياهو عشيّة تولّي ترامب لرئاسة الولايات المتّحدة، وبعد قرار مجلس الأمن الذي أدان الاستيطان، وانعقاد مؤتمر باريس للسلام في كانون الثاني عام 2017، «أنّ عالم الأمس انتهى وعالم الغد سيكون مختلفًا، وهو قريب» (كهانا، 2017).

الخطاب الاستشراقيّ تحديدًا يَعتبر إسرائيل الوحيدة التي تفهم طبيعة «الإرهاب الإسلاميّ»، ومخاطر اللجوء والهجرة من الدول العربيّة والإسلاميّة، وتفهم العقليّة العربيّة وتحوُّلات البيئة الإقليميّة الشرق أوسطيّة أكثر من أيّة دولة أخرى (مصطفى، 2016). في هذا

يقول بوعز بيسموط، محلّل الشؤون الخارجيّة في صحيفة «يسرائيل هَيُوم» ورئيس تحريرها الحاليّ، وهي منصّة المنطوق واللامنطوق لأفكار نتنياهو، «أنّ العالم يعيش في أوهام» ونتنياهو يكشف للعالم الواقع الحقيقيّ الذي يتجاهلونه (بيسموط، 2015).

أمّا المركّب الكولونياليّ في سياسة نتنياهو الدوليّة، فيتمثّل في تكراره في خطاباته لمقولة أنّ إسرائيل هي رأس الحربة في حرب «العالم الحرّ» ضدّ «الإرهاب الإسلاميّ» (مكتب رئيس الحكومة، 2015)، وهي تعيد إلى الأذهان مقولة ثيودور هرتسل التاريخيّة والتي ملخَّصُها أنّ إقامة دولة لليهود ستشكّل الثغر الأماميّ للعالم الغربيّ أمام البربريّة، ومقولته الشبيهة لتلك التي قالها هرتسل ومُفادُها أنّ الجدران تُبنى لمنع «الحيوانات المفترسة» من اجتيازها (تيبون، 2017).

يُكثِر نتنياهو من تمجيد نفسه (حتّى من خلال استعماله كلمة «أنا» في كلّ جملة) في كلّ محفل محلّيّ، وحتّى على المستوى الدوليّ، فهو يطلب من الجميع أن يتركوا له شخصيًّا قيادة السفينة على المستوى المحلّيّ والدوليّ، ولذلك فهو لا يرى أهمّيّة كبيرة في وجود وزارة للخارجيّة، بل دائمًا يذكر ويؤكّد أنّ علاقاته الشخصيّة مع زعماء العالم، ومكانته الدوليّة، هي المورد الأساسيّ للسياسة الخارجيّة الإسرائيليّة، فدائمًا يشير إلى علاقاته الشخصيّة مع زعماء العالم، والتي تسبق تقاطع المصالح معها كمورد أساسيّ في تعزيز علاقات إسرائيل مع دول العالم. في أحد الاجتماعات صرّح قائلًا:

«ليست هنالك حاجة إلى موظّفي وزارة الخارجيّة؛ فأنا موجود» (رفيد، 2016، ص 5).

في السياق نفسه، هاجم نتنياهو منظّمات إسرائيليّة تنتقد إسرائيل على المستوى الدوليّ، نحو: منظّمة «بِتْسِيلِمْ» التي ظهر مديرها،

حچاي إلعاد، في مجلس الأمن وتحدّث عن المشروع الاستيطانيّ في الضفّة الغربيّة؛ ومنظّمة «يكسرون الصمت» التي تحاول الكشف عن مخالفات وجرائم حرب خلال حروب إسرائيل الأخيرة على قِطاع غزّة، مُطالِبًا دولًا غربيّة بعدم تمويلها. ويهاجم نتنياهو هذه المنظّمات لا لدواعٍ سياسيّة محلّيّة انتخابيّة فحسب، بل كذلك لأنّها تُعتبر تحدّيًا لسيَاسته على المستوى الدوليّ. لذا يَعتبر نشاطها تخريبيًا لجهوده الدبلوماسيّة على المستوى الخارجيّ وتحدّيًا لانتشار تصوّراته الأيديولوجيّة.

كذلك أخذت سلطويّة نتنياهو تظهر في حرصه على تعيين شخصيّات مقرَّبة منه في المناصب المهمّة في السلك الحكوميّ، ويشير الكاتب سامي پيرتس أنّ السؤال الذي يسأله نتنياهو عند تعيينه شخصًا في منصب مهمّ:

«هُوَ مِشِيلانُو؟» (هل هو واحد منّا؟) (پيرتس، 2017، ص 2).

هذا تعبير مرتبط بثقافة يمينيّة شرقيّة، تنطلق من فهم عضويّ – قَبَليّ للحزب على أنّه عائلة واحدة، وهو مصطلح أطلقه الشرقيّون حين صوّتوا لحزب الليكود وانبهروا بمناحيم بيچن، حيث اعتبروا أنّ بيچن (البولنديّ الإشكنازيّ) «إحاد مشيلانو» (وترجمتها إلى العربيّة: «هو واحد منّا» –أي إنّه شرقيّ). وعندما يسأل نتنياهو عن كلّ شخص: هل هو واحد منّا؟ فالأمر نابع من حرصه أن يضع في مراكز اتّخاذ القرار شخصيّات مخلصة له في الدرجة الأولى وللحزب بالدرجة الثانية. ويعتقد پيرتس أنّه ليس الإخلاص بالضرورة لتوجّهات الحزب السياسيّة، بل بالحرص على بقاء نتنياهو والليكود في الحكم، ويصفها پيرتس بأنّها مقولة تتميّز بها العصابات. وممّا يدلّ على أنّ فكرة «واحد منّا» تحمل بالأساس

معنى الولاء الشخصيّ لنتنياهو، لا الانتماء الأيديولوجيّ للحزب، ذاك النقد الذي وجّهه مقرَّبو نتنياهو إلى رئوبين ريڤلين، رئيس الدولة، الذي انتقد –في خطابه في الكنيست بمناسبة افتتاح الدورة الشتويّة للكنيست عام 2017– محاولات الحكومة تشريع قوانين غير ديمقراطيّة، حيث قال داڤيد بيطان، رئيس الائتلاف الحكوميّ السابق (والذي هو كذلك متورّط بقضايا فساد ماليّ) عن ريڤلين إنّه

«منذ مدّة ليس واحدًا منّا. لست متفاجئًا ولا أتوقّع شيئًا منه. ردوده ضدّنا هي دائمًا بسبب أنّ نتنياهو لم يصوّت له ولم يؤيّده في انتخابات رئاسة الدولة. نحن انتخبَنا الشعب وهو انتخبه أعضاء الكنيست لا الشعب. نحن نمثّل جمهورنا وجمهور شعب إسرائيل» (پيرتس، 2017، ص 2).

بات نتنياهو مهووسًا بتعيين أناس مقرّبين منه يتميّزون بالإخلاص الشخصيّ له بالدرجة الأولى، ويزداد هوسه بذلك كلّما امتدّت فترة حكمه التي أفضتْ إلى زيادة أعدائه الشخصيّين، كما أنّ تجربته مع المقرّبين جعلت منه مهووسًا في التشديد على إخلاص مؤيّدين له شخصيًّا. فتاريخه مليء بمقرّبين صعدوا في ظلّه وتركوه وتحوّلوا إلى أعداء له، بدءًا بنفتالي بينيت رئيس حزب البيت اليهوديّ، وأَيِيلِتْ شَكِيد وزيرة القضاء (من الحزب نفسه)، اللذَيْن عملا مساعدَيْن شخصيَّيْن له في بداية طريقهما، ويحملان عداءً شخصيًّا له، مرورًا بمستشاره السياسيّ السابق عوزي آراد الذي تحوّل إلى أشدّ الناقدين له، وانتهاء برئيس طاقمه السابق آري هارو، الذي وقّع على اتّفاق شاهد ملَكيّ مع النيابة في ملفّات الفساد المتورّط بها نتنياهو، وكان أحدَ أهمّ المقرّبين له ومطّلعًا على الكثير من أسراره الشخصيّة. والقائمة تطول في هذا السياق.

الفصل الثالث

أيديولوجيّة وفكر نتنياهو - تأطير المشروع الصهيونيّ ضمن صراع الحضارات

أيديولوجيّة وفكر نتنياهو - تأطير المشروع الصهيونيّ ضمن صراع الحضارات

يهدف هذا الفصل إلى قراءة فكر نتنياهو وتصوُّراته الأيديولوجيّة من خلال نصوصه التي كتبها. وينطلق هذا الفصل من مقولة الكتاب الأساسيّة التي مُلخَّصها أنّ نتنياهو يعتقد أنّ المشروع الصهيونيّ هو جزء من الصراع الحضاريّ بين الغرب المسيحيّ - اليهوديّ والحضارة العربيّة - الإسلاميّة، علاوة على أنّ المشروع الصهيونيّ هو رأس الحربة في هذا الصراع. وقبل الشروع في تحليل كتابات نتنياهو، يستعرض الفصلُ النقاشَ حول شخصيّة نتنياهو وتصوّراته السياسيّة والأيديولوجيّة.

3.1 مقاربة شخصيّة نتنياهو في بعض الأدبيّات الإسرائيليّة

بداية، تحاول الكثير من الكتابات مقارنة نتنياهو بزعماء في العالم من الماضي والحاضر. طَوْرًا يقارَن ببِنْچوريون؛ فكما أنّ بِنْچوريون أقام دولة إسرائيل وصبغها بفكره وطابعه، يقوم نتنياهو بإعادة إنتاج دولة تتماهى معه ومع تصوّراته، فضلًا عن كون الرجلين شخصيّتَيْن سلطويّتَيْن ومركزيّتَيْن في الحقل السياسيّ دون تنافس (ماتسا، 2018). وتارة يقارَن بيتسحاق شامير الذي تميّز بقدرته على الحفاظ على الوضع القائم دون تغيير على الرغم من الضغوط التي مورست عليه دوليًّا ومحلّيًّا؛ فهو رجل الجمود السياسيّ «ومكانك سِرْ» (مسچاف، 2013). وتارة يقارَن بريتشارد نكسون الذي مثّل صعود رجل يحمل قدرات سياسيّة مميّزة، ولكنّه انهار بسبب عدم قدرته على الاعتراف بإخفاقاته وفضائحه (شاليف، 2018)، أو بشخصيّة وينستون تشرتشل الذي خُلّدت قيادته في التاريخ بسبب

وقوفه المثابر ضدّ النازية، ومنع حدوث كارثة لشعبها. ونتنياهو شخصيًّا يحبّ أن يشبَّه بتشرتشل (چڤعولي، 2015)، وبرونالد ريچن الذي يمثّل النجوميّة التلفزيونيّة، واستعمال أدوات التسويق السياسيّ والإعلاميّ (ليشم، 2017). وثمّة من قارنه بالرئيس التركيّ رجب طيّب أردوچان، لِما يمثّله من شخصيّة قويّة وقادرة على الإمساك بزمام الحكم دون تحدٍّ (برئيل، 2015)، وبدونالد ترامپ، لِما يحمله هذا الأخير من خطاب شعبويّ وديماچوچيّ ومثابَرة على مهاجمة النخَب القديمة ووسائل الإعلام (نهاري، 2017). كلّ تلك محاولات لسَبْر غَوْر شخصيّته وفكره عَبْر مقارنتها بشخصيّات أخرى.

اعتبر الباحث دورون ماتسا، الذي شغل كذلك منصبًا رفيعًا في جهاز الأمن العامّ (الشاباك)، أنّ نتنياهو هو القائد الأهمّ الذي ظهر في إسرائيل بعد بِنْچوريون (ماتسا، 2018). ويعتقد ماتسا أنّ نتنياهو بَلْوَر لسنوات قادمة نمط التفكير والعمل في مجالات متنوّعة تتعلّق بشؤون الدولة. ويعترف ماتسا في مقاله أنّه ليس من مؤيّدي نتنياهو، ولكنّه يعتقد في الوقت نفسه أنّ نتنياهو لديه منهج واضح، نابع من منظومة فكريّة واضحة تدمج بين توجّهات اقتصاديّة نيوليبراليّة وإستراتيجيّة أمنيّة لا تختلف كثيرًا عن الأُسس التي وضعها حزب «مپاي» التاريخيّ. ويضيف ماتسا أنّ نتنياهو ترك بصمات فكريّة على المجتمع الإسرائيليّ من الصعب التخلُّص منها حتّى بعد سقوطه أو تنحّيه عن الحلبة السياسيّة؛ فقد جاء نتنياهو بمقولات فكريّة فنّدت المقولات التي أصرّ عليها اليسار الإسرائيليّ بعد اتّفاق أوسلو، والتي شكّلت انقطاعًا عن التراث السياسيّ لدى اليسار الصهيونيّ وحزب «مپاي» التاريخيّ. ويقسم ماتسا اليسار الصهيونيّ إلى مرحلتين: ما قبل أوسلو وما بعد أوسلو.

اليسار الصهيونيّ في مرحلته الثانية التي جاءت بعد أوسلو ارتكز على ثلاثة أسس فكريّة:

1. التخلّص من التراث الدينيّ اليهوديّ نهائيًّا، والمضيّ نحو تحويل إسرائيل إلى دولة أوروبيّة تقدّس الحداثة وتضع الفرد والقيم الليبراليّة في مركز الحياة الاجتماعيّة.

2. إسرائيل هي جزء من الشرق، حيث إنّها قادرة على بناء جسور مع النخَب غير الديمقراطيّة في المنطقة، وهو ما يمكّنها من إنتاج بيئة إقليميّة جديدة.

3. رؤية اليسار أنّ الصراع مع الفلسطينيّين هو صراع قوميّ، ونقطة البداية في هذا الصراع هي عام 1967، وهي النقطة التي يمكن من خلالها التوصّل إلى تسوية مع الفلسطينيّين.

ويعتقد ماتسا أنّ الأسس الثلاثة التي بنى عليها اليسار توجّهه قد أخفقت واحدًا تلو الآخر؛ فالمجتمع اليهوديّ رفض التخلّي عن تراثه الدينيّ، كما أنّ الصراع مع الفلسطينيّين بات يعود بمفرداته ومنظوماته إلى عام 1948 لا إلى عام 1967، ممّا يصعّب الوصول إلى تسوية بين الطرفين، فضلًا عن أنّ الصراع ليس بين حركتين قوميّتين فحسب، وإنّما بين مجموعتين قوميّتين، وهو أمر يُصعّب مسألة التوصّل إلى تسوية للصراع. علاوة على ذلك، أثبتت الثورات العربيّة صعوبة الوصول إلى بيئة إقليميّة جديدة. ويضيف ماتسا أنّ نتنياهو طرح رؤية فكريّة جديدة لهذه الأسس، ممّا لا يعجّل سقوطه، (والذي تحوّل إلى هدف مركزيّ لليسار الإسرائيليّ)، منقطعًا بذلك عن الأسس الفكريّة التي بلور فيها التوجّهات الإسرائيليّة الجديدة والتي تستند إليها هيمنة اليمين الجديدة. أعتقد أنّ أساسين فقط

ممّا ذكرهما ماتسا هما صحيحان في ما يتعلّق بنتنياهو، وأمّا الثالث فغير صحيح. أعاد نتنياهو الصراع إلى نقطة عام 1948، باعتبار أنّ جوهر الصراع هو في عدم اعتراف الفلسطينيّين بإسرائيل دولةً يهوديّة، لا في الاحتلال الإسرائيليّ لأراضٍ فلسطينيّة عام 1967. صحيح أنّ نتنياهو يستند في منظومته إلى أسس دينيّة، ويعزّز من الهُويّة اليهوديّة لإسرائيل، لكن من غير الصحيح أنّ نتنياهو يحاول إحداث قطيعة عن النخب غير الديمقراطيّة في العالم العربيّ، بل إنّ تصوُّر نتنياهو يعتمد على أنظمة غير ديمقراطيّة يراهِن عليها في بناء بيئة إقليميّة تكون إسرائيل فيها دولة مركزيّة ومؤثّرة.

ويشير أوري رام، عالِم الاجتماع الإسرائيليّ النقديّ، أنّ نتنياهو يمثّل التحوّلَيْن المركزيَّيْن في المجتمع الإسرائيليّ في العَقدين الأخيرين: النيوليبراليّة والنيوكولونياليّة (رام، 2017). واعتبر داني فيلك، عالِم السياسة الإسرائيليّ، أنّ نتنياهو طوّر الخطاب الشعبويّ في إسرائيل (الخطاب الذي يميّز اليمين عمومًا في الوقت الراهن)، إلّا أنّ شعبويّة نتنياهو تختلف عن شعبويّة مناحيم بيجن –على سبيل المثال–؛ ففي حين كان خطاب بيجن الشعبويّ يتميّز بالاحتواء (تجاه اليهود الشرقيّين على وجه التحديد)، تتميّز شعبويّة نتنياهو بالإقصاء (تجاه العرب تحديدًا، ولاحقًا تجاه اليسار) (فيلك، 2006). واعتبر عالِما السياسة الإسرائيليّان نَفتوت وروبين، في بحثهما، أنّ توجّهات نتنياهو السياسيّة ونظرته للتحدّيات الدوليّة تتميّز بالهوبسيانيّة (نسبة إلى المفكّر السياسيّ الإنجليزيّ توماس هوبس) التي ترى في الحكم السلطويّ والتحدّيات الأمنيّة، والاستقرار ومركزيّة الدولة، القضايا المركزيّةَ التي تحدّد توجُّهات الحاكم السياسيّة (Navot & Rubin, 2016).

ويَعتبر عفري إليني، المؤرّخ الإسرائيليّ، أنّ خطاب الضحويّة الذي

عزّزه نتنياهو وحوّله إلى مشروع سياسيّ على المستوى الشخصيّ وعلى المستوى القوميّ، أسهم في تعزيز قيادته في المعسكر اليمينيّ. ويشير إليني أنّ نتنياهو ورث خطاب الضحويّة من حزب الليكود، وسارت به خطوات متقدّمة إلى الأمام، لكن لا يمكن التقليل أيضًا من خطاب الضحويّة الذي ورثه من بيته أيضًا. يقول إليني حول دَوْر نتنياهو في تحويل الضحويّة إلى خطاب مركزيّ في حكمه السياسيّ:

> *«الوجه القبيح لسياسة الضحويّة تتكشّف بصورتها الظلاميّة على وجه الخصوص في دولة إسرائيل. حسب تعريفها، إسرائيل هي دولة الضحويّة، ضحيّة الإجرام النهائيّ في التاريخ الحديث. يحكمها الليكود، وهو حركة استندت في بدايتها على خطاب ضحويّ، ويرئسها شخص يُعتبر في نظر مؤيّديه ضحيّة الإعلام والنخَب {القديمة} والقضاء. يُعبّر وضع دولة إسرائيل الحاليّ عن مرحلة انحطاط أخلاقيّ وفكريّ بَلَغَتْهُ من خلال توجّهها الضحويّ»* (إليني، 2017، ص 44).

في السياق ذاته، يشير الكاتب الصحفيّ، حيمي شاليف، أحد أشدّ الصحفيّين نقدًا لنتنياهو، أنّ هذا الأخير وضع بصمته على تاريخ دولة إسرائيل؛ ففي فترة حكمه الحاليّة، وقبل ذلك من خلال منصبه كوزير ماليّة في حكومة شارون، قام بتفريغ اتّفاق أوسلو من محتواه، وقبَرَ حلّ الدولتين، وقام بخصخصة السوق مع الحفاظ على استقراره ونموّه، وعزّز من حكم المستوطنين، وأضعف سلطة القانون، ووقف في وجه باراك أوباما وحصل على دونالد ترامب، وشكّل كتلة حزبيّة ائتلافيّة غير قابلة للهزيمة (شاليف، 2018). وقارن شاليف بين نتنياهو والرئيس الأمريكيّ ريتشارد نكسون، حيث إنّ نكسون حقّق إنجازات كبيرة في فترته، وقد كان نكسون نجل والد

مجتهد شعر أنّه مظلوم، وترعرع برفقة أشقّاء موهوبين توفّوا لاحقًا، وتميّز في دراسته، وصعد إلى عالم السياسة في ريعان شبابه ككارهٍ لليسار «الخونة». وعلى الرغم من نجاحاته، كان يشعر أنّه مطارَد، وأنّ هنالك مؤامرات تُحاك ضدّه، وتعزّزت لديه الرغبة بالانتقام من خصومه، ولذا لم تكن لديه القدرة على فهم الهاوية التي ينزلق إليها والتخلّص منها في الوقت المناسب، مع المحافظة على إنجازاته السياسيّة الكبيرة. وهكذا يعتقد شاليف أنّ نتنياهو يتّجه نحو نهايته النِكسُونيّة بعدم قدرته على الإفلات والانسحاب في الوقت المناسب؛ فنكسون –على الرغم من إنجازاته– أنهى حياته السياسيّة بتراجيديا شخصيّة.[1] بسبب تنكُّره للواقع وتقزيمه للاتّهامات التي تحيط به، وتهرُّبه من حَمل المسؤوليّة الشخصيّة بشأن أعماله، سوف يُفضي عناده في هذا السلوك إلى ذكره في التاريخ كتراجيديا شخصيّة، لا إلى ذكر إنجازاته السياسيّة التي قام بها.

ويشير أستاذ التاريخ أفنير بِنْزَكِين أنّ نتنياهو هو أكثر القيادات الإسرائيليّة انغماسًا بالتاريخ، وذلك بتأثير أبيه المؤرّخ بِنْتْسِيُون نتنياهو عليه. ويعارض بِنْزَكِين محاولات أن تُعزى أفكار نتنياهو وسلوكه السياسيّ إلى التجربة الأمريكيّة، أو الليبراليّة الاقتصاديّة والمحافظة السياسيّة، بل يرى أنّ جذوره الفكريّة تعود إلى التاريخ،

1. ريتشارد نِكسُون (1913–1994) كان رئيس الولايات المتّحدة الأمريكيّة السابع والثلاثين (37). حقّق إنجازات سياسيّة واقتصاديّة ودوليّة كبيرة للولايات المتّحدة، أهمّها إنهاء الحرب في فيتنام وانسحاب القوّات الأمريكيّة، إلّا أنّ سقوطه كان مدوّيًا بعد فضيحة «وُوتَرْجيت»، حين تَكشّف أنّ إدارة نيسكون كانت تتجسّس على منافسيه السياسيّين، وقد استخدم وكالات الاستخبارات الأمريكيّة والشرطة الفدراليّة في تأدية هذه المهمّة، وبعد الكشف عنها، رفض نكسون الاعتراف بهذه الفضائح وظلّ يقاوم ذلك، حتّى قدّم استقالته خشية من عمليّة الإطاحة به.

فهو أكثر القيادات الإسرائيليّة تعاطيًا مع التاريخ، ومنه يستنبط مقولاته الفكريّة وخُلاصاته السياسيّة العمليّة، فلدى نتنياهو «إطار فلسفيّ مُحْكَم ومنظّم، وتشتعل في داخله نار الإقناع الذاتيّ بصدقيّة طريقه» (بِنْزَكِين، 2015). ويشير بِنْزَكِين في هذا الصدد:

«نتنياهو الابن أدرك أنّه يستطيع، من خلال ترميم وتصعيد وإدارة الكارثة الكامنة، الحفاظ على وعي سياسيّ يهوديّ جماعيّ، كصمغ يحافظ على وحدة الكيان السياسيّ اليهوديّ. لذا، لا يمكن حلّ الصراع الإسرائيليّ الفلسطينيّ من خلال اتّفاق سلام، وضمّ المناطق، وانسحاب أحاديّ الجانب أو طرد الفلسطينيّين، وإنّما يجب أن يدار من خلال تصعيد الوضع وتحويله إلى واقع غير قابل للحلّ. ولا يمكن حلّ تهديد المشروع النوويّ الإيرانيّ من خلال عمليّة عسكريّة أو اتّفاق، بل من خلال حفظه واحتوائه عن طريق نظام عقوبات أبديّ، وحكم حماس في غزّة لا يجري إسقاطه باحتلال القطاع وبتسوية دوليّة جديدة، بل من خلال حفظه، واحتواء تساقُط الصواريخ التي تعتبر حيويّة لتجسيد خطر إقامة دولة فلسطينيّة، وتهديد عرب إسرائيل لا يُزال بواسطة الطرد، أو {منحهم} مساواة كاملة في الحقوق أو تبادل مناطق، بل باحتوائه والإبقاء على مكانتهم باعتبارهم طابورًا خامسًا يهدّد قلب الوجود اليهوديّ في البلاد. كمبدأ، لا يُقضى على التهديدات، وإنّما يجري الحفاظ عليها وتصعيدها، لأنّها تحمل خدمة كبيرة لبلورة وعي سياسيّ وتاريخيّ مشترك وناجع. وهكذا يرقص نتنياهو الابن بحماسة بين الكارثة الكامنة {في الأفق} التي يقوم بتأجيجها، ومنع تحقيقها وفي نفس الوقت إبقاء الوجود اليهوديّ في حالة طَوارئ. فلسفة نتنياهو السياسيّة هي كلّها فلسفةُ منعِ كارثةٍ {كامنة}» (بِنْزَكِين، 2015).

3.2 نتنياهو ونموذج صراع الحضارات

يشكّل كتاب «مكان تحت الشمس» النصَّ الذي يعبّر عن المنظومة الأيديولوجيّة والفكريّة التي يحملها نتنياهو في جميع القضايا. ومع ذلك، فإنّ قراءة كتب نتنياهو، ولا سيّما كتابه «مكان تحت الشمس» الذي عبّر من خلاله عن منظومته الفكريّة والأيديولوجيّة والسياسيّة، تضع القارئ أمام إنسان متوسّط الفكر، من حيث قدرته على إنتاج نصوص فكريّة ومعرفيّة عميقة، ولكنّه ذكيّ سياسيًّا. قراءاته وتحليلاته الفكريّة والتاريخيّة متوسّطة المستوى، ولكنّه يعرضها بطريقة ذكيّة، فتخلق لدى القارئ العاديّ، من جمهور الهدف، الانطباعَ أنّه إزاء طرح فكريّ مُعمَّق واطّلاع تاريخيّ عظيم، وهو في واقع الأمر ليس كذلك؛ فغالبيّة طروحه الواردة في كتبه يمكن تفنيدها بسهولة، وبيُسْرٍ في المستطاع تبيانُ تناقضاتها وقصورِ منطقها المعرفيّ التحليليّ. فكتابته استشراقيّة في ما يتعلّق بالعرب والمسلمين والإسلام، متجزّئة الحقائق، مقتبَساته انتقائيّة، مقطوعة عن سياقاتها، وتحليلاته متوقَّعة، وفهمه قاصر وسطحيّ. على سبيل المثال، إحدى المقولات التي يعرضها في كتابه «مكان تحت الشمس»، وتُعتبر مَقولةً مُهمّة في خطاباته حتّى اليوم، تزعم أنّ الفلسطينيّين هاجموا اليهود في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل بعشرات السنين، محاولًا إثبات أنّ المشكلة لديهم لم تكن مع الاحتلال بل مع اليهود كيهود، متجاهلًا أنّ المشروع الكولونياليّ الاستيطانيّ في فلسطين بدأ قبل قيام دولة إسرائيل، وأنّ عداء الفلسطينيّين للحركة الصهيونيّة كان بسبب مشروعها الكولونياليّ الاستيطانيّ، قبل تجسيد هذا المشروع كيانًا سياسيًّا. ويَعتبر نتنياهو أنْ لا وجود لشعب فلسطينيّ لأنّه لم تكن في التاريخ دولة فلسطينيّة. تلك مقولة يكرّرها اليمين

الشعبويّ حتّى اليوم، ويضيف أنّ العرب في فلسطين لم تكن لهم هُويّة وطنيّة في التاريخ، وهذا يدلّ على جهل كبير وجوهريّ في مسألة نشوء القوميّة والدولة الحديثة والهُويّة الوطنيّة. هذه مجرّد نماذج قليلة لقصور تحليلاته واجتزاء معرفته.

حافظ نتنياهو على نفس المقارَبات الفكريّة والأيديولوجيّة منذ السبعينيّات، وهو يكرّرها منذ ذلك الحين، وذاك لا يدلّ على مثابرة في المواقف الأيديولوجيّة فحسب، بل على عدم قدرته على التجديد والتطوير وتقديم مقارَبات جديدة. وفي الإمكان الإشارة إلى أنّه -على نحوِ ما سنبيِّن لاحقًا- لا شيء يقوله نتنياهو اليوم منفصم عمّا كتبه في نصوصه سابقًا. هذه المثابرة على المواقف وعدم تجديدها يقدّمان تيسيرًا لدراسة مقولات الرجل وفهم الأرضيّة الأيديولوجيّة التي يقف عليها. ففي أوّل حضور إعلاميّ له -وهذا البحث يذكره ويشير إليه في مَواطن عدّة (وكان ذاك من خلال مناظرة شارك فيها نتنياهو وهو في الثامنة والعشرين من العمر، عام 1977، على قناة محلّيّة في بوسطن)- طرح أفكارًا متطابقة مع ما طرحه في كتبه لاحقًا، وفي خطاب بار إيلان عام 2009، وفي خطاباته التي تَلَتْ ذلك. في هذه المقابلة، شدّد نتنياهو على مسألة الفلسطينيّين في إسرائيل، بكونهم الوحيدين في الشرق الأوسط الذين يتمتّعون بحقوق مدنيّة كاملة، وأنّهم العرب الوحيدون الذين يتمتّعون بحقّ الانتخاب والترشّح للبرلمان. هذه الفكرة الدعائيّة عاد عليها نتنياهو مرارًا في السنوات الأخيرة، فضلًا عن مقولته التي ذكرها في المقابلة نفسها أنّ المشكلة لا تكمن في احتلال عام 1967، وإنّما في عدم اعتراف العرب بدولة يهوديّة، وهذه المقولة تُعتبَر جوهرَ خطاب بار إيلان. الأمر الوحيد الذي تراجع عنه نتنياهو في

هذه المقابلة القديمة (Ania, 2014) هو طرحه إعطاء الفلسطينيّين في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة عام 1967 حقوقًا مدنيّة وسياسيّة كاملة، بعد ضمّها إلى السيادة الإسرائيليّة، واعتبار أنّ الأردن هي الدولة الفلسطينيّة، واعتباره إقامة دولة فلسطينيّة ثانية خطرًا على وجود دولة إسرائيل (وهي مقولة لا يزال أقطاب من اليمين يردّدونها حتّى الآن)، وهو عمليًّا كان توجُّه اليمين التقليديّ، وهو التوجّه الذي فكّكه أريئيل شارون بعد عام 2000، من خلال فكرة الانفصال عن الفلسطينيّين لدوافع ديمچرافيّة بالأساس، وتبنّاه اليمين ومنهم نتنياهو، خوفًا على جوهر يهوديّة الدولة، مستبدلًا إيّاه بحكم ذاتيّ للفلسطينيّين أو «دولة منقوصة». وهنا نعود ثانيةً إلى الدَّوْر الذي قام به أريئيل شارون في التأثير على الخطاب الفكريّ الذي يحمله اليمين الإسرائيليّ، وعلى مُجْمَل السياسة الإسرائيليّة (وهو ما لا مجال للتوسّع فيه في هذا الكتاب) التي حلّلها بعمقٍ عزمي بشارة في كتابه «من يهوديّة الدولة حتّى شارون» (بشارة، 2005).

يزعم هذا الفصل أنّ نتنياهو كان من السياسيّين الأوائل الذين أَدْرجوا على نحوٍ منهجيٍّ المشروعَ الصهيونيّ في إطار منظومة صراع الحضارات، معتبِرًا أنّ المشروع الصهيونيّ جزء من الحضارة الغربيّة التي تعيش في صراع حضاريّ مع الحضارة العربيّة – الإسلاميّة. ينضاف هذا الادّعاء إلى طبقة فكريّة أخرى يتبنّاها نتنياهو ملخَّصُها أنّ المشروع الصهيونيّ هو مشروع تحديثيّ للبلاد. في هذا، لا يختلف نتنياهو عن الآخرين؛ فالحركة الصهيونيّة والاستيطان والهجرة اليهوديّة، بنظر الآباء المؤسّسين، كانت مشروعًا تحديثيًّا لفلسطين. يقول نتنياهو في هذا الصدد:

«لقد غيّرت موجات المهاجرين التي جاءت واحدة تلو الأخرى

منذ عام 1882 وجّهَ البلاد كلّيًا. فقد شقّ اليهود الطرق وعبّدوها، وأقاموا المدن والمستوطنات والحقول الزراعيّة والمستشفيات والمصانع والمدارس. كلّما كانت الهجرة اليهوديّة تزداد، كان عدد السكّان العرب في البلاد هو كذلك يزداد؛ حيث وصلت إلى البلاد هجرة عربيّة جماعيّة بحثًا عن إمكانيّات العمل التي توافرت لهم، وعن مستوى الحياة الأفضل -وهو ما توافر لهم بفضل الاقتصاد اليهوديّ النشط» (نتنياهو ب.، 1999، ص.ص 94-95).

ويتابع نتنياهو قائلًا: إنّ العرب في فلسطين هم مجرّد عابرين حيث

«نصبوا خيامهم في حقولها الرعويّة، أو اتّخذوا لأنفسهم ملاجئ في خرابها. إنّهم لم يؤسّسوا شيئًا فيها، لأنّهم غريبون عن الأرض، لم يسبق أن ملكوها، وإنّ رياح الصحراء التي جلبتهم إليها قادرة على حملهم في أحد الأيّام، دون أن يخلّفوا وراءهم أيّة آثار يمكن أن تدلّ على عبورهم عليها» (نتنياهو ب.، 1999، ص 101).

ظهر تأطير الصراع الحضاريّ ظهورًا مكثّفًا في كتابه «مكان تحت الشمس». لم ينطلق نتنياهو من هذه المنظومة في تحليلاته ومقارباته للصراع والمشروع الصهيونيّ، فكتابه هذا -بنسخته الإنجليزيّة (Netanyahu B., 1993)- سبق مقال صموئيل هنتنجتون عن صدام الحضارات الذي نشره في صيف عام 1993، في دوريّة علاقات خارجيّة (Huntington, 1993)، وكتابه الذي أعقب مقاله وتناول الموضوع نفسه الذي نشره عام 1996 تحت اسم «صدام الحضارات» (Huntington, 1996)، ومن خلالهما قام بصكّ «برادايم» -نموذج فكريّ للتحليل والمعرفة (Paradigm)- جديد لتفسير وتحليل العلاقات الدوليّة بعد الحرب الباردة، أطلق عليه نموذج صدام

الحضارات. لم يكن هنتنچتون الوحيدَ بين الباحثين والمنظّرين الذي نظّر وكتب بشأن صراع الحضارات، لكنّه كان أشهَرَهم. فنتنياهو ليس منظّرًا سياسيًّا، بل يقوم بقراءة أحداث سياسيّة وتاريخيّة وعرْضها في كتبه، ولكن لا تصلح لتأطير كتاباته نظريًّا إلّا مقاربةُ صدام الحضارات. في هذه النقطة، تجدر الإشارة أنّ الظهور الأوّل لكتاب نتنياهو كان في نيسان عام 1993 باللغة الإنچليزيّة، وهو كتاب سبق مقالةَ هنتنچتون؛ لذلك ليس من المبالَغ فيه القولُ إنّ نتنياهو هو أحد أقطاب اليمين المحافِظ عالميًّا، وسبق صعودَ اليمين المتطرّف في الغرب في العَقد الأخير. وتماهيه مع المحافظين الجدد في تسعينيّات القرن العشرين وبداية الألفيّة الجديدة كان طبيعيًّا من الناحية الفكريّة، وتماهيه لاحقًا –أو تماهي اليمين المتطرّف في الغرب معه– هو أيضًا طبيعيّ جدًّا.

ومن هنا يمكن تفسير أستاذيّة نتنياهو الراهنة في تعامله مع نظرائه في الغرب؛ فهو سبقهم في الفكر والطرح. وممّا زاد الإعجابَ به فكريًّا في الوقت الراهن، ولا سيّما في صفوف اليمين المتطرّف والقوميّ (أمثال رئيس حكومة الهند نارنديرا مودي)، مصداقيّةُ مقولاته، ولو مؤقّتًا، التي خَطّها في كتبه والتي تتواصل مع واقع البيئة الدوليّة والإقليميّة الراهنة، فضلًا عن أنّ تَمَوْضُعه كخبير إرهاب على المستوى العالميّ، وتسويق ذاته في هذا الصدد، ينسجمان مع الواقع الدوليّ الراهن الذي يضع قضيّة الإرهاب على رأس التحدّيات الدوليّة بشأن الاستقرار والأمن الدوليّين. وهذا أحد التفسيرات لصعود مكانة نتنياهو دوليًّا في السنوات الأخيرة، وإنْ مؤقّتًا؛ فالواقع الإقليميّ والدوليّ الراهن أعطى خطابه وتصوّراته مصداقيّة.

قبل عرض تصوُّرات نتنياهو وتأطيره للمشروع الصهيونيّ والصراع

مع الفلسطينيّين والعرب والمسلمين كصراع حضارات، سنعرض أهمّ ما يحمل هذا النموذج الفكريّ الذي صكّه هنتنچتون، مع التأكيد مرّة أخرى أنّ أفكار نتنياهو ومقولاته كَتَبها قبل مقولة هنتنچتون دون أن يؤطّرها في هذا النموذج الفكريّ والمعرفيّ. كذلك لن نقوم بنقد وتفكيك هذا النموذج الفكريّ في هذا الفصل، فقد فعل ذلك الكثيرون، وعلى رأسهم المفكّر الفلسطينيّ إدوارد سعيد، بتعرّضهم لنقده من الناحية المفاهيميّة والمعرفيّة. ينتمي هنتنچتون إلى اليمين المحافظ من حيث أفكاره، وهو اليمين الذي هيمن على السياسة الخارجيّة الأمريكيّة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر عام 2001 التي رفدت خطابَ اليمين المحافظ في الولايات المتّحدة ومنظِّريه بدفعةٍ وزَخْم (ونذكّر بأنّ منظِّريه اعتبروا الصراع في العالم حضاريًّا لا سياسيًّا ولا إقليميًّا). وانتمى نتنياهو إلى هذا اليمين وأفكاره في بداية حياته السياسيّة المبكِرة في السبعينيّات والثمانينيّات، وله علاقات قويّة مع شخوصه من سياسيّين ومنظّرين وباحثين، وذلك قبل أن يتحوّل نتنياهو في العَقد الأخير إلى يمين متطرّف. كذلك ينتمي إلى هذا التيّار المؤرّخُ الأمريكيّ – اليهوديّ برنارد لويس، الذي أشار في إحدى مقالاته التي سبقت مقالة هنتنچتون إلى حتميّة الصدام الحضاريّ بين الغرب والإسلام. ففي مقال نشره في العام 1990 حول «جذور السخط الإسلاميّ»، يشير لويس:

> *«ينبغي أن يكون واضحًا الآن أنّنا نواجه شعورًا وحركة يتجاوزان كثيرًا مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تجسّدها. ولا يقلّ هذا عن كونه صدامًا بين الحضارات. إنّه ردّ فعل غير عقلانيّ، ولكنّه مرتبط بخصم قديم لتراثنا اليهوديّ المسيحيّ ولِما نحن عليه في الحاضر، وضدّ توسّعهما معًا. ومن جانبنا، من المهمّ جدًّا ألّا نسقط أيضًا في ردّ*

الفعل غير العقلانيّ والمتأصّل في التاريخ ضدّ هذا الخصم» *(سعدي، 2006، ص 85).*

يشير لويس أنّ الحضارة الغربيّة تستند إلى التراث اليهوديّ المسيحيّ. وتلك مقولة يتبنّاها اليوم اليمين المتطرّف في أوروبا في مواجهة المسلمين الذين يعيشون في هذه القارّة أو يتوافدون إليها. وكذلك يَعتبر الحضارة العربيّة والإسلاميّة غير عقلانيّة وتحمل عداء متأصّلًا وتاريخيًّا للحضارة الأوروبيّة. ركّز لويس على الصدام الحضاريّ بين الغرب والإسلام، وذلك بسبب تخصّصه في التاريخ الإسلاميّ، ممّا جعله المدرسةَ الاستشراقيّة للمحافظين والمحافظين الجدد في ما يتعلّق بالإسلام والتاريخ الإسلاميّ، بينما هنتنچتون أشار إلى سبع حضارات في العالم ستتصارع في النظام الدوليّ. ولكن لا شكّ أنّ لويس أثّر في مقولاته على تأطير هنتنچتون النظريّ عندما تناول في كتابه الحضارةَ الإسلاميّة، حيث اعتبر أنّ الصراع الحقيقيّ سيكون بين الغرب والإسلام. وحملت كتابات نتنياهو ومقولاته، ولا سيّما في كتابه «مكان تحت الشمس»، مثل هذه المقولات حرفًا بحرف، ومنها ما أشار إليه لويس في مقاله أنّ كراهيَة المسلمين للغرب تعود إلى رفضهم للقيَم الغربيّة، وذلك بسبب سلسلة من الإحباطات المتتالية التي تتجسّد في فقدانهم النفوذ العالميّ؛ وتلك مقولة سيردّدها نتنياهو كثيرًا في خطاباته مُفادها أنّ هدف «الإسلام المتطرّف» هو السيطرة على العالم والقضاء على قيم الغرب. فنتنياهو لا يعرّف في كتاباته مفهوم «الإسلام المتطرّف»، ويمكن القول من متابعة كلّ خطاباته وقراءة كتبه إنّ كلّ من يتحدّى المشروع الصهيونيّ والنفوذ الغربيّ هو «إسلام متطرّف»، وإنْ كان يحمل فكرًا قوميًّا. ففي أحد خطاباته في الأمم المتّحدة، قال نتنياهو: «حماس وداعش فرعان من الشجرة نفسها».

لذلك يتبنّى نتنياهو مصطلحات المحافظين الجدد حول الصراع بين قوى الشرّ والظلام من جهة، والخير من جهة أخرى، فبعد يوم واحد من أحداث الحادي عشر من أيلول /سبتمبر عام 2001، كتب نتنياهو:

«قبل سبع سنوات، حاول إسلاميّون إسقاط مركز التجارة العالميّ. وفي يوم أمس نجحوا في تحويل طائرة ركّاب إلى انتحاريّ يفجّر نفسه. إنّ هدف قوى الظلام هؤلاء ليس أقلّ من تدمير العالم الحرّ {...} اليوم تبتهج القوى المعادية لأمريكا. إنّهم يرقصون على أسطح المنازل في غزّة ودمشق وبيروت وبغداد. على الولايات المتّحدة أن تقود في مواجهتهم ائتلاف الحرّيّة، مثلما فعلت قبل خمسين سنة حين شطبت من وجه الأرض أيديولوجيّة متشدّدة... على إسرائيل أن تشارك في هذا الجهد من خلال تصفية قوى الشرّ المرابطة على أبوابنا» (سعدي، 2006، ص 326).

في كتابه «مكان تحت الشمس»، يقدّم نتنياهو تصوّرًا مفصّلًا للخطر الإسلاميّ. لا تظهر في كتابه تسمية واحدة للظاهرة الإسلاميّة، فطَوْرًا يسمّيها «الإسلام العسكريّ»، وتارةً يطلق عليها «الإسلام الأصوليّ»، وتارةً أخرى يصفها بـ«الإسلام المتطرّف».

ونعود إلى برنارد لويس... في لقاء معه في صحيفة «هآرتس» الإسرائيليّة عام 2001 بشأن تأطير الصراع العربيّ الإسرائيليّ بوصفه صراعًا حضاريًّا، قال لويس:

«أعتقد أنّ هناك الكثير من هذه الحقيقة في هذا الأمر. الفرق لا يكمن فقط بين ديانتين مختلفتين، وإنّما بين كتلتين حضاريّتَيْن مختلفتَيْن» (سعدي، 2006، ص.ص 85-86).

يمكن القول إنّ برنارد لويس كان أوّل مَن استخدم المصطلح «الإرهاب

الإسلاميّ»، وأدخله إلى قاموس اليمين المحافظ في الولايات المتّحدة، وذلك في المقال القصير الذي نشره في الكتاب الذي حرّره نتنياهو عام 1987 حول الإرهاب. وقد وضع لويس عنوان المقال على صيغة سؤال: «إرهاب إسلاميّ؟» (لويس، 1987، ص 85). يناقش لويس في هذه المقالة فكرة استخدام مصطلح «إرهاب إسلاميّ»، وهو يرى أنّه يمكن استخدام هذا المصطلح، على الرغم من مقدّمته القصيرة جدًّا والخاطفة التي تشير إلى معارضة الإسلام للإرهاب، ولكنّه يتابع في مقاله القول إنّ الإسلام يحمل جوهرًا سياسيًّا يتّسم به، كما أنّ السياسة في الشرق هي دينيّة في جوهرها. وبعدها يعرض لويس مبرّراته لاستخدام مصطلح «الإرهاب الإسلاميّ»، في كون الإسلام مصدر شرعيّة السيادة، والتجنيد، والأفكار، ويشير لويس أنّ الصراع بين الإسلام والعدوّ الخارجيّ لا ينتهي إلّا باستعباد العدوّ الخارجيّ أو باعتناقه للإسلام. مقال لويس لا يجيب على نحوٍ قاطع عمّا يطرحه عنوان المقال، فهو مقال غير متلاحم من حيث الأفكار والمعطيات والصيّرورات التاريخيّة، ولكنّه يحاول الوصول إلى نتيجة مُفادُها أنّ الإرهاب له جذور فكريّة وتاريخيّة في الإسلام، دون أن يضع إجابة قاطعة عن سؤاله. يُعتبَر هذا المقال مهمًّا؛ ففي فترة إدارة الرئيس باراك أوباما، كان اليمين الإسرائيليّ، وعلى رأسه نتنياهو، والصحيفة الناطقة باسمه «يسرائيل هيوم»، يوجّهون انتقادات لاذعة لأوباما لعدم استخدامه المصطلح «إرهاب إسلاميّ»، وهو المصطلح الذي يستخدمه نتنياهو منذ أوائل التسعينيّات بصورة متكرّرة في جميع خطاباته. وكان أوباما يفسّر عدم استعماله لهذا المصطلح، على العكس من اليمين في الولايات

المتّحدة وَ «إسرائيل»، بأنّه لا يرى علاقة بين الإسلام والإرهاب، وأنّه يريد عزل الإرهابيّين عن الثقافة الإسلاميّة والمسلمين، فضلًا عن عدم رغبته في استثارة مشاعر المسلمين في وصف دينهم بالإرهاب. إذن، كان أوباما واعيًا للاستخدام السياسيّ والأيديولوجيّ اليمينيّ لمصطلح «إرهاب إسلاميّ». وفعلًا، خلال ثماني سنوات حكمِه امتنع عن التلفّظ بهذا المصطلح (Greenberg, 2015)[2]. وشكّلت هذه النقطة صراعًا أيديولوجيًّا بينه وبين اليمين في الولايات المتّحدة وإسرائيل، ولا سيّما نتنياهو الذي تبنّى وجهة نظر برنارد لويس في استخدام المصطلح «إرهاب إسلاميّ». وكما يُفهم من مقال لويس، وهذا ما يقصده نتنياهو لاحقًا من استخدامه لهذا المصطلح، لا يتعلّق «الإرهاب الإسلاميّ» بوجود إسلاميّين، بل بهُويّة الفاعلين؛ وذلك أنّ كلّ عمل سياسيّ وفكريّ بالنسبة لهما نابع من الإسلام ومن منظومته الفكريّة، حتّى لو كان قوميًّا أو وطنيًّا، فكلّ ذاك بالنسبة لهم «إرهاب» نابع من الثقافة العربيّة والإسلاميّة، وكلّه إرهاب لأنّه موجَّه ضدّ هيمنة المشروع الصهيونيّ وتعزيز وجوده في فلسطين.

يعتقد هنتنچتون أنّ الصدام المركزيّ في صراع الحضارات سيكون بين الإسلام والغرب، وذلك بسبب موقع الإسلام في الخريطة الجيوسياسيّة المعاصرة. ويشير هنتنچتون إلى بواعث صراع الحضارات، ومنها أنّ الاختلافات بين الحضارات هي اختلافات حقيقيّة، وازدياد الوعي الحضاريّ بسبب التفاعلات والاحتكاكات

2 . في الثاني عشر من حزيران عام 2016 33 ث2 ترامپ تغريدة جاء فيها: «هل ينوي الرئيس أوباما أن يذكر أخيرًا كلمات «الإرهاب الإسلاميّ الراديكاليّ»؟ إذا لم يفعل ذلك، ينبغي أن يُستقبَل على الفور مَخزيًا».

بينها، وتراجع دَوْر الدولة كمصدر للهُويّة، فضلًا عن أنّ صعود الغرب إلى أوج قوّته أشاع لدى الشعوب الأخرى الشعور بالحنين والعودة إلى جذورها الحضاريّة، كما أنّ الاختلافات الحضاريّة غير قابلة للتسوية والحلول الوسط، وصعود الانسجام بين الاندماج الاقتصاديّ الإقليميّ والانسجام الثقافيّ (Huntington, 1996). ويخصّص هنتنچتون في كتابه موضعًا لمناقشة المسألة الديمچرافيّة، باعتبار أنّها أحد بواعث الصدام الحضاريّ، إذ يعتقد أنّ التكاثر الطبيعيّ لدى المسلمين سيدفع بهم إلى الهجرة إلى الغرب، وهذا الأمر سيشكّل تحدّيًا ثقافيًّا للحضارة الغربيّة، وسيحرّك الصدام الحضاريّ ويضخّ فيه حيويّة جديدة؛ فالمسلمون لن يتخلّوا عن ثقافتهم وسيعملون على الحفاظ عليها، وكذلك على نشرها في الغرب –وهنا تكمن خطورة التكاثر الديمچرافيّ على الغرب.

تحتلّ المسألة الديمچرافيّة وما تحمل من تحدّيات ثقافيّة، بنظر اليمين المتطرّف، مكانًا مركزيًّا في خطاب اليمين المتطرّف الصاعد في أوروبا والولايات المتّحدة. وخلال موجة اللجوء الأخير لمسلمين وعرب من مناطق الصراع في الشرق الأوسط، خصّصت صحيفة «يسرائيل هيوم» الإسرائيليّة (التي تعبّر عن المنطوق واللامنطوق من قِبَل نتنياهو) مقالات تحذّر من موجة اللجوء لِما تحمله هذه الموجة من خطورة بانتشار «الإرهاب» في أوروبا، وقد كتبت مقالات في الصحيفة تعبّر عن عنصريّة وكراهيَة مطْلقتين حيال اللاجئين المسلمين والمواطنين المسلمين في أوروبا، ولكن ظلّ نتنياهو صامتًا، وترك صحيفته تنطق باسمه في هذا الشأن، على الرغم من أنّه خصّص حيّزًا في كتابه حول «الإرهاب»، عام 1996، للربط بين وجود المسلمين في الغرب وانتشار الإرهاب (نتنياهو ب.، 1996). بَيْدَ أنّ

صعود اليمين المتطرّف في أوروبا، وصعود ترامب، شجّعا نتنياهو عن القيام بهذا الربط في عقر دار الأوروبيّين. فخلال لقائه في بلجيكا بوزيرة خارجيّة الاتّحاد الأوروبيّ، فدريكا موچريني، في كانون الأوّل عام 2017، قال نتنياهو:

«تشترك إسرائيل وأوروبا في ثلاثة مجالات مركزيّة: الأمن؛ الازدهار الاقتصاديّ؛ السلام. في ما يتعلّق بالأمن، الاستخبارات الإسرائيليّة منعت حدوث عشرات العمليّات الإرهابيّة، كثير منها على أرض أوروبا، وأعتقد أنّ الكثير من الناس أُنقذت حياتهم بفضل ذاك التعاون المعروف جيّدًا للأجهزة الأمَنيّة لدول أوروبيّة كثيرة. سنستمرّ في القيام بذلك كجزء من حربنا المشتركة ضدّ الإرهاب. في الوقت نفسه، أعتقد أنّ المشكلة الكبرى التي تواجه أوروبا هي تيّار البشر الذين يهربون من المعارك في الشرق الأوسط، والشرق الأوسط مهدَّد من طرف تنظيم الدولة الإسلاميّة، أي التيّار السنّيّ للإسلام المتطرّف، وكذلك من طرف التيّار الشيعيّ للإسلام المتطرّف، بقيادة إيران. إسرائيل هي العامل الأقوى في الشرق الأوسط الذي يمنع انتشار الإسلام المتطرّف؛ فهي لا تمنع هجمات داعش في أوروبا فحسب، وإنّما تمنع انهيار مناطق كاملة مجاورة لإسرائيل لولاها لاحتلّها هؤلاء الإسلاميّون المتطرّفون الذين يشرّدون ملايين الناس إلى أوروبا. نحن نقوم بذلك طبعًا لكي ندافع عن أنفسنا، ولكن أعتقد أيضًا أنّ إسرائيل تقوم بوظيفة أمنيّة مهمّة جدًّا لشعوب أوروبا في طُرق لا يجري تفهّمها غالبًا، ولكنّها تحظى بتقدير متزايد من الحكومات ذات الصلة» (مكتب رئيس الحكومة، 2017).

3.3 الفلسطينيّون وَ«الإرهاب» ونموذج صراع الحضارات

بناءً على ما أشرنا إليه أعلاه، يؤطّر نتنياهو الحالة الفلسطينيّة

ضمن الأنموذج الفكريّ «صراع الحضارات»، ولنبدأ أوّلًا بطرح مقاربته للإرهاب. عرض نتنياهو أفكاره بشأن «الإرهاب» باعتبار ذلك جزءًا من صراع حضاريّ. يعزو نتنياهو الإرهاب الدوليّ إلى المنطقة العربيّة، ويَعتبر أنّ اختطاف الطائرات، ووضع المتفجّرات في السفارات، والاغتيالات الدبلوماسيّة واحتجاز الرهائن وغيرها، هي اختراع «الإرهاب العربيّ الذي تبنّته منظّمات إرهابيّة عالميّة أخرى بعدهم... لقد انتشر الإرهاب العربيّ في جميع أنحاء العالم» (نتنياهو ب.، 1996، ص 159). ويضيف نتنياهو أنّ العنف «هو ظاهرة دائمة في الحياة السياسيّة في كلّ الدول العربيّة، وهو الأسلوب الرئيسيّ لتصفية الخصوم السياسيّين الداخليّين، العرب وغير العرب على حدّ سواء» (ص 160). يشير نتنياهو إلى هذه الحقائق ليُبيّن أيضًا أنّ الأمم المتّحدة، على الرغم من أحداث العنف الكبيرة في المنطقة العربيّة، لا تزال تعتبر القضيّة الفلسطينيّة القضيّةَ المركزيّة في الشرق الأوسط، مكرّرًا أنّ الأمم المتّحدة تعطي هذه المسألة جُلّ اهتمامها وتهمل سائر القضايا في الشرق الأوسط، وموضّحًا أنّ أعمال العنف في الشرق الأوسط ومشكلاته لا تتعلّق بالصراع العربيّ الإسرائيليّ. وهو خطاب زاد اليمين من تكراره، ونتنياهو تحديدًا، بعد الثورات العربيّة والصراعات الأهليّة الدمويّة التي أعقبت ذلك، فضلًا عن العداء الشديد للأمم المتّحدة عمومًا، وفي السنوات الأخيرة على وجه التحديد.

يؤطّر نتنياهو القضيّة الفلسطينيّة في الصراع الحضاريّ والتاريخيّ بين الغرب المسيحيّ والشرق العربيّ الإسلاميّ. ويبيّن، في سرد تاريخيّ مقتضب ومنزوع السياق وخلوٍ من التحليل المعمّق، أنّ الصراع التاريخيّ بين المشروع العربيّ – الإسلاميّ والمشروع الغربيّ يمتدّ

إلى يومنا هذا، وأنّ القضيّة الفلسطينيّة هي جزء أو مركّب من هذا الصراع الحضاريّ ليس إلّا. ويعدّد الإخفاقات التاريخيّة التي مرّ بها العرب والمسلمون والتي جعلت عداءهم للغرب يتصاعد ويزداد حتّى اليوم، وهو يعيد تقريبًا سرديّة برنارد لويس في هذا الشأن؛ إذ يعتبر نتنياهو أنّ العداء للغرب وأزمة الشرعيّة في العالم العربيّ لهما علاقة بصعود ما يسمّيه «الإسلام المتطرّف» بعد انهيار الدولة العثمانيّة (ص 163)، إذ يعتبر أنّ هدف ما يسمّيه هذه المرّة «الإسلام الأصوليّ» هو: «سيطرة الإسلام على العالم كلّه، وإلحاق الهزيمة بالكافرين غير المسلمين في حرب مقدَّسة {تحت مسمّى الجهاد}»، وأنّ الأهداف الفوريّة الفعليّة لهذا الجهاد ليست الدول غير الإسلاميّة القويّة التي من الصعب عليهم مهاجمتها بصورة مباشرة، بل هي الدول الإسلاميّة على وجه التحديد. لذا، يطمح الأصوليّون إلى الإطاحة بكلّ الحكومات الكافرة في أربعين دولة إسلاميّة، وشطب هذه الدول نهائيًّا ودمجها في دولة إسلاميّة واحدة» (ص 169). علاوة على محاولة السيطرة على العالم من خلال الحرب المقدّسة، تتبنّى الحركات الإسلاميّة أيضًا الطريقة الديمقراطيّة للسيطرة على الدول العربيّة والإسلاميّة، حيث يعتبر نتنياهو –في كتابه «مكان تحت الشمس»– أنّ مصدر المطالَبة بالديمقراطيّة في العالم العربيّ هي الحركات الإسلاميّة، وذلك على الرغم من أنّه ليس ثمّة أيّة صلة بين هذه الحركات والديمقراطيّة، وإنّما هدفها هو السيطرة على الأنظمة العربيّة عن طريق الديمقراطيّة (ص.ص 154-155).

ويوضّح نتنياهو أنّ دعوة «الأصوليّين الإسلاميّين» لاستعباد العالم كلّه «تبدو هدفًا بعيدًا جدًّا، ولكن إذا أضفنا إليها تمسكّهم بالقيم الدينيّة، وضمان الجنّة للمؤمنين، تنشأ أمامنا مؤامرة عظيمة» (ص 170).

ويعتبر نتنياهو أنّ هذه الأيديولوجيّة «اقتُطعت {اشتُقّت} من التفسير المتشدّد للقرآن الذي يقسم العالم إلى منطقتين: «دار الإسلام، ودار الحرب». كما أنّ القرآن لا يترك مجالاً للشكّ، في ما يتعلّق باستعلاء المسلمين على الكفّار في المناطق الخاضعة لسلطة الإسلام، في حين يكلّفهم بإدارة حرب مستمرّة ضدّ الكفّار في الديار الأخرى» (ص 171). بناء على كلّ ذلك، يعتبر نتنياهو أنّ رفض العالم العربيّ لوجود إسرائيل يعود إلى الجذور الإسلاميّة المعادية لليهود، ويَسوق لإثبات ذلك أدلّة هشّة ومفتعلة، لكنّها غير منقطعة عن المدرسة الاستشراقيّة التي يحملها برنارد لويس، إذ يقول:

> *«فطيلة مئات السنين، عانى اليهود من الإذلال والمطاردة على أيدي العرب، وكانوا يُقتلون أحيانًا، كما كان يحدث لأقلّيّات أخرى تعيش في إطار المجتمع الإسلاميّ. ولكن الشعب اليهوديّ كان هو الوحيد، من بين كلّ هذه الأقلّيّات في العالم العربيّ، الذي نجح في التغلّب على هذا القمع، وتحقيق استقلاله. علاوة على ذلك، استطاع اليهود تأسيس حضارة «أجنبيّة» في قلب المنطقة العربيّة، وفصلوا بين جزأيها الشرقيّ والغربيّ. والأسوأ من ذلك كلّه هو أنّ الشعب الذي أحدث هذا التحدّي الكبير لم يكن عربيًّا ولا مسلمًا، ولذا فعداء العرب الحاليّ لإسرائيل تعود جذوره إلى عداء سابق، قديم وأساسيّ، وقيام دولة إسرائيل ما كان له إلّا أن يعزّز هذا العداء» (ص.ص 171-172).*[3]

3. على الرغم من أنّ الهدف من عرض فكر نتنياهو هو التعرّف عليه دون مناقشته، لأنّ الهدف الأساس هو معرفة خلفيّة الرجل الأيديولوجيّة، فإنّ هذا الاقتباس يدلّ على تحليل كاذب ومشوّه لا لتاريخ اليهود في المجتمع الإسلاميّ فحسب، وإنّما كذلك لجذور المشروع الصهيونيّ؛ إذ إنّ المشروع الكولونياليّ الاستيطانيّ الصهيونيّ ليس مشروع يهود عاشوا في المجتمع الإسلاميّ، بل مشروع يهود عاشوا في أوروبا. ولكن من الواضح أنّ هذا التأطير

لذا جاءت كراهيَة العرب والمسلمين لإسرائيل، وهي كراهيَة ليست نابعة من العداء العميق تجاه الغرب فحسب، وإنّما -على نحوِ ما يكتب نتنياهو- «يمكننا أن نفهم بصورة صحيحة، الرفض الشديد الذي يبديه معظم العرب لوجود إسرائيل، فإسرائيل في نظرهم دولة أسّسها يهود أوروبيّون،[4] ومبنيّة على أساس نموذج الدول الليبراليّة الغربيّة، وتمثّل سلاحًا للدول الغربيّة وأداةً يُقصَد بها إلحاق الذلّ والهوان بالأمّة العربيّة من جديد» (ص 177). وعلى الرغم من أنّ نتنياهو يعرض هذا الادّعاء بصورة نقديّة للعالم العربيّ، فإنّه تبنّاه فعليًّا؛ حيث صرّح كثيرًا في السنوات الأخيرة أنّ إسرائيل هي الثغرة العسكريّة الأولى التي تدافع عن الغرب في وجه الشرق.

يستشهد نتنياهو، في تأطير القضيّة الفلسطينيّة كصراع غربيّ - إسلاميّ، بتصريحات قادة عرب قرنوا بين الاستعمار الغربيّ وقيام إسرائيل، وإطلاق مسمّيات تاريخيّة، لها علاقة بفلسطين لوصف الصراع مع إسرائيل، مثل دراسة وخطاب المقارنة بين إسرائيل ومملكة الصليبيّين في فلسطين، واستعمال اسم «صلاح الدين» في الخطابات العربيّة والفلسطينيّة، على نحو تعليق حافظ الأسد صورة لصلاح الدين في مكتبه. يقول نتنياهو:

«الرغبة في تكرار إنجازات صلاح الدين، في الوقت الحاليّ، كانت دائمًا مصدر وحي للهجمات المتكرّرة على إسرائيل، والعمل المستمرّ ضدّ أنظمة الحكم الموالية للغرب، والمحاولات

الكاذب للتاريخ يرمي إلى تعزيز المقولة التي مُفادُها أنّ الصراع هو بين اليهود كجزء من الحضارة الغربيّة والفلسطينيّين كجزء من الحضارة الإسلاميّة.

4. عطفًا على الملاحظة السابقة، يلاحَظ التناقض في كلام نتنياهو؛ فهنا يعترف أنّ يهود أوروبيّين هم مَن أسّسوا إسرائيل، وهذا يدلّ على كيفيّة لعب نتنياهو بالتاريخ وتجييره لمقولاته الأيديولوجيّة حول تأطير القضيّة الفلسطينيّة كصراع حضارات.

العديدة لإنهاء الوجود الغربيّ في الشرق الأوسط»... (ص.ص 179-180).

ويصل نتنياهو إلى نتيجة مُفادُها أنّ العداء لإسرائيل ليس نابعًا من كونها دولة محتلّة، ولا لكونها دولة يهوديّة، بل هو عداء أوسع للوجود الغربيّ في المنطقة، وإسرائيل تمثّل جزءًا من هذا الوجود. يقول في كتابه:

«الآن نستطيع أن نفهم السبب الذي حالَ، سنة بعد سنة، دون تسوية النزاع العربيّ – الإسرائيليّ، فكلّ حروب العرب ضدّ إسرائيل، والأعمال العدائيّة التي قاموا بها ضدّها في فترات ما بين الحروب، تنبع من ثلاث نظريّات يرتبط بعضها ببعض، وتشكّل معًا النواة الحقيقيّة للنزاعات المتعدّدة في الشرق الأوسط: رفض القوميّة العربيّة لوجود أيّة سيادة غير عربيّة في الشرق الأوسط، وسعي الإسلام الأصوليّ لتطهير المنطقة من أيّ نفوذ غير إسلاميّ، وعداء العالم العربيّ الشديد والتاريخيّ للغرب... نرى بوضوح أنّ مصدر رفض وجود إسرائيل ليس خاصًا بالدولة اليهوديّة، بل إنّ عداء العرب لإسرائيل هو جزئيّة واحدة ضئيلة فقط من عداء أوسع بكثير، وكان سيظلّ قائمًا وإن لم تقم دولة إسرائيل» (ص 180).

يعود نتنياهو إلى أحداث محدّدة في تاريخ الصراع الفلسطينيّ الصهيونيّ، ليثبت هذا التوجّه الفكريّ، عبْر قراءة أقلّ ما يقال عنها إنّها هزليّة هزيلة وهشّة، ولكنّه لا يزال يوظّفها حتّى الآن في خطاباته، حيث يشير أنّ الصراع يتعلّق بصراع حضاريّ لأنّ الفلسطينيّين شنّوا هجمات على اليهود قبل تأسيس إسرائيل لمدّة ثلاثين سنة قبل

أن يكون هنالك لاجئ فلسطينيّ واحد[5] (ص 180) {وكأنّ إسرائيل وُلِدت فجأة أو سقطت من السماء دون مشروع كولونياليّ استيطانيّ سبقها}، ونشأ العداء ومحاربة الدول العربيّة والقوى الفلسطينيّة لإسرائيل قبل الاحتلال عام 1967، ونشوء قضيّة الأراضي المحتلّة عام 1967 (ص 181) {وكأنّ قضيّة فلسطين نشأت عام 1967}؛ فالعداء لإسرائيل -كما يقول نتنياهو- «لا يكمن في هذا الادّعاء أو ذاك الذي في الإمكان مناقشته، وإنّما يعود لرفض أساسيّ لوجود دولة يهوديّة مستقلّة» (ص 181). ويلاحَظ أنّ نتنياهو تارةً يعزو الصراع إلى العداء للغرب لا إلى وجود دولة يهوديّة، وتارةً يعزوه إلى وجود دولة يهوديّة.

وتبقى العودة الأهمّ عند نتنياهو إلى حقل التاريخ في محاولته الحثيثة ربْط النضال الوطنيّ الفلسطينيّ بالنازيّة، فهذا النضال تعود جذوره إلى النازيّة، إلى حدّ الزعم أنّ الثقافة العربيّة الإسلاميّة، التي مثّلها المفتي الحاجّ أمين الحسيني، هي من أقنعت هتلر بإبادة اليهود. نتنياهو في كتابه يُخْرِج النازيّة من الحضارة الغربيّة (ص 242). لذا فالنازيّة ليست نتاج هذه الحضارة. إذًا مَن أقنع النازيّة وهتلر بإبادة يهود أوروبا، حسب وجهة نظر نتنياهو؟

في خطاب لنتنياهو في المؤتمر الصهيونيّ العالميّ عام 2015، قال إنّ المفتي الحاجّ أمين الحسيني أقنع هتلر بالحلّ النهائيّ لمسألة اليهود في أوروبا، أي إبادتهم، لأنّ هتلر أراد طردهم فقط. لذا فالمفتي الفلسطينيّ هو المسؤول عن إبادة اليهود في أوروبا (أحيا، 2015).

5 . يقصد نتنياهو أحداثًا كمواجهات البُراق (عام 1929)، والثورة الفلسطينيّة الكبرى (1936–1939) وغيرها من الهجمات التي نفّذها فلسطينيّون ضدّ الكيان الاستيطانيّ اليهوديّ في فلسطين (اليشوف) قبل تأسيس دولة إسرائيل.

أثار تصريح نتنياهو غضبًا شديدًا في إسرائيل والعالم، حيث إنّ تصريحه هذا يبرّئ النازيّة من المسؤوليّة الأيديولوجيّة حول فكرة إبادة اليهود، وقد تراجع نتنياهو عن تصريحه بعد ردّ الفعل الذي اصطدم به تصريحه المذكور، لدرجة أنّ ألمانيا احتجّت على هذا التصريح واعتبرته مسًّا بذكرى الكارثة اليهوديّة. ولاحقًا اعتبر مؤيّدوه أنّ هذا التصريح قد أُسيءَ فهمه، وأنّ نتنياهو لم يقصد ما عبّرت عنه كلماته المجرّدة، وأنّ صياغته لعباراته لم تكن موفّقة. هل هذا صحيح؟ يبدو أنّ المصدومين الإسرائيليّين واليهود من تصريحاته لم يقرأوا كتابه «مكان تحت الشمس»؛ ففي فصل بعنوان «حصان طروادة»، يخصّص نتنياهو مساحة واسعة للعلاقة بين النازيّة والحركة الوطنيّة الفلسطينيّة والهُويّة القوميّة العربيّة، لا من منطلق تحالف المصالح السياسيّة فحسب، وإنّما كذلك من منطلق العلاقة الأيديولوجيّة المشتركة التي تتمثّل في معاداة الحضارة الغربيّة واليهود. ففي عرضه لعلاقة الحاجّ أمين الحسيني مع النازيّة، يتّضح من كتابه أنّ المفتي كان مسؤولًا عن إبادة يهود «من هنچاريا، ورومانيا، وبلغاريا، وكرواتيا، التي رغم استعبادها من قبل هتلر، سمحت {ألمانيا} لليهود بالهرب إلى أرض إسرائيل وأماكن أخرى، واحتجّ المفتي على أنّ الألمان لم يتّخذوا الإجراءات الكافية لمنع هروب لاجئين يهود من البلقان» (ص 243). كذلك كان للمفتي دَوْر، ولا سيّما عبْر فوزي القاوقجي، في قتل يهود يوغسلافيا. بَيْدَ أنّ دَوْر المفتي، حسب زعم نتنياهو، لم يقتصر على إقناع القيادة النازيّة بإبادة اليهود في مواقع مختلفة من أوروبا فحسب، بل أراد أكثر من ذلك: أراد إبادة كلّ اليهود في أوروبا، ولتحقيق ذلك نجح المفتي -حسب زعم نتنياهو- في إقناع هتلر بتبنّي الحلّ النهائيّ لمسألة اليهود، أي إبادتهم. يقول نتنياهو:

«في الـ 13 من أيّار عام 1943، على سبيل المثال، قدّم المفتي كتابًا إلى وزير الخارجيّة الألمانيّ ريبنتروپ، احتجّ فيه على

خطّة تسمح بهجرة نحو 4,000 ولد يهوديّ من بلغاريا. وعلى الرغم من كلّ هذا، لم يكن المفتي راضيًا. كان هدفه أبعد من منع هروب اليهود. كان يرغب في أن يرى إبادتهم جميعًا. قال ديتر فيليتسكاني، نائب أدولف آيخمان،[6] إنّ الحسيني كان له دَوْر في اتّخاذ قرار إبادة يهود أوروبا. ويجب عدم تجاهل دَوره هذا؛ فقد اقترح المفتي، أكثر من مرّة، على السلطات الألمانيّة التي كان على اتّصال بها، وعلى رأسها هتلر، وهملر،[7] إبادةَ يهود أوروبا. كان يرى ذلك حلًّا مناسبًا للقضيّة الفلسطينيّة» (ص 244).

ولم ينحصر اتّهام نتنياهو في المفتي، بل اتّهم ياسر عرفات بالمسؤوليّة المباشرة عن انتشار «الإرهاب العالميّ». يصف نتنياهو ياسر عرفات لاحقًا بأنّه الشخص الذي أسهم في انتشار «الإرهاب الدوليّ» أكثر من أيّ شخص آخر. «يرئس الرجل منظّمة هدفها السياسيّ المركزيّ... هو إبادة دولة إسرائيل، وهو مسؤول شخصيًّا عن عدد لا يُحصى من الأعمال الفظيعة ضدّ مواطنين في كلّ بلدان العالم الحرّ تقريبًا» (نتنياهو ب.، 1996، ص 108). ويعتقد نتنياهو أنّ إقامة الحكم الذاتيّ لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة في أعقاب اتّفاق أوسلو شكّلت أحد «التعزيزات الهامّة التي حصل عليها الإرهاب الإسلاميّ منذ إقامة الجمهورية الإسلاميّة في إيران» (نتنياهو ب.، 1996، ص 99).

واستمرارًا لهذه السرديّة، حول العداء العربيّ – الإسلاميّ للغرب، يستشهد نتنياهو بوضع الأقلّيّات غير العربيّة وغير المسلمة في العالم

6. أدولف آيخمان كان مسؤول شعبة اليهود في الشرطة السرّيّة النازية «الجستابو». هرب بعد الحرب وقُبض عليه من رِجال الموساد في الأرجنتين عام 1960، وحوكم في إسرائيل، وقضى حكمًا بالإعَدام، كان الأوّل والأخيرَ في إسرائيل حتّى الآن. وكان ديتر فيليتسكاني هو نائبه في هذه الشعبة.

7. هانيرخ هيملر، هو رئيس الشرطة السرّيّة ووزير الداخليّة في النظام النازيّ.

العربيّ. يرى نتنياهو أنّ الأقلّيّات في العالم العربيّ لن تحظى يومًا بمساواة في المجتمعات العربيّة، وسيظلّ أبناؤها يعانون من التمييز ومن مكانة أدنى من الأغلبيّة (ص 155). ويسرد نتنياهو في كتابه عمليّات الطرد والقتل التي أصابت أقلّيّات في العالم العربيّ، مثل طرد الأقلّيّة المسيحيّة – اليونانيّة في فترة جمال عبد الناصر، وملاحقة الأكراد ومنعهم من حقّ تقرير المصير، وقمع الدروز في لبنان، وإبادة الأقلّيّات المسيحيّة في سوريا في الثلاثينيّات (ص 156). فمقولة الأقلّيّات ظلّت مرافِقة لنتنياهو في خطاباته حتّى اليوم بادّعاء أنّ إسرائيل هي المكان الآمِن الوحيد للأقلّيّات الدينيّة ومقدّساتهم في الشرق الأوسط، وسيأخذ هذا الخطاب مكانة مركزيّة في خطابه بعد اندلاع الثورات العربيّة والصراعات الأهليّة، وكأنّ المقدّسات الإسلاميّة والمسيحيّة شُيّدت بعد العام 1948، لذلك بقيت قائمة حتّى اليوم!

في كتابه «الحرب على الإرهاب: كيف تهزم الأنظمة الديمقراطيّة الإرهاب المحلّيّ والإرهاب العالميّ» الصادر باللغة العبريّة عام 1996، وهو في الأصل كتاب صدر باللغة الإنجليزيّة، خلال فترة حكومة رابين، يخرج نتنياهو ضدّ منطلق رابين آنذاك الذي عبّرت عنه جملته الشهيرة «نصنع السلام وكأنّه ليس ثمّة إرهاب، ونحارب الإرهاب وكأنّه ليس ثمّة سلام»، حيث ينتقد نتنياهو هذه المقولة ويعتبرها مقولة خاطئة، إذ يقول: «وهنا يكمن الخطأ الأساسيّ لحكومة اليسار في الاتّفاقيّات التي وقّعتها مع منظّمة التحرير في أوسلو والقاهرة. في هذه الاتّفاقيّات، نقلت هذه الحكومة مسؤوليّة مكافحة الإرهاب الفلسطينيّ إلى آباء هذا الإرهاب، ممّا أدّى إلى تصاعد الإرهاب ونفي كلّ جوهر من «السلام» الذي حقّقته، السلام الذي من نَواحٍ أخرى لم يحقّق التوقّعات منه» (نتنياهو ب.، 1996، ص 10).

في الواقع، الكتاب لا يضيف شيئًا بشأن تسلسل تاريخ المنطقة

الذي يعرضه الكتاب كمثْل ما تعرضه مقالةٌ صحفيّة لا دراسةٌ جادّة. كذلك يردّد الكاتب مقولات قيلت قبل ذلك وأُشبِعت بحثًا بشأن بداية نشوء الحركات الإسلاميّة الجهاديّة، ولا سيّما في السبعينيّات والثمانينيّات، بعد نجاح الثورة الإسلاميّة في إيران، وانتصار المجاهدين في أفغانستان. ولا يجدّد الكاتب كثيرًا على ما كتبه في «مكان تحت الشمس»، وهو أقرب إلى التصريح السياسيّ الأيديولوجيّ ممّا إلى دراسة معمّقة وجادّة، وفي بعض أجزائه لا يتجاوز في العمق والسرد كتابًا تدريسيًّا خاصًّا بالمرحلة الثانويّة. ولكنّه يفيدنا في بيان الأرضيّة الفكريّة التي يقف عليها الرجل ويجيّر الواقعَ لتأكيدها، عبْر تجزئته وانتقاء أحداث محدّدة في التاريخ، واستحضار تصريحات انتقائيّة تفيد تَوجُّهه الأيديولوجيّ.

وفي هذا الكتاب، يقرن نتنياهو بين «الإرهاب» الذي يهدّد إسرائيل والخطر الذي يمثّله «الإرهاب الإسلاميّ» على العالم، حيث يشير أنّ «صعود الإرهاب الإسلاميّ في الغرب هو نتيجة مباشرة لصعود قوّته في منطقتنا، بسبب اعتماده على دول إرهابيّة مثل إيران والسودان، ونشوء جيوب إرهابيّة على نحوِ ما في غزّة وجنوب لبنان» (نتنياهو ب.، 1996، ص 11). في هذا الصدد، يعتقد نتنياهو أنّ انتصار إسرائيل على الإرهاب المحلّيّ (يقصد المقاومة الفلسطينيّة والعربيّة ضدّ إسرائيل) سوف يُجنّب العالم الغربيّ خطر الإرهاب العالميّ، وهذا يتطلّب موقفًا مثابرًا من الولايات المتّحدة الأمريكيّة والدول الغربيّة بدعم إسرائيل في هذه الحرب، حتّى لا تصل إليها. وهو تصريح لا يختلف عمّا يقوله اليوم بأستاذيّةٍ للغرب.

وفي ذات السياق، يقترح نتنياهو إستراتيجيّة لمواجهة الإرهاب مكوّنة من عَشْر نقاط (نتنياهو ب.، 1996، ص.ص 134-147)، وهي:

1. فرض عقوبات على مزوّدي الدول الإرهابيّة بالتكنولوجيا النوويّة.
2. فرض عقوبات دبلوماسيّة واقتصاديّة وعسكريّة على الدول الإرهابيّة.
3. القضاء على جيوب الإرهاب، وتجميد ممتلكات لدول إرهابيّة ومنظّمات إرهابيّة في الغرب.
4. تعاون مخابراتيّ دوليّ.
5. إحداث تغييرات في التشريعات القانونيّة تسهّل مراقبة نشاطات المؤسّسات التي تحرّض على العنف واتّخاذ إجراءات ضدّها. وتشمل هذه النقطة:
   - إخراج عمليّات تجنيد الأموال ونقلها للمنظّمات الإرهابيّة عن القانون؛
   - السماح بالتحقيق مع جماعات تؤيّد الإرهاب وتخطّط لإسقاط النظام بالقوّة؛
   - تسهيل الإجراءات التي تسمح باعتقال أشخاص، حتّى بدون محاكمة، وتقييد الحقّ في حمل السلاح.
6. تشديد قوانين الهجرة، والقيام بفحص دَوْريّ للتشريعات القانونيّة لمكافحة الإرهاب وداعميه.
7. ملاحقة مستمرّة للإرهابيّين.
8. عدم إطلاق سراح إرهابيّين من السجن.
9. تأهيل قوّات خاصّة لمحاربة الإرهاب.
10. تربية المجتمع على الوقوف أمام الإرهاب وفهم طرق عمله، ونقاط الضعف التي يبحث عنها في المجتمع.

يختم نتنياهو كتابه بالتأكيد أنّ الأمن له الأفضليّة على حرّيّات

الفرد، وأنّه لا مصلحة أعلى من مصلحة «أمن الأمّة». وهو منطق هوبسيانيّ،[8] كما أشار إلى ذلك ناڤوت وروبين في بحثهما عن شخصيّة نتنياهو (Navot & Rubin, 2016). لا شكّ أنّ نتنياهو في قراره عام 2015 إخراج الحركة الإسلاميّة (بقيادة الشيخ رائد صلاح) عن القانون، واعتقال وملاحقة قيادتها، انطلق من هذه الإستراتيجيّة أو من جزء منها، وهي تؤكّد أنّ نتنياهو عندما يشعر براحة سياسيّة يعود إلى مواقعه الأيديولوجيّة؛ فالحركة الإسلاميّة فاعلة منذ عشرات السنين وتعمل حسب القانون الإسرائيليّ، ولكنّه أخرجها عن القانون عندما سمح الواقع الإقليميّ والدوليّ بذلك بواسطة قانون الطوارئ.

يكرّر نتنياهو في هذا الكتاب الفكرة المركزيّة التي طرحها في كتابه «مكان تحت الشمس»: العداء لإسرائيل هو جزء من العداء للحضارة الغربيّة. في فصل مخصّص لِما يسمّيه «صعود الإسلام العسكريّ»، يقول:

> *«لا يمكن أن نفهم مدى عداء وخطورة الإسلام العسكريّ على الولايات المتّحدة وأوروبا، بدون الوقوف على جذور الكراهيَة العربيّة – الإسلاميّة للغرب. بسبب السحر المعادي لإسرائيل على وسائل الإعلام في الغرب، الكثيرون في أيّامنا يعتقدون أنّ العداء الشديد المنتشر في العالم العربيّ والإسلاميّ تجاه الولايات المتّحدة هو ظاهرة وُلِدت مؤخّرًا، نتيجة تأييد الغرب لدولة اليهود، وأنّ هذه العدائيّة ستنتهي عندما يتحقّق السلام بين العرب وإسرائيل، ولكن ليس هنالك ما هو أبعد عن الحقيقة من ذلك. جذور العداء للغرب عميقة، تعود إلى مئات*

8. ذاك نسبة إلى توماس هوبس (1588–1679) الفيلسوف الإنجليزيّ الذي عاش في القرن السابع عشر الذي يؤمن بمركزيّة استقرار الدولة وأمنها وسلطويّتها كهدف أعلى للدولة.

السنين من النموّ والصعود، وتشكّل حتّى اليوم القوّة الدافعة المركزيّة للثقافة السياسيّة والعسكريّة العربيّة – الإسلاميّة، هذه العدائيّة قائمة، حتّى لو لم تكن دولة إسرائيل» (نتنياهو ب.، 1996، ص 83).

ويناقض نتنياهو نفسه في الكتاب ذاته إذ يُقِرّ قائلًا: «داعمو الإسلام المتطرّف والقوميّة العربيّة لا يكرهون الغرب بسبب إسرائيل. إنّهم يكرهون إسرائيل بسبب الغرب» (نتنياهو ب.، 1996، ص 88).

يشير نتنياهو بأستاذيّته المعهودة، كما اليوم في خطابه الموجَّه إلى الغرب، أنّ قلائل في الغرب هم العارفون بالحقائق الأساسيّة لتاريخ العلاقات بين الإسلام والغرب (نتنياهو ب.، 1996، ص 83). وهي مقولة تدلّ على جهل كبير في التاريخ المعرفيّ والبحثيّ الكبير للدراسات الغربيّة في سنوات القرن والنصف الماضية الذي أنتجه الغرب عن هذا الموضوع. ففي عرضه لتاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب، يكرّر نتنياهو ما قاله في «مكان تحت الشمس» على نحوٍ حَرْفيّ تمامًا.

على العكس من هذا الكتاب، الكتاب الذي حرّره عام 1987 بعنوان «الإرهاب: كيف تهزم الأنظمة الديمقراطيّة الإرهاب» كان جادًّا أكثر في تناوله الأيديولوجيّ لموضوع «الإرهاب» (التسمية التي يطلقها على كلّ حركات المقاومة والتحرّر الوطنيّ في العالم). صدر هذا الكتاب عن معهد «يونتان» لدراسة الإرهاب، المركز الذي أسّسته عائلة نتنياهو وأطلقت اسم يوني على المعهد، وكان نتنياهو مديره. شارك في كتابة فصول الكتاب شخصيّات أمريكيّة وإسرائيليّة بالأساس، من بينهم: برنارد لويس؛ جورج شولتز؛ يتسحاق رابين. وطبعًا كَتَب المقدّمةَ والخلاصة بنيامين نتنياهو، فضلًا عن فصل

لأبيه بِنْتْسِيُون تطرّقنا إليه سابقًا (نتنياهو ب.، 1987). في هذا الكتاب، يستمرّ نتنياهو في تأطير الصراع حضاريًا، من خلال نفيه لإمكانيّة التوصّل إلى حِوار بين الغرب وَ «الإرهابيّين». ففي خلاصة الكتاب، لا ينفكّ نتنياهو يخاطب الغربيّين بأستاذيّة، مشيرًا إلى سذاجتهم في التعامل مع «الإرهاب» القادم من الشرق الإسلاميّ، وإلى تخاذل الغرب في التعاطي مع هذا الموضوع نتيجة تأثيرَيْن سلبيَّيْن: الأوّل أنّ الغرب يفضّل مصالح اقتصاديّة قصيرة المدى مع الشرق بدون الأخذ بعين الاعتبار للانعكاسات السياسيّة لذلك؛ والثاني غياب الشجاعة السياسيّة في مواجهة الإرهابيّين، حتّى لا يشتدّ غضبهم (نتنياهو ب.، 1987، ص.ص 248–249). لا يكتفي نتنياهو بهذا التفسير الساذج والسطحيّ الذي يُفسّر فيه سلوك الغرب تجاه الشرق، وهو بعيد كلّ البعد عن ذلك، بل يضيف العامل المركزيّ من ناحيته لهذا التقاعس، وهو أنّ الغرب يعتقد أنّه من خلال عمليّة سياسيّة يمكن التوصّل إلى تفاهمات مع «الإرهاب»، ويقصد نتنياهو بلا شكّ الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة تحديدًا؛ إذ يعتقد نتنياهو أنّ هذا الاعتقاد السائد في الغرب غير صحيح، وأنّه أحد الأخطاء الكبيرة في تعامل الغرب مع «الإرهابيّين»، أي تصوُّر الغرب أنّ العمليّة السياسيّة يمكن أن تحلّ كلّ صراع. وهو يرى أنّ هنالك صراعات لا يمكن حلّها حلًّا سياسيًّا، بل يتأتّى ذلك بالمواجهة المستمرّة حتّى حسم المعركة مع الطرف الآخر، ويُسفِّه إعجابَ الغرب بأفراد من حركات التحرّر مستعدّين للموت من أجل أفكارهم، حيث يشبّههم مرّة أخرى بالنازيّة. يقول نتنياهو في هذا الصدد:

«نحن نعتقد بقدرة العمليّة السياسيّة على تسكين {تخفيف} كلّ صراع تقريبًا وحلّه في نهاية المطاف. ونحن نميل إلى إعطاء هذا الاعتقاد إلى الخصم أيضًا. ولكن لا خطأ

أكبر من الادّعاء أنّ هذا الاعتقاد مشترك مع الإرهابيّين، الذين يستغلّون لغة السياسة لكي يقوّضوا أسس المجتمع... من الصعب لنا أن نقبل {بقصد الغرب}أنّ دوافع الإرهاب تتعارض تمامًا مع تصوّراتنا وليس هنالك طريقة للتجسير بينهم وبيننا، حيث إنّ الغرب يفقد توازنه ويقدّم الاحترام عندما يرى الاستعداد للموت، كما يبدو، من أجل فكرة. هو يميل إلى التصديق أنّ هذا الاستعداد يستند إلى فكرة مُحقّة (في جزء منها على الأقلّ). لكنّ نظرة خاطفة في التاريخ تعلّمنا مدى خطأ وخطورة هذا التوجّه. لا أمثلة على ذلك أفضل من مقاتلين أو حركات كانوا على استعداد للتضحية بالروح من أجل «هدف سام، كما يبدو، مثل طيّاري الكاميكاز اليابانيّين وحركة الشباب الهتلريّة» (نتنياهو ب.، 1987، ص 249).

يهدف نتنياهو في النهاية إلى نزع كلّ صفة إنسانيّة عن حركات التحرّر في الشرق، عن أهداف أفرادها، وعن أفكارهم، وعن أدوات نضالهم، وحياتهم وقِيَمهم ومجرّد وجودهم، وذلك من خلال وضعهم في موقع النقيض الكامل للحضارة الغربيّة. لذا، فمَهمّة نتنياهو تذكير الحضارة الغربيّة بسذاجتها وتقريعها على ذلك، وتسفيه تعاطفها مع الآخر وإنْ لم تكن تؤيّده. فحتّى الإعجاب والتعاطف بدون التأييد غير مسموح بهما عند نتنياهو، وهو بذلك يرمي إلى نزع إنسانيّة الغرب أيضًا، حتّى تكون المعركة بين الشرق «الإرهابيّ» والغرب «المتنوّر» صراعَ تضادّ لا مجال فيه لتسوية سياسيّة، ولا لغة مشتركة بينهما، ولا يحتمل مشاعر الضعف (التعاطف أو الإعجاب)، بحيث يكون الحلّ الوحيد لهذا الصراع هو حسمه بالقوّة وإخضاع الآخر بلا رحمة. ومن هذه النقطة يمكن فهم الخطاب الإسرائيليّ الذي يتّهم الفلسطينيّ بالتحريض؛ فسرديّة الفلسطينيّ هي بالنسبة لنتنياهو تحريض، وإنسانيّة الفلسطينيّ مزيّفة، وحقوق الفلسطينيّين

كذبة، وهكذا ننتهي، حسب منطق نتنياهو، إلى أنّ وجود الفلسطينيّ نفسه هو تحريض وخطَر على الوجود اليهوديّ في فلسطين.

بناءً على هذا التأطير الحضاريّ للصراع، أين دور نتنياهو في هذا الصراع؟ يعطي نتنياهو لنفسه دورًا خلاصيًّا للشعب اليهوديّ ولدولة إسرائيل، ولا ينفي هذا الدَّوْرُ البعدَ الدينيّ كلّيًّا. نتنياهو ليس بشخص متديّن، ولكنه يستند في أفكاره إلى مرجعيّة دينيّة، وهو يرى في النصوص الدينيّة أحد مصادر قوّة الشعب اليهوديّ؛ فخلال لقاء ينظّمه سنويًّا في بيته لمنتدى التوراة الذي يحمل اسم «شموئيل بن أرتسي» والد زوجته سارة، قال نتنياهو خلال ذاك اللقاء الذي جمعهم في بيته في تشرين الأوّل عام 2017: «لا وجود يهوديّ بدون التوراة، وبرأيي ليس هنالك مستقبل يهوديّ بدون التوراة. هذا الأساس الأوّل والأعلى الذي نصرّ عليه. هنالك من يحاول أن يهدم هذا الأساس، وبعون اللّه يمكن القول إنّنا نقف بثبات {ضدّ ذلك}» (ليس، 2017، ص 1). ويُعتبَر منتدى التوراة تقليدًا قام به بِنْچوريون وأكمله بيچن بعد صعوده إلى الحكم، وجدّده نتنياهو وزوجته بالتعاون مع مركز ميراث بيچن، ولا سيّما أنّ المنتدى على اسم والد زوجته.

ويرى نتنياهو نفسَه المخلّصَ لدولة إسرائيل وضامنَ مستقبلها، وكعادته في استحضار المفارقات التاريخيّة، أشار في جلسته المذكورة مع منتدى التوراة أنّ دولة الحشمونائيم[9] صمدت 80 عامًا، وأنّه

9. حسب المصادر التاريخيّة اليهوديّة، دولة الحشمونائيم هي دولة يهوديّة في فلسطين، امتدّ عمرها من عام 140 قبل الميلاد إلى عام 63 قبل الميلاد، أي إنّها عُمّرت نحو سبع وسبعين سنة (77). وقد بدأت مع تمرّد الحشمونائيم الذين أقاموا نوعًا من الحكم الذاتيّ، ومن ثَمّ دولة مستقلّة. وهي تُعتبر في التاريخ الصهيونيّ الدولةَ اليهوديّة

يعمل على أن تحتفل إسرائيل بعيدها المئويّ، حيث قال: «وجودنا غير مفهوم ضمنًا، وسنقوم بكلّ ما ينبغي فعله للدفاع عن الدولة، حيث إنّ دولة الحشمونائيم صمدت 80 عامًا وعلينا تجاوز هذا الرقم».

بناء على ذلك، تستند رؤية نتنياهو إلى تعزيز الطابع اليهوديّ للدولة على حساب الهُويّة الإسرائيليّة. في هذا يقول الكاتب الإسرائيليّ آلون عيدان: «نتنياهو يكره إسرائيل. المقصود أنّه يكره الثوب الإسرائيليّ الذي أُلبِسَ على الأساس اليهوديّ؛ فمن وجهة نظره، يخفي هذا الوشاح حقيقة أساسيّة: إسرائيل وُجدت لليهود فقط» (عيدان، 2017). وكما يشير عيدان، حدّد نتنياهو في سبيل هذا الهدف حلفاءه: الصهيونيّة الدينيّة واليهود الشرقيّين؛ إذ إنّ الهُويّة اليهوديّة لدى هاتين الفئتين أهمّ من الهُويّة الإسرائيليّة، وهما مستعدّتان للمضيّ مع نتنياهو في سبيل تحقيق هذا الهدف، بتقليص الهُويّة الإسرائيليّة وتضخيم الهُويّة اليهوديّة في تعريف إسرائيل لذاتها، وبلورة أهدافها.

أمّا في ما يتعلّق بالشرقيّين، فإنّ ما مارسته النخَب الإشكنازيّة في حزب «مپاي» ضدّ اليهود الشرقيّين في العقود الثلاثة الأولى منذ تأسيس «إسرائيل»، من تمييز وعنصريّة، قد دفع بهم إلى حضن الليكود ومناحيم بيچن وفكرة «إحادْ مِشيلانو» (أي واحد من أَتْباعنا). وحمل الشرقيّون الكراهيَة لليسار الصهيونيّ الإشكنازيّ وحوّلوه إلى هُويّة سياسيّة عضويّة لم تتمكّن نُخَب حزب العمل،

المستقلّة منذ الخراب الأوّل للهيكل حتّى إقامة دولة إسرائيل. ويرتبط نتنياهو ارتباطًا شخصيًّا بهذه الفترة؛ ففي فترة حكمه الأولى فتح النفق تحت المسجد الأقصى المبارك –وهو النفق الذي سُمّي في الأدبيّات اليهوديّة نفق الحشمونائيم، والذي أدّى إلى اندلاع انتفاضة فلسطينيّة احتجاجًا على ذلك.

لاحقًا، حتّى الشرقيّة منها، أنْ تفكّكها (مصطفى، 2015). ولكن نتنياهو لا يعوِّل على بقاء الشعور بالكراهيَة ضدّ حزب العمل واليسار عمومًا في الإبقاء والحفاظ على دعم الشرقيّين له، فهو يدرك أنّ الشرقيّين يحاولون التنصّل من أصولهم وملامحهم العربيّة من خلال التشديد على هُويّتهم اليهوديّة، «نتنياهو يفهم أنّ مَهَمّته هي تذكير الشرقيّين مرارًا وتكرارًا أنّ المَلْمَح الخارجيّ لا يزال حاضرًا» (عيدان، 2017)، ولذا فإنّ بعضًا من هجومه على المواطنين العرب في إسرائيل ونزع الشرعيّة عنهم والتحريض عليهم يعود إلى هدفه المتمثّل في حفظ القواعد الشرقيّة الداعمة له، حيث يوجّه رسالة في هذا التحريض لا إلى الجماهير العربيّة فحسب، بل إلى اليهود الشرقيّين أيضًا، حيث يذكّرهم قائلًا: «إذا توقّفتم عن تعزيز الجوانب اليهوديّة لديكم، فإنّنا قد نتوه ونعتقد أنّكم لا تنتمون إلينا». هكذا فرض نتنياهو على الشرقيّين تعزيز هُويّتهم اليهوديّة مقابل هُويّتهم الإسرائيليّة.

وفي السياق نفسه، ذكر الصحفيّ المشهور، ناحوم برنيع، في مقال له، أنّ نتنياهو خلال جلسة له مع موشيه كحلون رئيس حزب «كولانو» («جميعنا»)، ذي الأصول الشرقيّة، والذي ترك الليكود وأسّس حزبًا جديدًا ونصّبه نتنياهو وزيرًا للماليّة في الحكومة الحاليّة، قال له: «لن تحصل أبدًا على أصوات الناخبين الشرقيّين. أنا الوحيد الذي يستطيع جذبهم. أنا أعرف من يكرهون. إنّهم يكرهون العرب، وأنا أعرف كيف أزوّدهم بهذه السلعة» (شالوم – شطريت، 2017).

الفصل الرابع

نتنياهو والفلسطينيّون: مصالحة فلسطينيّة مقابل تسوية إسرائيليّة

نتنياهو والفلسطينيّون: مصالحة فلسطينيّة مقابل تسوية إسرائيليّة

تحليل التصوّر السياسيّ والأيديولوجيّ الذي يحمله نتنياهو أمرٌ لا بدّ منه لفهم المسألة الفلسطينيّة ومعالم الحلّ للصراع. وعلى الرغم من أنّ الكتاب أَفردَ لهذا الموضوع فصلًا خاصًّا، لا تمكن قراءة هذا الفصل بصورة منفصمة عن الفصل السابق الذي يناقش فكر وأيديولوجيّة نتنياهو؛ فكلاهما متشابكان، ورؤيته للمسألة الفلسطينيّة لا تنفصم عن رؤيته الفكريّة والأيديولوجيّة العامّة.

ويزعم الفصل أنّ تصوّرات نتنياهو الحاليّة بشأن الحلّ تنطلق من مفهومَي المصالحة والتسوية؛ فعلى الفلسطينيّين مصالحة المشروع الصهيونيّ، بينما على إسرائيل أن تقوم بتسوية سياسيّة مقابل المصالحة الفلسطينيّة. وقبل تحليل هذه المعالم، سيعرض الفصل تعريفًا مفاهيميًّا أساسيًّا لمصطلحَي التسوية والمصالحة. فتسوية النزاعات تسعى إلى إنهاء الصراع بناءً على ميزان القوى في الواقع، ولذا فتوازن القوى بطبيعة الحال ينعكس على شكل التسوية وحلّ الصراع، ولذلك فهي لا تعكس المَطالب العادلة والمصالح البعيدة المدى للطرف الضعيف (روحانا، 2004). في المقابل، تعتمد المصالحة على علاقات تهدف إلى الاعتراف بشرعيّة الطرف الآخر، وروايته وحقّه التاريخيّ؛ إذ على العكس من التسوية، التي تكون على مستوى النخَب، تفترض المصالحة أن يتغلغل السلام والعلاقات على مستوى الشعوب. في هذا يشير نديم روحانا إلى أهمّيّة المصالحة في النزاعات قائلًا إنّ المصالحة «لا تنفي نشوء توتّر، أو وقوع خلافات بين الأطراف مستقبَلًا، فإنّها تشكّل درعًا في مواجهة انقلاب في العلاقات، أو وضع تصبح فيه شرعيّة الآخَر

موضع شكّ من جديد» (روحانا، 2004، ص 64).

المفارقة تكمن في أنّ المصالحة في النزاعات ذات الطابع القوميّ، ولا سّيما في السياق الاستعماريّ الاستيطانيّ، تكون من مصلحة الطرف الضعيف، وذلك لضمان العدل، والاعتراف بالغبن التاريخيّ، ومسؤوليّة الطرف المعتدي التاريخيّة وتحقيق حلّ لا ينسجم مع ميزان القوى على أرض الواقع. ولكن، هذا الفصل يشير إلى أنّ نتنياهو يطالب الطرف الضعيف -بمقاييس ميزان القوى- بأن يقدِّم كلَّ ما يفرضه ميزان القوى عليه للطرف القويّ، كالاعتراف بالمشروع الاستعماريّ الاستيطانيّ، ومنح شرعيّة واعتراف برواية المستعمِر التاريخيّة، وتطبيع مفهوم العدل للخطاب الصهيونيّ، وغيرها.

كُتِب الكثير عن تصوّرات نتنياهو حول المسألة الفلسطينيّة، وتشير غالبيّة الكتابات أنّ نتنياهو يفضّل إدارة الصراع مع الفلسطينيّين دونما توصُّل إلى حلّ ينهي الصراع (شلحت، 2014). وقد تطرّقنا إلى جزء من هذه الكتابات والأدبيّات في فصول الكتاب السابقة. تنطلق هذه الرؤية من اعتبار أنّ كلّ حلّ أو تسوية سياسيّة مع منظّمة التحرير الفلسطينيّة سيشكّل بالنسبة لنتنياهو تنازلًا عن أيديولوجيّته التي نشأ عليها وكَتَب عنها الكثيرَ، والتي تتمثّل في معارضته لإقامة دولة فلسطينيّة، والانسحاب من مناطق الضفّة الغربيّة أو جزء منها. يحمل هذا الرأي وجاهة تحليليّة، ولا سيّما أنّ نتنياهو يضيف في كلّ مرحلة مطلبًا جديدًا من الفلسطينيّين، أو يشدّد على مَطالب معيّنة. ففي دورة حكومته الأولى (1996-1999)، اعتبر أنّ الضمانات الأمنيّة ومكافحة «الإرهاب» هما الشرطان الأساسيّان لأيّة تسوية مع الفلسطينيّين، أو أيّ تقدُّم في تسوية مع منظّمة التحرير، وهو ما تَمَثَّلَ في جملته الشعبويّة آنذاك: «إنْ يُعطوا

يأخذوا. وإلّا فلن يأخذوا». وفي دورة حكومته الثانية (2009-2013)، طرح في خطاب بار إيلان مطلب الاعتراف بإسرائيل دولةً يهوديّة شرطًا أساسيًّا لحلّ الدولتين، وفي أحيان أخرى يركّز على وقف «التحريض» في السلطة الفلسطينيّة شرطًا للمضيّ في تسوية، وتارة يطرح موضوع دعم السلطة لعائلات الشهداء والأسرى الفلسطينيّين باعتبار ذلك عائقًا أمام تسوية مع الجانب الفلسطينيّ، وطَوْرًا يتذرّع بالمصالحة الجارية بين السلطة الفلسطينيّة وحركة حماس. وكلّ هذه الشروط التي تصعد وتخبو في كلّ مرّة ما هي إلّا مبرّرات لعدم المضيّ في تسوية أو حلّ مع الفلسطينيّين. وتؤكّد تصريحات والده بِنْتْسِيُون هذا التحليلَ، حين صرّح في مقابلة مطوّلة معه بعد خطاب بار إيلان عام 2009، وكان ابنه بنيامين يجلس إلى جانبه: "إنّه {يقصد بنيامين} يؤيّد ذلك النوع من الشروط التي لن يقبلوا بها في أيّ حال من الأحوال". واستطرد نتنياهو الأب قائلًا: "هذا ما سمعتُه منه، وليس منّي. لقد وضع هذه الشروط، وهذه الشروط لن يسلِّم بها على الإطلاق أيّ رجل منهم" (شلحت، 2014، ص 80).

كان تاريخ المقابلة في 8/7/2009 في مناسبة احتفال بِنْتْسِيُون بعيد ميلاده المئة، وأكّد فيها أنّه سمع من نجله أنّه لا يؤيّد إقامة دولة فلسطينيّة، وأنّه يرهن إقامتها بشروط لا يمكن أن يقبلها الفلسطينيّون مطلقًا، مشدِّدًا في الوقت نفسه على أنّ رئيس الحكومة يدرس خطواته السياسيّة على نحوٍ جيّد، ولا يُعقل أن يُقْدِم على أفعال رعناء. وقد نشرت هذه القناة تصريحاته تلك آنذاك على موقعها الإلكترونيّ تحت عنوان ذي دلالة هو "والد نتنياهو يكشف السرّ". ولدى توجيه سؤال إلى نتنياهو الأب بشأن موقفه إزاء إقامة دولة فلسطينيّة أجاب قائلًا: "لم يستثمر كلّ من بنيامين زئيف هرتسل وماكس نورداو جهودهما هنا من أجل أن تُقام دولة فلسطينيّة في نهاية المطاف. هذا البلد هو

بلد يهوديّ وليس للعرب. لا مكان للعرب هنا ولن يكون لهم مكان أبدًا، وهم لن يوافقوا على شروطنا مطلقًا" (شلحت، 2014). وقد أُعيد بثّ هذه المقتطفات مرارًا وتكرارًا على التلفزيون الإسرائيليّ طيلة يوم وفاة بِنْتْسِيُون، بعد نشر وسائل الإعلام قبل يوم من وفاته تأكيدات ليوڤال ديسكين، رئيس جهاز الأمن العامّ (الشاباك) السابق في حكومة نتنياهو، بقوله إنّ هذه الحكومة «لم تكن تبدي أيّ اهتمام بحلّ أيّ شيء مع الفلسطينيّين» (شلحت، 2014، ص 80).

تحلّل ياعيل أرونوف مواقف ستّة رؤساء حكومة إسرائيليّين من المسألة الفلسطينيّة، ومنهم نتنياهو، وتَعتبر أنّ البعد الأيديولوجيّ لا يزال يقوم بدور مركزيّ في تعاطيه مع المسألة الفلسطينيّة، فهو يعتقد أنّ الوقت يسير لصالح إسرائيل، على العكس من اثنين من رؤساء حكومة من حزب العمل (رابين وبيرس) كانا جزءًا من التحليل في الكتاب. لذا، يرمي نتنياهو -وَفق رأي الكاتبة- إلى إدارة الصراع لعشرات السنوات؛ فالوقت مع إسرائيل، على العكس ممّا يدّعيه زعماء اليسار الصهيونيّ. وهو غير قادر على اتّخاذ قرارات صعبة في الشأن الفلسطينيّ؛ فقدرته على المخاطرة في مثل هذه القرارات ضعيفة، على العكس من شارون (Aronoff, 2014).

إذًا، انطلاقًا من هذا التوجّه يسعى نتنياهو إلى إبقاء الوضع القائم، من خلال إستراتيجيّة إدارة الصراع، وهذا صحيح. ولكن إدارة الصراع لا يمكن أن تكون إلى ما لا نهاية، إذ لا بدّ في مرحلة معيّنة من الانتقال من إدارة الصراع أو الحلّ إلى حسمه وفرض حلّ. وفي سياق تصوّرات نتنياهو، العلاقة بين إدارة الصراع وحسمه ليست

مسألة كرونولوجية خطّيّة؛[1] أي لا وجود لقاعدة لديه تفترض الانتقال من إدارة الصراع إلى حلّه وفرضه. بل هنالك ديناميكيّة بين إدارة الصراع وحسمه في تصوّراته وسياساته في التعامل مع المسألة الفلسطينيّة. ومن هنا فإنّ حسم إدارة الصراع لا يكون على مراحل تنتهي بعد إتمامها، فضلًا عن أنّ حسم الصراع لا يكون على مراحل متراكمة تصل إلى نقطة يمكن تحديدها على أنّها نقطة انتهى فيها حسم الصراع. كلّ شيء عند نتنياهو متحرّك حسب السياقات المحلّيّة والفلسطينيّة الإقليميّة والدوليّة؛ فعندما يعود نتنياهو إلى قواعده الأيديولوجيّة يتّبع سياسات حسم الصراع، وعندما يُضطرّ نتنياهو إلى ترك مواقعه الأيديولوجيّة فإنّه يدير الصراع. بطبيعة الحال هو يفضّل البقاء في قواعده الأيديولوجيّة. فما هي هذه القواعد؟

يعتبر نتنياهو أنّ إنتاج شعب فلسطينيّ وهُويّة وطنيّة فلسطينيّة كان مؤامرة عربيّة لإسقاط حقّ اليهود في فلسطين، «فطيلة هذا التاريخ الطويل، لم يُعرب السكّان العرب في أرض «إسرائيل»، وإنْ تلميحًا، عن رغبة في الاستقلال القوميّ، أو في ما يُعْرَف اليوم بـ «تقرير المصير». كان هنالك عرب عاشوا في أرض إسرائيل مثلما عاش عرب آخرون في أماكن أخرى كثيرة، ولكن لم يكن هناك شعب فلسطينيّ ذو وعي قوميّ أو هُويّة قوميّة، أو حتّى مصالح قوميّة مشتركة. ومثلما لم تكن دولة فلسطينيّة، لم يكن كذلك شعب فلسطينيّ، أو ثقافة فلسطينيّة» (نتنياهو ب.، 1999، ص.ص 100-101).

يقارن نتنياهو مرّة تلو الأخرى «الشعب الفلسطينيّ» (الذي يضع

1. المقصود أنّها لا تأتي على شكل مراحل متتالية تبدأ أوّلًا بإدارة الصراع وتنتهي بحسمه.

اسمه بين مزدوجين) بالألمان الذين كانوا يعيشون في إقليم السوديت التشيكوسلوفاكيّ في ثلاثينيّات القرن الفائت، ويشير إلى أنّه في إطار سعي النازيّين إلى تفكيك تشيكوسلوفاكيا ابتدعوا شعبًا خياليًّا هو «الألمان السوديت».

والسوديت إقليم يقع في غرب تشيكيا على الحدود مع ألمانيا. وكان في السابق جزءًا من الإمبراطوريّة النمساويّة المجريّة. وعقب هزيمة ألمانيا في الحرب العالميّة الأولى، قرّر مؤتمر الصلح في باريس اقتطاعه من ألمانيا وإلحاقه بتشيكوسلوفاكيا. وكان 95% من سكّانه من الألمان، ولذا طالب هتلر عام 1938 بإجراء استفتاء شعبيّ بين سكّان الإقليم يقرّرون فيه إمّا البقاء مع تشيكوسلوفاكيا أو الانضمام إلى ألمانيا. ورفض رئيس تشيكوسلوفاكيا ذلك واعتبره تدخّلًا في شؤون بلده الداخليّة، فهدّد هتلر باستعمال القوّة لتحقيق ذلك، وهو ما أدّى إلى تأزُّم العلاقات الدوليّة في أوروبا نظرًا إلى أنّ تشيكوسلوفاكيا كانت قد وقّعت اتّفاقيّات تحالف مع فرنسا والاتّحاد السوفييتيّ، فإذا شنّ هتلر الحرب ضدّ تشيكوسلوفاكيا فإنّه سيلزم الدولتين بالوقوف إلى جانبها. وبغية الخروج من هذا المأزق، دعا رئيسُ الحكومة البريطانيّة تشمبرلين إلى عَقد مؤتمر لتسوية هذه المسألة. وعُقِدَ هذا المؤتمر في ميونيخ ما بين الـ 29 من آب والفاتح من أيلول عام 1938، وحضره زعماء بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، وجرى في ختامه توقيع معاهدة ميونيخ التي تضمّنت البنودَ التالية:

1. ضمّ إقليم السوديت إلى ألمانيا خلال عشرة أيّام.
2. منع تشيكوسلوفاكيا من هدم التحصينات العسكريّة التي في الإقليم.
3. رسم الحدود الألمانيّة – التشيكيّة وَفقًا للمصالح الإستراتيجيّة

الألمانيّة.

4. في مقابل ذلك يتعهّد هتلر بالتخلّي عن أيّ مطامع إقليميّة أخرى.

واضطُرّت تشيكوسلوفاكيا إلى الرضوخ لتلك الشروط، فدخلت القوّات الألمانيّة إقليم السوديت في الفاتح من تشرين الأوّل عام 1938. وتاريخيًّا، كان اجتماع ميونيخ المسمار الأخير في نعش السلام الأوروبيّ والعالميّ بصورة عامّة، وذلك أنّه أعطى دليلًا لهتلر على ضعف فرنسا وتردُّد بريطانيا في الوقوف في وجه أيّ عمل يقوم به مَهما كان، فقرّر ضمّ تشيكوسلوفاكيا بأكملها إلى ألمانيا في آذار عام 1939، وكان ذلك مثابة مقدّمة لاندلاع الحرب العالميّة الثانية. ومع نهاية الحرب وهزيمة ألمانيا، استعادت تشيكوسلوفاكيا الإقليم وطُرِد معظم السكّان الناطقين بالألمانيّة إلى ألمانيا. وعلى غرار السوديت، أكّد نتنياهو في كتابه أنّ الدول العربيّة عرفت أنّ سيطرتها على الضفّة الغربيّة ستحسم مصير إسرائيل، «ولذا قامت بشنّ حملة تهدف إلى إقناع العالم والسكّان العرب في هذه المنطقة أنّهم أبناء شعب مستقلّ وأصحاب الحقّ في تقرير المصير». وبحسب ذلك، فالفلسطينيّون شعب غير قائم، وهو صنيعة العالم العربيّ الساعي إلى القضاء على إسرائيل (شلحت، 2014، ص.ص 77-78). وتُعتبر هذه أهمّ تصوّرات نتنياهو الأيديولوجيّة حول المسألة الفلسطينيّة، فما هي تصوّراته السياسيّة؟

4.1 تصوُّر نتنياهو: مصالحة فلسطينيّة مقابل تسوية إسرائيليّة

مَعالم المطالبة الإسرائيليّة بمصالحة فلسطينيّة مقابل تسوية إسرائيليّة تتجلّى في طلب نتنياهو الاعتراف بإسرائيل دولةً يهوديّة. فقد طرح نتنياهو موضوع الاعتراف بصورة مكثّفة وأساسيّة في عهده الجديد كأساس للتوصّل إلى حلّ مع الفلسطينيّين. لكن لا

بدّ من القول إنّ موضوع الاعتراف ليس بقضيّة جديدة في ساحة السجال الإسرائيليّ. وقد كان ذاك محصورًا في النقاش والأدبيّات الأكاديميّة التي ركّزت على العوائق النفسيّة، والروايات التاريخيّة المتناقضة والمتصارعة، والعوائق الذهنيّة والقيميّة، ومفهوم العدل المختلف أمام تحقيق المصالحة بين الشعبين؛ إذ وقف كلٌّ هذا عوائقَ أمام تحقيق المصالحة لا التسوية (بار-سيمان، 2010). الجديد في هذا النقاش أنّ نتنياهو استطاع أن ينقل هذه المسألة بقوّة إلى الساحة السياسيّة، مستخدمًا كلمة «المصالحة» التي تتجلّى في مفهوم الاعتراف الفلسطينيّ بإسرائيل كدولة يهوديّة.

تراجع نتنياهو عن الأساس الذي سارت بموجبه الحكومات الإسرائيليّة السابقة في المفاوضات، وهو ما يوجب التوصّل إلى اتّفاق حول الحدود أوّلًا، وقد وافق الجانب الفلسطينيّ على هذا الأساس أيضًا. لكن نتنياهو أراد وضع أسس جديدة لبدء المفاوضات تنطلق بترسيم الحدود بالترتيبات الأمنيّة والاعتراف بإسرائيل دولةً للشعب اليهوديّ، أي الاعتراف بيهوديّة الدولة. ويشكّل هذا الاعتراف ترتيبًا جديدًا لأولويّات التفاوض الإسرائيليّة، وإضافة قضيّة جديدة إلى القضايا الجوهريّة التي تعتبرها إسرائيل شرطًا لحلّ الصراع (طال-لاندمان، 2010). فهِمَ نتنياهو أنّ موضوع الاعتراف الرمزيّ بما يحمل من دلالات تاريخيّة في حقّ اليهود على الأرض هو تعويض عن قبول اليمين بتقسيمها. وقد أكّد نتنياهو على مطلب الاعتراف في أكثر من خطاب: في جامعة بار إيلان في حزيران 2009، وأمام مجلس العلاقات الخارجيّة في نيويورك في تمّوز عام 2010 في التهنئة السنويّة للشعب اليهوديّ في رأس السنة اليهوديّة، وفي الأمم المتّحدة في أيلول عام 2011، وفي خطابه الشهير في الكونجرس

الأمريكيّ في العام نفسه...

يُعتبر هذا المطلب عند نتنياهو إعادة إحياء لمقولته الأيديولوجيّة حول جوهر الصراع؛ فهو يقرن بين قضيّةِ الاعتراف ونجاح المفاوضات، ويعتقد أنّ حلّ كلّ قضايا الصراع الجوهريّة تتعلّق باعتراف الفلسطينيّين بالدولة اليهوديّة. ففي تصريح له قبل انعقاد الاجتماع في شرم الشيخ مع الرئيس الفلسطينيّ محمود عبّاس عام 2011، قال نتنياهو: "العائق الأساسيّ المتبقّي أمام السلام هو الاعتراف"، وأضاف: "حين نتغلّب على موضوع الاعتراف المتبادل، آمل أن يكون في المستطاع أن يبارك كلّ منّا الآخر بعد عام بالبركة والسلام". وقد وصف نتنياهو عدّة مرّات الرفضَ الفلسطينيّ بالاعتراف أنّه "جذور الصراع". لا يقرن نتنياهو بين الصراع والاحتلال، ففي لقاء جمَعَهُ في القدس بمنظّمة «مسيحيّون موحّدون من أجل إسرائيل»، في آذار عام 2012، المنظّمة التي يتعامل أعضاؤها مع نتنياهو على أنّه أشبه بمسيح مخلّص، قال «أعداؤنا لا يكرهوننا بسبب ما نفعل، وإنّما بسبب مَن نكون» (حسون، 2012، ص 5). وعشيّة انطلاق المفاوضات في واشنطن عام 2010، الذي تزامن مع رأس السنة اليهوديّة، بارك نتنياهو الشعب اليهوديّ، وتطرّق إلى المفاوضات قائلًا:

> *«إنّنا نصرّ على أنّ التسوية بيننا وبين الفلسطينيّين يجب أن تستند إلى مبدأين: الأمن والاعتراف... الأمن لأنّ أيّ سلام لن يصمد بدون ترتيبات أمنيّة حقيقيّة على الأرض، والأمر الثاني هو طبعًا الاعتراف بإسرائيل كدولة قوميّة للشعب اليهوديّ. يطلبون منّا الاعتراف بدولة فلسطينيّة، ومن الطبيعيّ أن نطلب من الطرف الآخر أن يعترف بالدولة اليهوديّة، دولة شعب إسرائيل» (Netanyahu, 2010).*

ينطلق خطاب الاعتراف إلى اعتبار أنّ جوهر الصراع يعود إلى العام

1948 لا إلى العام 1967. يعتقد نتنياهو أنّ نزع الشرعيّة عن إسرائيل الذي أصبح مكثّفًا في السنوات الماضية مَرَدُّهُ إلى عدم الاعتراف بها. في لقاء أجراه في كانون الأوّل عام 2010 – بعد أن أخفقت الجهود في استئناف المفاوضات إثر رفض الحكومة الإسرائيليّة تمديد تجميد الاستيطان– قال نتنياهو: «حتّى إذا نجحنا في الوصول إلى سلام، سوف يستمر التعرّض لشرعيّتنا، لأنّ جذورها ليست في أحداث عام 1967، بل جذورها (أي نزع الشرعيّة) تعود إلى أحداث عام 1948، الهجوم ضدّ وجود الدولة اليهوديّة... هنالك محاولة لمنع اليهود أن تكون لهم دولة»... (مصطفى، 2013، ص 158).

تتضمّ هذه التصريحات إلى الكثير من المقولات والخطابات التي يؤكّد فيها نتنياهو على جوهر القضيّة باعتبارها قضيّة اعتراف لا قضيّة احتلال، أي إنّ جوهر الصراع هو غيابُ اعتراف فلسطينيّ بيهوديّة الدولة منذ عام 1948 لا احتلالُ إسرائيل منذ عام 1967.

بات نتنياهو مثابرًا في خطاب الاعتراف. في كلّ مناسبة، يحاول أن يتّبع هذه الإستراتيجيّة. وقد أكّد على هذا الموقف ثلاث مرّات في أيّار عام 2011: في خطابه في الكنيست الإسرائيليّ عشيّة سفره إلى واشنطن؛ في خطابه في منظّمة «الآيباك» بعد سفره؛ في خطابه الشهير في الكونجرس الأمريكيّ. ففي هذه الخطابات الثلاثة أشار إلى أنّ المشكلة ليست في عام 1967 بل في عام 1948، وأنّ المشكلة ليست في عدم إقامة دولة فلسطينيّة، بل في عدم الاعتراف بدولة يهوديّة. يُعتبر خطاب الاعتراف خطابًا يحاول أن يزيل صفة المحتلّ عن كاهل إسرائيل، وهذا ما أشار إليه نتنياهو في خطابه في الكونجرس عندما قال: وجود اليهود في الضفّة الغربيّة ليس احتلالًا، بل هو عودة إلى أرض الأجداد؛ إذ إنّ الأرض هي حقّ تاريخيّ لليهود. وبهذا يحاول

أن يقول إنّ إسرائيل ليست دولة محتلّة، بل حقّها في هذه الأرض هو حقّ تاريخيّ ودينيّ، وإنّه مستعدّ للتنازل بألم عن هذه الأرض مقابل اعتراف فلسطينيّ بيهوديّة الدولة.

يدرك نتنياهو جيّدًا معنى مطلب الاعتراف وانعكاساته على مُجْمَل القضايا الجوهريّة. اعتراف فلسطينيٌّ بيهوديّة الدولة معناه تنازل فلسطينيّ عن حقّ العودة، ولن يكون هناك معنى للتفاوض حول هذا الموضوع، كما أنّه يحصل على اعتراف فلسطينيّ بالرواية التاريخيّة الإسرائيليّة والحقوق اليهوديّة في القدس وفي الضفّة الغربيّة وانعكاسات ذلك على موضوع السيادة والمستوطنات في الضفّة الغربيّة، ولهذا السبب يرفض الجانب الفلسطينيّ على نحوٍ دائمٍ هذا الاعتراف.

لم يكن نتنياهو القائد الإسرائيليّ الوحيد الذي وضع قضيّة الاعتراف ضمن أَجِنْدات عمليّة التفاوض، فقد ظهرت قضيّة الاعتراف في اتّفاق السلام مع مصر ومع الأردن، بل في إعلان المبادئ الموقَّع في أوسلو. في الاتّفاقيّات الثلاث السابقة، اكتفت إسرائيل بصيغة اعتراف كما هو متعارَف عليه في العلاقات الدوليّة، أي اعتراف بكيانات سياسيّة وبسيادتها في الحدود التي اتُّفق عليها؛ بل كذلك ظهر موضوع الاعتراف بيهوديّة الدولة في الردِّ الإسرائيليّ خلال فترة ولاية شارون على خريطة الطريق. طالب شارون باعتراف فلسطينيّ لا بحقّ وجود إسرائيل فحسب، وإنّما كذلك بالحقوق القوميّة للشعب اليهوديّ وطابعها القوميّ. وعاد هذا الطلب مرّة أخرى في مؤتمر أناپولس عام 2007، حيث طالب أولمرت وَليڤني بإدراج هذا الموضوع في الإعلان عن بدء المفاوضات، إلّا أنّ نتنياهو نقل قضيّة الاعتراف نقلة نوعيّة. كان نتنياهو هو الوحيد الذي اشترط الاتّفاق بموضوع الاعتراف، ومن ناحية أخرى أعطى

الاعتراف جوهرًا أكثر وضوحًا وإلزامًا وهو الاعتراف بيهوديّة الدولة وبإسرائيل كدولة الشعب اليهوديّ. كذلك وضعها على سلّم أولويّات التفاوض قبل المواضيع الجوهريّة الأخرى نحو: القدس؛ اللاجئين؛ الاستيطان؛ الحدود والترتيبات الأمنيّة.

قدّم نتنياهو خلال مناسبات مختلفة تحديثات على مواقفه الكلاسيكيّة السابقة بخصوص شكل التسوية وطريقتها. في عام 2011، ألقى أربعة خطابات مركزيّة شكّلت المصدرَ الأساس في عرض آرائه؛ تَمثَّلَ الأوّلُ في خطابه أمام الكنيست في الـ 16 من أيّار، والثاني خطابه أمام الكونجرس في الـ 24 من أيّار، والثالث خطابه أمام الوكالة اليهوديّة في الـ 28 من حَزيران، والرابع أمام الجمعيّة العامّة في الـ 23 من أيلول. شكّلت هذه الخطابات إضافات جوهريّة لخطاب نتنياهو الشهير في بار إيلان في حزيران عام 2009، حيث وضع المزيد من النقاط على الحروف الغامضة التي وردت في خطابه الأوّل، ووضع المزيد من الحواشي والهوامش التي تبدو أكثر قوّة وأشدّ إلزامًا بالنسبة لنتنياهو من النصّ الأوّل الوارد في بار إيلان. من الواضح أنّ نتنياهو كان مدفوعًا بنوعين متناقضين من الضغوط: الأوّل خارجيّ يتمثّل في المجتمع الدوليّ، والثاني داخليّ من أطراف ائتلافه الحكوميّ.

على الرغم من ذلك، قدّم رئيس الحكومة الإسرائيليّة تصوّرًا متكاملًا يمكن الاستدلال منه على شكل الحلّ النهائيّ الذي يرغب أن يراه في حال تحقُّقه. في البداية، يجب التأكيد أنّ ما اقترحه نتنياهو يشكّل شروطًا قال بوجوب تحقّقها في أيّ نتائج للمفاوضات بين الطرفين، ولم تكن رؤى وتصوّرات حقيقيّة إلّا أنّها تعكس شكل الحلّ المرغوب. واشتمل هذا الحلّ على ثلاثة شروط أساسيّة: يهوديّة الدولة؛ الاحتفاظ بغور الأردن؛ ترسيم حدود لدولة فلسطينيّة.

ومع هذا، في الإمكان -من تحليل مواقف نتنياهو- الاستدلال على نحوٍ شامل على **سبعة معالم أساسيّة للتسوية كما يراها، تتمثّل في الأمور التالية وهي:**

1. إقرار فلسطينيّ بيهوديّة الدولة، إذ إنّ معيار تحقيق السلام هو الاعتراف بوجود دولتين لشعبين، وإذا كانت الدولة الفلسطينيّة للشعب الفلسطينيّ فإنّ إسرائيل هي دولة الشعب اليهوديّ.
2. بالنسبة لقضيّة اللاجئين، ليس ثمّة مشكلة واحدة بل ثمّة مشاكل للّاجئين؛ فلدى إسرائيل أيضًا مشكلة كما لدى الفلسطينيّين، وعليه تجري تسوية كلّ مشكلة بصورة متناسبة بحيث يجري حلّ قضيّة اللاجئين الفلسطينيّين في الدولة الفلسطينيّة لا في إسرائيل أسوة بما كان في إسرائيل حين جرت تسوية مشكلة اللاجئين اليهود العرب عقب حرب عام 1948.
3. الدولة الفلسطينيّة لا بدّ أن تكون منزوعة السلاح بحيث لا تمتلك أسلحةً تهدّد وجود إسرائيل وأمنها. هذا يتطلّب وجودًا عسكريًّا إسرائيليًّا على طول نهر الأردن. إنّ حدود الدولة الفلسطينيّة يجري تحديدها بناءً على اتّفاق بين الطرفين الإسرائيليّ والفلسطينيّ وأنّ هذه الحدود لا يمكن أن تكون حدود الرابع من حزيران، بل تأخذ بعين الاعتبار الطبيعة الديمچرافيّة للوجود الإسرائيليّ في المستوطنات، ويجري ضمّ مُجْمَل الكتل الاستيطانيّة الكبرى والتجمّعات السكنيّة إلى داخل دولة إسرائيل، وتقوم إسرائيل بتفكيك بعض البؤر التي ترى أنّه يمكن التنازل عنها. وبكلمة أخرى، المفاوضات وحدها يمكن أن تنتج شكل حدود الدولة الفلسطينيّة ومسارها، ولا يمكن الجزم المسبق بها قبل الشروع بالمفاوضات. وإنّ حدود الرابع من حزيران لا تشكّل قاعدة تصلح لذلك، بل إنّ حدود الرابع من حزيران بالنسبة لنتنياهو غير قابلة للدفاع عنها من ناحية عسكريّة. وهو موقف

يتعزّز مع استحضار طرحه حول الحاجة إلى الاحتفاظ بغور الأردن لضمان قوّة الردع الإسرائيليّة.

1. **أن تحتفظ إسرائيل بمنطقة غور الأردن** تحت سيطرتها فلا يكون للدولة الفلسطينيّة حدود شرقيّة مع الأردن بالمعنى الجغرافيّ، بل ربّما بالمعنى المعنوي والسياسيّ. نتنياهو لم يقدّم الكثير من الشروح، بل قال إنّ حدود إسرائيل لا يمكن أن تقف عند خاصرة الضفّة الغربيّة، بحيث يكون عرض إسرائيل من جهة حيفا وتل أبيب مجرّد خمسة عشر كيلومترًا. قال نتنياهو أثناء جولة في الغور، في آذار عام 2011، إنّه «مَهما كانت الظروف في المستقبل، وفي إطار أيّ اتّفاقية، يجب على الجيش الإسرائيليّ البقاء هنا منتشرًا على طول نهر الأردن. هذه شهادة التأمين الخاصّة بدولة إسرائيل».

يقول نتنياهو بخصوص مقترحه احتفاظ إسرائيل بمنطقة الغور: «إنْ كان هذا صحيحًا قبل الاضطرابات الكبيرة التي هزّت الشرق الأوسط والمنطقة بأَسْرها، فهو ينطبق بصورة خاصّة على ما يحدث اليوم. يجب على الجيش الإسرائيليّ أن يبقى منتشرًا على طول نهر الأردن» (مصطفى، 2013، ص 162). يعتبر نتنياهو الانسحاب إلى حدود الرابع من حَزيران جزءًا من مخطّط الفلسطينيّين لإعادة إسرائيل إلى حدودها القديمة، وهي حدود غير آمنة، وذلك تطبيق لخطّة المراحل التي تهدف إلى القضاء على دولة إسرائيل. لذا يشدّد نتنياهو على فكرة سيطرة إسرائيل على الحدود مع الأردن (نتنياهو ب.، 1996، ص 100).

2. **المستوطنات**: لم تكن المستوطنات يومًا هي أساس المشكلة في الشرق الأوسط؛ فالصراع قائم قبل أن تكون المستوطنات

بعشرات السنين، إلّا إذا كان الفلسطينيّون يقصدون بالمستوطنات تل أبيب وحيفا ويافا وبئر السبع، كما قال نتنياهو من على منصّة الأمم المتّحدة عام 2011. وإسرائيل جرّبت وفكّكت مستوطنات وأرغمت سكّانها على تركها وترك مدارسهم وكُنُسهم، لكن السلام لم يتحقّق (IsraeliPM, 2011). وعليه، ستُشمَل الكتل الاستيطانيّة ذات الكثافة النسبيّة والواقعة بالقرب من تل أبيب الكبرى والقدس ومناطق أخرى ذات أهمّيّة إستراتيجيّة أو قوميّة ضمن الحدود الدائمة لإسرائيل. مقابل كلّ ذلك، إسرائيل مستعدّة لتقديم تنازلات في الأراضي، وهي تنازلات مؤلمة -كما يصفها نتنياهو- من أجل السلام، بل ذهب ذات مرّة للقول إنّه سيكون سخيًّا في ذلك.

3. **القدس ستكون موحّدة تحت السيادة الإسرائيليّة**. على الرغم من ذلك، تتفهّم إسرائيل حسّاسيّة الفلسطينيّين حين يتعلّق الأمر بالمقدّسات، إلّا أنّ هذا لن يُفضي إلى تنازل من أيّ نوع في قضيّة السيادة، بل إنّ نتنياهو عبّر عن استغرابه أمام الجمعيّة العامّة دعاوى الفلسطينيّين بقيام إسرائيل بتهويد القدس، وتساءل: هل يقال لأميركا إنّها تؤمرك نيويورك؟! إنّ أكبر فضيلة لحرب حزيران عام 1967 بالنسبة له هي أنّها وحّدت القدس، وهو لا يفتأ يروي قصصًا من طفولته عن هذه اللحظات، وبالتالي فإنّ إعادة تقسيم المدينة أمر غير وارد على الإطلاق في وعي نتنياهو السياسيّ، وستصون إسرائيل حرّيّة العبادة لأتباع جميع الديانات.

4. **توقيع الاتّفاق مع الفلسطينيّين يجب أن يتزامن مع إعلان فلسطينيّ بإنهاء النزاع إلى الأبد وانتهاء المطالبات الفلسطينيّة**،

فلا يجوز إيجاد دولة فلسطينيّة إلى جانب دولة إسرائيل تبغي النزاع مع إسرائيل أو مواصلة ممارسة الضغط.

4.2 نتنياهو والفلسطينيّون في مناطق عام 1948

وضع نتنياهو خلال دورة حكمه الأخيرة الفلسطينيّين الذين في داخل الخطّ الأخضر في صُلب سياسته وخطابه، وذلك كجزء من عمليّة إنتاج «عدوّ» جديد، يعيد من خلاله إنتاجَ سياسات الهُويّة وإشاعة الخوف التي اعتمدها في مسيرته السياسيّة. وكان الفلسطينيّون في إسرائيل حاضرين بقوّة في السنوات الأخيرة في خطاب التخويف الذي اعتمده نتنياهو، وبدا لوهلة أنّ «العدوّ الداخليّ» (أي فلسطينيّي الـ 48) استُبدِل في خطابات نتنياهو بـ «العدوّ الخارجيّ» (نحو: إيران والحركة الوطنيّة الفلسطينيّة). وكما قال نتنياهو لوزير الماليّة «كحلون»، هو يعرف كيف يحافظ على قواعده الانتخابيّة من خلال تسويق مُنْتَج «كراهيَة العرب». هنالك اختلاف بين منظومة العنصريّة التاريخيّة للتيّار الصهيونيّ العمّاليّ، والمنظومة العنصريّة اليمين الجديد، في تعاملهم مع الفلسطينيّين داخل الخطّ الأخضر؛ فالأوّل اتّبع سياسة تغييبهم، والثاني يَتّبع على نحوٍ منهجيٍّ سياسةَ استحضارهم في كلّ مناسبة. فالتغييب لا يفترض التحريض ابتداءً، بل على العكس من ذلك يتعامل معهم كأناس وَدودين، راضين وخاضعين بالوضع القائم ولا يتحدَّوْنه، ولا يشكّل التحريض عليهم رافعة سياسيّة، بل يشكّل انتهاكًا لسياسات المستعمِر الموروثة من الانتداب الإنجليزيّ التي دأبت على التعامل مع القيادات المحلّيّة التقليديّة وتمكينها على حساب قيادات وطنيّة؛ فالتغييب يوفّر غطاء لممارسات إقصائيّة واستعماريّة دون أن يجري استحضار موقف الواقعين تحت الاستعمار (مصطفى، 2017).

في المقابل، تنطلق سياسات اليمين الجديد من موروث استعماريّ يستحضر بصورة دائمة السكّان الأصليّين بغية نزع إنسانيّتهم وجعْلِهم في صُلب الحراك السياسيّ للمستعمِر وبَلْوَرة هُويّتَه وذاته الجماعيّة. فالممارسات الاستعماريّة في الحالة الأولى تستوجب التغييب، وفي الثانية تستوجب الاستحضار، وفي النهاية كلاهما يهدفان إلى التحقير والاستهتار (بتصرّف عن الفيلسوف الألمانيّ أكسيل هونيث في كتابه «سياسات الاستحقار») بالواقعِين تحت الاستعمار. علاوة على ذلك، في الممارسات الأولى هنالك حالة استحضار بين الفينة والأخرى للقوى الوطنيّة ومحاولة عزلها عن المجتمع، بينما تهدف الثانية إلى استحضارها ولصق المجتمع بها. ومع ذلك وجب التنبيه أنّ هنالك ديناميكيّة دائمة بين التغييب والاستحضار، ولا تشكّل الواحدة قطيعة عن الأخرى بالضرورة. لا يحتاج المرء إلى بصر وبصيرة ليرى ويدرك أنّ اليمين في إسرائيل ومن يقف على رأسه (بنيامين نتنياهو) يتّبعون على نحوٍ مثابر، بمناسبة وبدون مناسبة، سياسةَ الاستحضار من أجل التّحريض على الفلسطينيّين في إسرائيل، حتّى في أعقاب أحداث كانت في الماضي جزءًا من قوانين اللعبة غير الرسميّة بين الدولة ومواطنيها الفلسطينيّين.

وهكذا استحضر نتنياهو الفلسطينيّين في إسرائيل بقوّة في السنوات الأخيرة، طَوْرًا بالتحريض عليهم، وتارةً باستعمالهم في دعايته في المحافل الدوليّة من خلال الادّعاء أنّهم المجموعة العربيّة الوحيدة في العالم التي تحظى بالديمقراطيّة، والمساواة والحقوق المدنيّة والسياسيّة. ففي المقابلة التي أشرنا إليها سابقًا، مع قناة محلّيّة في بوسطن عام 1977 (عندما كان في الثامنة والعشرين من عمره) برّر خلالها تطلُّعه إلى ضمّ المناطق الفلسطينيّة المحتلّة عام 1967،

وإعطاء الفلسطينيّين فيها حقوق مواطنة، بادّعاء أنّ العرب في إسرائيل هم المجموعة العربيّة الوحيدة التي يحظى أفرادها بحقوق مدنيّة وسياسيّة كاملة في الشرق الأوسط (Ania, 2014). وكرّر نتنياهو هذه المقولة في خطابه في الكونجرس، وفي لقاءات دوليّة عديدة.

في فترة حكومته الأولى، اندلعت إحدى أهمّ المواجهات في تاريخ الفلسطينيّين في الداخل بينهم وبين قوّات الشرطة عام 1998، في أعقاب قرار الحكومة مصادرة أراضٍ من منطقة الروحة التابعة لسكّان وادي عارة، وأمّ الفحم تحديدًا. وقد أدّت هذه المواجهات إلى جرح أكثر من خمسمئة فلسطينيّ، كان من بينهم طلّاب من المدرسة الثانويّة الشاملة في أمّ الفحم، الأمر الذي حمل الحكومة لاحقًا على التراجع عن قرارها في أعقاب استمرار معارضة أصحاب الأراضي والمنطقة للقرار الحكوميّ.

في خطاب نتنياهو في مؤتمر هرتسليا الرابع عام 2003، وكان آنذاك وزيرًا للماليّة في حكومة شارون، تطرّق إلى الخطر الديمچرافيّ الذي يمثّله الفلسطينيّون في إسرائيل (مؤتمر هرتسليا، 2003)، إذ قال:

> *«إنّنا نواجه مشكلة ديمچرافيّة أيضًا، لكنّها غير متركّزة في عرب فلسطين بل في عرب إسرائيل. ليس لدينا أيّ نيّة للسيطرة على السكّان الفلسطينيّين، ولذا فإنّ المشكلة الديمچرافيّة لن تكون قائمة هناك عندما ينتقل هؤلاء السكّان إلى السيادة الفلسطينيّة. وقد حدّدنا في وثيقة الاستقلال أنّنا نقيم دولة يهوديّة وديمقراطيّة. هي دولة يهوديّة أوّلًا وقبل أيّ شيء، وبعد ذلك هي ديمقراطيّة. وكي لا تلغي الديمقراطيّة طابع الدولة اليهوديّ، يجب ضمان أغلبيّة يهوديّة. إنّ مسألة العلاقة بين الأغلبيّة اليهوديّة والأقلّيّة العربيّة هي قبل أيّ*

شيء مسألة مزدوجة، مسألة نسيج العلاقات والقدرة على دمج هذه الأقلّيّة في حياة الدولة وفي الاقتصاد والمجتمع من جهة، ومسألة العدد من جهة أخرى. وإذا اندمج السكّان العرب بصورة رائعة {في الدولة} وبلغت نسبة عددهم 35 بالمئة أو 40 بالمئة من مُجْمَل عدد سكّان الدولة، عندها ستصبح الدولة اليهوديّة ملغاة وتتحوّل إلى دولة ثنائيّة القوميّة. وإن بقيت نسبتهم على ما هي عليه الآن، أي نحو 20 بالمئة، أو حتّى أصبحت أقلّ، لكن العلاقات بقيت متّسمة بالصرامة والتحدّي والعنف وما إلى ذلك، فإنّه في هذه الحالة أيضًا سيُمَسّ ادّعاؤنا بشأن النسيج الديمقراطيّ. ولذا، نحن بحاجة إلى انتهاج سياسة توازن بين هذين الأمرين. وقبل أيّ شيء يتعيّن علينا أن نضمن أغلبيّة يهوديّة في دولة إسرائيل» (شلحت، 2014، ص 87).

لم يكن الخطاب الديمچرافيّ غريبًا عن فكر نتنياهو؛ فقد خصّص لهذه المسألة فصلًا كاملًا في كتابه «مكان تحت الشمس»، حيث أشار فيه إلى أنّ مصلحة إسرائيل كدولة يهوديّة «تشجيع زيادة حجم الأسرة اليهوديّة» إلى جانب تشجيع الهجرة اليهوديّة (نتنياهو ب.، 1999، ص.ص 360-361).

بعد عودته لمنصب رئاسة الحكومة، بادرت حكومته إلى حملة حثيثة من التشريعات القانونيّة والممارسات السياسيّة في المجالات كافّة (ولا سيّما التعليم والثقافة والأرض والتخطيط) في سبيل هدف واحد هو «قمع التطلّعات السياسيّة للمجتمع العربيّ في إسرائيل» على حدّ تعبير المحلّل السياسيّ لصحيفة هآرتس، ورئيس تحريرها الحاليّ، أَلوف بِن (شلحت، 2014، ص 86). فكما أنّ نتنياهو يبتغي القضاء على الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة، فإنّه يسعى إلى القضاء

على التطلّعات السياسيّة للمجتمع الفلسطينيّ من خلال ضرب كلّ تعبير عن توجّهات وطنيّة فلسطينيّة، وكانت ذروة هذه العمليّة إخراج الحركة الإسلاميّة برئاسة الشيخ رائد صلاح عن القانون وملاحقة واعتقال أفرادها وقيادتها (شحادة وشلحت، 2017).

وأشار أَلوف بِن إلى أنّه على الرغم من أنّ تصعيد التوتّر الداخليّ مع الفلسطينيّين في إسرائيل يقترن، على وجه العموم، بعدد من الوزراء في حكومة نتنياهو، ليس هؤلاء جميعًا أكثر من مجرّد حاملين للراية، ويختبئ وراءهم رئيس الحكومة نتنياهو، مشدِّدًا على أنّ هذا الأخير هو المبادر والمحرّك لهذه السياسة، على الرغم من أنّه يقلّل من الحديث حول الموضوع ومن التحريض ضدّ العرب. التوجّه الذي غيّره نتنياهو في فترة حكومته الحاليّة أنّه أخذ يتصدّر التحريضَ والهجوم على الفلسطينيّين في إسرائيل والتحريض على قيادتهم، بعد أن كان قَبلًا يختبئ وراء وزرائه وأعضاء حزبه الذين كانوا يتصدّرون هذا المشهد.

وأوضح أَلوف بِن قائلًا: «نتنياهو يرى أنّ إسرائيل هي جزء لا يتجزّأ من الغرب وثقافته. وتاريخ العرب وثقافتهم ولغتهم تلك كلّها لا تثير فضوله، وهو لا يُجري حِوارًا مع قادة الأقلّيّة العربيّة أو مع مثقّفين عرب». وأضاف يقول: «وَفقًا لِما هو معروف، نتنياهو لا يكره العرب ولا يتحدّث عنهم بصورة عنصريّة واستعلائيّة مثل أريئيل شارون، وإنّما يبتعد عنهم فقط». وهو أمر -كما ذكرنا- تبدّل في فترة حكومته الحاليّة.

يواجه الفلسطينيّون في إسرائيل، في العَقد الأخير، مجموعة من التحدّيات السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، من شأنها تحديد وُجهة وملامح مستقبل المجموعة الفلسطينيّة التي بقيت في وطنها في

أعقاب النكبة الفلسطينيّة وحملت الجنسيّة الإسرائيليّة. ولعلّ أبرز هذه التحدّيات الراهنة هو سعي الحكومة الإسرائيليّة إلى تغيير "قواعد اللعبة" السياسيّة التي تبلورت منذ التسعينيّات بهدف ترسيم حيّز الحراك السياسيّ لدى الفلسطينيّين في الداخل من جديد، وتجديد سياسات الضبط والسيطرة تجاههم بما يلائم أَجِنْدة الحكم التي فرضها تصاعُد قوّة اليمين الشعبويّ والدينيّ وتعاظُم سطوة حركة الاستيطان. مع التأكيد أنّ قوانين أو قواعد اللعبة السياسيّة هذه لم تكن عادلة في شكلها وجوهرها، من المهمّ الإشارة إلى أنّ الفلسطينيّين خاضوا نضالًا سياسيًّا ومدنيًّا لتوسيع مجال العمل السياسيّ، وتحرّكوا ضمن قوانين اللعبة لمواجهة السياسات الإسرائيليّة الرامية إلى تضييق هذا المجال ونزع الشرعيّة عن شخوصه وأهدافه.

وفي ذات السياق، تسعى الحكومة الإسرائيليّة إلى النَّيْل من الإنجازات التي حقّقها الفلسطينيّون في العقود الأخيرة، ولا سيّما في ما يتعلّق بمَأْسسة وتكريس إجماع فلسطينيّ حول تحدّي طابع الحركة الصهيونيّة وجوهر الدولة اليهوديّة القائمَيْن على التوسّع والمحو والفوقيّة، وفي هذا السياق يندرج تشريع قانون القوميّة في تموز 2018. حول هدف قانون القوميّة، يقول عزمي بشارة في مقاله «قَوْمَنة اليهوديّة بعد تطييف العروبة»:

> *«ومع أنّه ورد في ما يسمّى 'إعلان الاستقلال'، جاء حذف لفظ المساواة من الاقتراح، تأكيدًا للتناقض بين هذه القيمة، من جهة، والطبيعة الاستعماريّة للكيان هذا وتحديده كدولة يهوديّة، من جهة أخرى. {...} يؤكّد اقتراح القانون أنّه لا توجد حقوق قوميّة لغير اليهود في إسرائيل، وهو الذي عبّرنا عنه في شرحنا مطالب العرب في الداخل بحقوق قوميّة،*

وليس مدنيّة فقط. كما يعترف ضمنًا باستحالة المساواة، وذلك بتغييبها من اقتراح القانون. وهي القيمة التي تشدّقت بها وثيقة الاستقلال، حينما كانت إسرائيل، في بداياتها، تبحث عن قبول دولي بعد احتلال الأرض، وتشريد أغلبيّة سكّانها الأصليّين، وهو ما اصطلح الفلسطينيّون على تسميته النكبة. لم تعد ثمّة حاجة إلى فضح التناقض بين إسرائيل وديمقراطيّاتها، ولا تَعارُضها مع المساواة، فكرًا وممارسة، إذ إنّها تصرّح بذلك بلا مواربة، بل تتبنّاه دستوريًّا» (بشارة، 2014).

من خلال هذا القانون وقوانين وممارسات أخرى، تحاول الحكومة الإسرائيليّة حسم مكانة الفلسطينيّين في إسرائيل عبْر سلسلة من الخطوات المتراكمة والسريعة والحثيثة التي ترمي إلى خفض سقف العمل السياسيّ إلى أدنى مستوى، وضرب الخطاب السياسيّ المناهض للسياسات الكولونياليّة الإسرائيليّة عبْر اعتماد تصنيفات استعماريّة على غرار المعتدل والمتطرّف، والقيادة المحلّيّة والقيادة الوطنيّة، والخطاب المدنيّ والخطاب الوطنيّ، وكأنّ الخطابين على طرَفَيْ نقيض وفي حالة تصارع أو توتّر. علاوة على ذلك، لجأت الحكومة الإسرائيليّة إلى الملاحقة السياسيّة ونزع الشرعيّة القانونيّة عن حركات ومؤسّسات وقيادات سياسيّة فلسطينيّة، ولعلّ قرار حظر الحركة الإسلاميّة هو أوضح مؤشّر على هذا التوجّه.

خاتمة

من صراع قوميّ إلى صراع حضاريّ

خاتمة

من صراع قوميّ إلى صراع حضاريّ

رمى البحث الحاليّ إلى تقديم قراءة تحليليّة لبنيامين نتنياهو، فكره، أيديولوجيّته وسلوكه السياسيّ. انطلق نتنياهو في صياغة منظومته الفكريّة من المقولات التأسيسيّة للفكر الصهيونيّ عمومًا، ومن فكر اليمين التنقيحيّ على وجه الخصوص. ولم تكن أفكاره في العموم منسلخة عن هذه الأرضيّة السياسيّة والفكريّة. فهو كولونياليّ (أي استعماريّ - استيطانيّ) في تعاطيه مع الفلسطينيّين ومع القضيّة الفلسطينيّة وحقّ تقرير المصير للشعب الفلسطينيّ. وفكره استشراقيّ قديم وتقليديّ في مقاربته للشعوب العربيّة والإسلام والثقافة العربيّة - الإسلاميّة. وهو يحمل توجّهًا تسلّطيًّا في الممارسة السياسيّة. ولكن في هذه المسائل الثلاث، لا نجد أنّ نتنياهو يختلف عن مُجْمَل الفكر الصهيونيّ، مع إدراكنا لمدى وعمق التباين الذي أنتجه المشروع الصهيونيّ في صفوف اليهود في فلسطين والعالم. بَيْدَ أنّ نتنياهو يقدّم مدماكًا جديدًا للفكر الصهيونيّ، يتمثّل في اعتباره أنّ الصراع الذي خاضته الحركة الصهيونيّة مع الفلسطينيّين والعرب لتنفيذ مشروعها في فلسطين هو جزء من صراع حضاريّ تاريخيّ ودينيّ بين الحضارة الغربيّة التي تعتمد على التراث المسيحيّ - اليهوديّ، والحضارة العربيّة - الإسلاميّة التي تعتمد على الإسلام. وبناء على هذه المقاربة الحضاريّة، فإنّ الحركة الصهيونيّة لم تحمل مشروعًا تحديثيًّا فحسْب للشعب الفلسطينيّ في وطنه، كما زعمت الحركة الصهيونيّة، بل هي رأس الحربة في الصراع الحضاريّ مع العرب والمسلمين.

لا تنفصل المميّزات العامّة لنتنياهو الكولونياليّ الاستشراقيّ السلطويّ عن هذه المقاربة الحضاريّة للصراع؛ إذ إنّ جميع هذه المميّزات هي جزء من الصراع الحضاريّ الذي يؤطّره نتنياهو. فالمشروع الكولونياليّ الصهيونيّ في فلسطين كان يبتغي تأسيس دولة غير عربيّة وغير إسلاميّة في قلب المنطقة العربيّة – الإسلاميّة، ممّا أحدث صدمة حضاريّة وتاريخيّة جديدة للعرب والمسلمين تنضاف إلى الصدمة الكبيرة من انهيار الحضارة العربيّة – الإسلاميّة، وصعود الحضارة الغربيّة. لذا فإنّ حقد العرب والمسلمين على اليهود وإسرائيل ليس نابعًا من وجود هذه الدولة فحسب، بل هو عداء للحضارة الغربيّة التي زرعت هذا المشروع في المنطقة العربيّة – الإسلاميّة، ومن ثَمّ فعداء العرب والمسلمين لإسرائيل هو جزء من عدائهم للحضارة الغربيّة.

ويرتبط الجانب الاستشراقيّ في فكر نتنياهو بتأطيره للصراع الحضاريّ، من خلال ادّعائه المثابر في كتبه أنّ الثقافة العربيّة والإسلاميّة هي نقيض الثقافة الغربيّة؛ فالثقافة العربيّة في جوهرها عنيفة، والإسلام غير متسامح مع الآخرين، والشعوب العربيّة لا تقبل الولاء إلّا للقبيلة، والديمقراطيّة لا يمكن أن تكون نظامًا سياسيًّا في المجتمعات العربيّة. في هذا الصدد، لا بدّ من التأكيد أنّ الاستشراق الذي يتبنّاه نتنياهو كأداة تحليل ومقاربة للعرب والمسلمين هو من نوع الاستشراق الذي ارتبط بالكولونياليّة في القرن التاسع عشر (سعيد، 2017)؛ فليست كلّ الدراسات الاستشراقيّة كولونياليّة، ولا سيّما تلك التي تطوّرت في النصف الثاني من القرن العشرين. المقاربة الاستشراقيّة لنتنياهو ليست دعائيّة في خدمة مشروع سياسيّ. بل هي مقاربة استشراقيّة تبغي طرح وجود التناقض بين الحضارة

العربيّة – الإسلاميّة والحضارة الغربيّة، وأنّ الصراع بينهما هو صراع متجذّر وأبديّ، ولا يقبل التسوية. لذا، فإنّ الحلّ لهذا الصراع يكون من خلال تبنّي العرب والمسلمين الحضارة الغربيّة، وفي مركزها دولةُ إسرائيل والمشروع الصهيونيّ اللذان هما نتاجُ هذه الحضارة وأحدُ أسسها.

وتعبّر سلطويّة نتنياهو عن مركزيّته الشخصيّة في هذا الصراع. فهو لا يحمل دَوْرًا في رئاسة حكومة إسرائيل فحسب، بل هو زعيم الشعب اليهوديّ، وأكثر قيادات الحضارة الغربيّة فهمًا وإدراكًا لجوهر الصراع، ممّا يؤهّله أن يكون قائد هذه الحضارة في صراعها مع الحضارة العربيّة – الإسلاميّة. لذا يتعامل نتنياهو بأستاذيّة مع نظرائه في الغرب، فهو يقرّعهم لعدم فهمهم طبيعة وجوهر الصراع، ومن لا يتّفق مع مقاربته للصراع يكون إمّا ساذجًا أو معاديًا للساميّة؛ وذلك أنّ السُّذّج أو المعادين للساميّة هم من لا يقبلون ولا يفهمون هذه المقاربة. وتتمثّل تسلّطيّة نتنياهو في الحقل السياسيّ الإسرائيليّ، عبر النظر إلى نفسه على أنّه مخلّص للشعب اليهوديّ، وأنّه أكثر القيادات والشخصيّات الإسرائيليّة إدراكًا ودراية للتحدّيات التي تواجه إسرائيلَ والشعبَ اليهوديّ؛ فهو لا يحكم إسرائيل، بل يضحّي من أجلها، والتضحية هي أعلى درجات القداسة، فهو نذر نفسه لخدمة الشعب اليهوديّ، ومنصبه كرئيس لحكومة «إسرائيل» هو دَوْر تاريخيّ ومقدّس، ومن هنا فإنّ الهجوم عليه، ومحاولة تجريده من مرتبة القداسة والتاريخيّة، هما خيانةٌ للشعب اليهوديّ، وإنذارٌ بالسقوط في الهاوية، وهي تشير إلى كلّ محاولة للسيطرة والهيمنة على الحقل السياسيّ والاجتماعيّ في «إسرائيل»، وتبرّر محاولة تقييد كلّ من يحاول إسقاطه أو زعزعة

مكانته، لأنّ محاولات إسقاطه أو زعزعة مكانته هي تهديدٌ للشعب اليهوديّ، وتَهاوُنٌ في الصراع الحضاريّ القائم بين الغرب والحضارة العربيّة – الإسلاميّة.

تأطير الصراع بين المشروع الكولونياليّ الاستيطاني الصهيونيّ في فلسطين، والحركةِ الوطنيّة الفلسطينيّة، ضمن منظومة صراع الحضارات، يتضمّن مقولة أنّ هذا الصراع غير قابل للحلّ. في الصراع الحضاريّ، يكون الحلّ بتغييب أحد أطراف الصراع جسديًا أو بتغييبه حضاريًا. وبما أنّ حسمه بالإبادة غير وارد، حسب نتنياهو، من طرف الحضارة الغربيّة، ولكنّه مشروع في الحضارة العربيّة – الإسلاميّة، فإنّ الحلّ المثاليّ في هذا الصراع هو نفي هذه الحضارة عن حامليها. وفي سياق المشروع الفلسطينيّ المُعادي للمشروع الصهيونيّ، كجزء من الحضارة الغربيّة، فإنّ الحلّ يكون بتقبُّل الفلسطينيّين الروايةَ الصهيونيّة للصراع، وبالخضوع للمشروع الصهيونيّ والإقرار بأحقّيّته التاريخيّة والسياسيّة والدينيّة والأخلاقيّة في فلسطين وعليها. لهذا، عندما يطرح نتنياهو أنّ جوهر الصراع يكمن في عدم الاعتراف بالدولة اليهوديّة لا في الاحتلال، فإنّه ينسجم مع هذا التأطير الذي يطرحه للصراع. ولذا، فمن جانبه يمكن الوصول إلى حلّ للصراع باعتراف الفلسطينيّين بالدولة اليهوديّة، لا ككيان سياسيّ واقعيّ، بل كمشروع له شرعيّة وصدقيّة أخلاقيّة وتاريخيّة. ومطلب الاعتراف بالدولة اليهوديّة لا ينحصر في الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة والشعب الفلسطينيّ في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة عام 1967 والشتات فحسب، وإنّما يشمل اعتراف المواطنين الفلسطينيّين بإسرائيل في مناطق عام 1948، وما ينطبق على الفلسطينيّين يجب أن يسري، وَفق منطق نتنياهو، على

العرب والمسلمين. والمقصود بهذا أنّ بداية الانتصار الحضاريّ للغرب على الحضارة العربيّة - الإسلاميّة تتحقّق باعتراف هذه الحضارة بالمشروع الصهيونيّ، حيث إنّها بهذا الاعتراف تنفي جوهرها، فضلًا عن أنّ اعتراف الفلسطينيّين بهذا المشروع ينفي المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ. ومن هنا تنبع رؤية نتنياهو بشأن مركزيّة التحالف بين الغرب والمشروع الصهيونيّ، في الصراع المشترك مع الحضارة العربيّة - الإسلاميّة، ابتغاء الانتصار عليها، ولكن تبقى المشكلة -بحسب رأيه- في أنّ هنالك «قلائل فقط في الغرب عارفين بجذور هذا الصراع».

المَراجع

إدوارد سعيد. (2017). الاستشراق: المفاهيم الغربيّة للشرق. (محمّد عناني، المترجمون) القاهرة: دار رؤية.

أرييل كهانا. (15 كانون الثاني، 2017). نتنياهو عال ڤعيدات پاريس: پرْپُوريم أَحَرُونيم لَعولام شيل إتْمُول (نتنياهو عن مؤتمر پاريس: سَكَرَاتُ عالم الأمسِ الأخيرةُ). جرى الاسترداد مَن nrg: http://www.nrg.co.il/online/1/ART2/857/270.html

أڤنر بنْزَكين. (23 نيسان، 2015). هآڤ هَبين ڤِـرُوح هَكَتَسْطْروفا (الأب، الابن وروح المأساة). جرى الاسترداد من هآرتس: https://www.haaretz.co.il/opinions/.premium-1.2620283

ألوف بن. (7 كانون الأوّل، 2017). طرامپ هعنيك لنتنياهو نِتْسَحُون بمَأْڤَكو لريسُوك هَلئوميُوت هَفَلَسْطِينيت (ترامْپ مَنَحَ نتنياهو فوزًا في صراعه للقضاء على الوطنيّة الفلسطينيّة). جرى الاسترداد من هآرتس: https://www.haaretz.co.il/news/politics/.premium-1.4673676

ألون عيدان. (13 كانون الثاني، 2017). نتنياهو سُونِي إتْ هَيِسْرائيليم (نتنياهو يكره الإسرائيليّين). موساف هآرتس، ص 8.

إمطانس شحادة، وأنطوان شلحت. (2017). إسرائيل: الملاحقة الأمنيّة كأداة سياسيّة: فلسطينيّو 48 بين فكّي الملاحقة الأمنيّة لرموز الوعي القوميّ وتجريم العمل السياسيّ. الناصرة: التجَمّع الوطنيّ الديمقراطيّ.

أمير تيبون. (30 كانون الثاني، 2017). نتنياهو سيّير لِيادْ هَچَدير شمُوكيمت عِمْ يَرْدين، "مچينيم عَلْ هَڤيلا محَيُوت طِيرفْ» (نتنياهو تجوَّلَ عند الجدار التي تقام مع الأردن: ندافع عن الڤيلا من الحيوانات المفترسة). جرى الاسترداد من Walla: http://www.pmo.gov.il/MediaCenter/Speeches/Pages/speechUN011015.aspx

أنطون شلحت. (2014). بنيامين نتنياهو وعقيدة اللاحل. رام الله: مركز مدار: المركز الفلسطينيّ للدراسات الاسرائيليّة.

أودي ليبل. (2007). هديرخ إلى پَنْتيئُون: إيتْسِلْ، ليحي أُجْفُولُوت هَزكَرُون هَيسرائيلي (الطريق إلى مدفن عظماء الأمّة: الإيتسل والليحي وحدود الذاكرة الإسرائيليّة). القدس: كرمل.

أورْلي أزولاي-كاتس. (1999). هَئيش شنتْسيح إتْ عَتْسْمُو: بحيروتْ 1999 (الرجل الذي انتصر على ذاته: انتخابات 1999). تَل أبيب: يديعوت أحرونوت.

أُورن نَهاري. (11 آب، 2017). نتنياهو أُطْرامپ، هَتئُوميم هَكمْعاطْ زيهيمْ (نتنياهو وترامپ توأمان متشابهان تقريبًا). جرى الاسترداد من: news.walla: https:// news.walla.co.il/item/3088161

أوري رام. (2017). سوسيولوچيا بيمي نتنياهو: مچمُوت بكُورْتيُوت بَسُوسْيُولوچيا هَيسْرائيليت بتْحيلات هَمئاه 21 (علم الاجتماع في عهد نتنياهو: توجّهات نقديّة في علم الاجتماع الاسرائيليّ في بداية القرن الـ21). مِچمُوت (توجّهات)(2)، ص.ص 13-68.

أوري مسچاف. (11 كانون الأوّل، 2013). نتنياهو لُو تشرتشل، شامير (نتنياهو ليس تشرتشل، بل شامير). جرى الاسترداد من هآرتس: https://www.haaretz.co.il/ blogs/misgav/.premium-1.2187920

باروخ كيمرلينچ. (2001). كِيتْس شِلْطُون هَأَحوساليم (نهاية حكم الهيمنة الإشكنازيّة). القدس: كِيتِرْ.

باروخ ليشِم. (2017). نتنياهو: بيتْ سيفرْ لشيڤوق پوليطي (نتنياهو: مدرسة في التسويق السياسيّ). تل أبيب: منشورات مِطِر.

براك رڤيد. (14 تشرين الأوّل، 2016). نتنياهو لكَتْسين بيشيڤا ديپلوماتيت: إينْ تْسُورخْ لفْكيدي مسْرادْ هَحُوتْس، أني پُوه (نتنياهو لضابط في جلسة دبلوماسيّة: لا حاجة إلى موظّفي وزارة الخارجيّة، أنا هنا). هآرتس، ص 5.

برنارد لويس. (1987). طِرُورْ إسلامي؟ (إرهاب إسلاميّ؟). تأليف بنيامين نتنياهو، هَطِرُورْ: كيتْسادْ يَخُولْ هَمَعْراڤ لنَتْسيحْ (الإرهاب: كيف يستطيع الغرب أن ينتصر؟) (ص.ص 85-89). تل أبيب: سِفْرياتْ معاريف.

بنْ كَسْپيت، وإيلان كفير. (1997). نتنياهو: هَديرِخْ إلْ هَكُوح (نتنياهو: الطريق إلى السلطة). تل أبيب: ألفا تِكْشُورِتْ.

بِنْتْسيُون نتنياهو. (1982). ميكومو شِلْ جابوتنسكي بِتُولْدُوت يِسْرائيل (موقع جابوتنسكي

في تاريخ إسرائيل). حيفا: جامعة حيفا.

بِنْتْسِيُون نتنياهو. (1987). طِرُورِسْت ڤْلُوحَمي حُوفِشْ (الإرهابيّ ومحاربو الحرّيّة). تأليف بنيامين نتنياهو، هَطِرُور: كيْتْسادْ يُوخالْ هَمَعَراڤ لِنَتْسيح (الإرهاب: كيف يستطيع الغرب ينتصر؟) (ص.ص 53–58). تل أبيب: سِفْرِيَاتْ معاريف.

بِنْتْسِيُون نتنياهو. (2003). حَمِيشِتْ آڤُوتْ هَتْسِيُونُوتْ (آباء الصهيونيّة الخمسة). تل أبيب: يديعوت أحرونوت.

بنيامين نتنياهو. (1987). هَطِرُور: كيْتْسادْ يِنَتْسْحُو مِشْطَرِيم ديمقراطييم إِتْ هَطِرُور (الإرهاب: كيف تنتصر الأنظمة الديمقراطيّة على الإرهاب). تل أبيب: معهد يونتان.

بنيامين نتنياهو. (1996). مِلْحَماه بطِرُور: كيْتْسادْ يَڤيسُو هَمِشْطَرِيم هَدمقراطييم إِتْ هَطرور هَمكُومي ڤَئِتْ هَطِرُورْ هَبَيْنْلئُومي (الحرب على الإرهاب: كيف تهزم الأنظمة الديمقراطيّة الإرهاب المحلّيّ والإرهاب الدوليّ). (باروخ كوروت، المترجمون) تل أبيب: يديعوت أحرونوت.

بنيامين نتنياهو. (1999). مكان تحت الشمس (الإصدار الرابع). (محمّد الدويري، المترجمون) عمّان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينيّة.

بنيامين نتنياهو، وعيدو نتنياهو. (1978). مِخْتَڤِي يوني (رسائل يوني). تل أبيب: سِفْرِيات معاريف.

بوعز بيسموط. (2 تشرين الأوّل، 2015). هَعُولامْ أُوهِيڤْ أَشْلَيُوت، نتنياهو تِيئِيرْ إِتْ هَمْتْسئوت (العالم يحبّ الأوهام، نتنياهو وَصَفَ الواقع). جرى الاسترداد من يِسْرائِيل هَيُوم: http://www.israelhayom.co.il/article/317869

تْسِڤِي بارئيل. (23 كانون الأوّل، 2015). دْڤاريم شِنِتنياهو يَخُولْ لِلْمُود م أَرْدوان (الأمور التي يمكن لنتنياهو أن يتعلّمها من أردوچان). جرى الاسترداد من هآرتس: https://www.haaretz.co.il/opinions/.premium-1.2804231

حامي شاليف. (3 كانون الثاني، 2018). سُوفُو هَنِكْسُوني شِلْ نتنياهو (نهاية نتنياهو النِكْسُونيّة). هآرتس، ص 2.

داليا كارپل. (30 أيلول، 2016). حُوشِخْ عَلْ پْنِي تِهُوم (ظلمة على سطح الهاوية). هآرتس، ص.ص 37–44.

داني ڤيلك. (2006). پوپوليزم ڤِهَجِمُونْيا بِيِسْرائيل (الشعبويّة والهَيْمَنة في إسرائيل).

تل أبيب: ريسلينج.

دورون ماتسا. (1 كانون الثاني، 2018). نتنياهو بِعِكْڤُوتْ بِنْ چوريون (نتنياهو في أعقاب بنْچوريون). هآرتس، ص 13.

رافِد أَحيا. (21 تشرين الأوّل، 2015). نتنياهو: هتلر لُو رَتْساهْ لهَشْميدْ بشْعَتُو إتْ هَيِهُودِيمْ، الحسيني شِخْنِيع، هِسْتُورْيُونِيمْ: لُو نَخُونْ (نتنياهو: هتلر لم يرغب بإبادة اليهود في ذلك الوقت، الحسيني أقنعه، مؤرّخون: غير صحيح). جرى الاسترداد من Ynet: https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4714274,00.html

روچل ألبير. (30 تشرين الأوّل، 2017). هَسِيروس هِعَتْسْمِي شِلْ يَئِير (تَشَظّي يَئير الذاتيّ). هآرتس، ص 30.

رونيت ڤيردي. (1997). بيبي- مي أَتاه أَدُونِي رُوشْ هَمِمْشَلاهْ؟ (بيبي- من أنت، سيّدي رئيس الحكومة؟). تل أبيب: منشورات كِيتِر.

سامي پيرتس. (27 كانون الأوّل، 2017). هُوْ مِشِيلانُو؟ (أَهُوَ واحد منّا؟). هآرتس، ص 2.

سامي شالوم-شطريت. (25 أيّار، 2017). راك چَبّاي يَخُول لِنَتْسِيح إتْ نتنياهو (فقط چَبّاي يستطيع أن يهزم نتنياهو). جرى الاسترداد من هآرتس: https://www.haaretz.co.il/opinions/.premium-1.4124196

سمدار شمولي. (11 تشرين الثاني، 2000). ليئا رابين هَلْخاه لِعُولَماه بِڤِيتْ حُولِيمْ بيلِنْسُون (ليئا رابين توفّيت في مستشفى بيلنسون). جرى الاسترداد من: Ynet: https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-182308,00.html

سيچل چلنطي. (2007). إِلِيطُوت پوليطيوت بيمين هَمَپاه- هَلِيكود (نُخَب سياسيّة على يمين الخارطة- اللِّيكود). تأليف إليعيزِر بن-رفائيل، بنيامين نوُيْبرچر، حاڤا عتسيوني-هَليڤي، وَچابي شيفر، إِلِيطُوت حَدَشُوتْ بِيِسْرائيل (نخب جديدة في إسرائيل) (ص.ص 43-70). القدس: موساد بيالك.

شيري طال-لاندمان. (2010). هَمِشْتَنِيه هَحَمِيشِي: هَدْرِيشاه بِهَكَرَا بيسْرائيل كِمْدِيناه يِهُودِيتْ (العامل الخامس: المطلب بالاعتراف بإسرائيل كدولة يهوديّة). مجلّة عِدكان إستراتيجي، 3(3)، ص.ص 135-121.

طوڤ بار-سيمان. (2010). حَسامي هَشَلُومْ بَسِخْسُوخْ هَيِسْرائيلي عَرِڤِي (عوائق السلام في الصراع الإسرائيليّ العربيّ). القدس: معهد القدس للدراسات الإسرائيليّة.

عدي عرمون. (2016). عيدان نتنياهو- بن تسيون نتنياهو (عهد نتنياهو- بنْتْسيُون نتنياهو). جرى الاسترداد من مولاد- همركز لهتحدشوت هَدمقراطْيا (مولاد- مركز التجدُّد الديمقراطيّ): www.molad.org/images/upload/files/netanya-hu.pdf

عدي عرمون. (29 أيلول، 2017). أَدُونِي هَيَاه بِشْفِيلِي أَڤِي هَشِنِي (سيّدي كان بالنسبة إليّ والدي الثاني). هآرتس تربوت، ص 4.

عزمي بشارة. (2005). من يهوديّة الدولة حتّى شارون: دراسة في تناقض الديمقراطيّة الإسرائيليّة. القاهرة: دار الشروق.

عقري إليني. (27 تشرين الأوّل، 2017). كوربان، تودا (أيّتها الضحيّة، شكرًا). ملحق هآرتس، ص 44.

عوفر نوردهايمر. (8 كانون الأوّل، 2016). ديمقراطْيا سَمْخُوتَنيت: مَدْرِيخْ شِيمُوش (ديمقراطيّة سلطويّة: مرشد للاستعمال). هآرتس، ص 15.

عيدو نتنياهو. (2011). هَكْراف هَأَحَرُونْ شِلْ يوني (معركة يوني الأخيرة). تل أبيب: يديعوت أحرونوت.

چادي بلوم، وَنير حيفتس. (2005). هَرُوعِيه: سِيپور حَيَاڤ شِلْ أريئيل شارون (الراعي: قصّة حياة أريئيل شارون). تل أبيب: يديعوت أحرونوت.

كيرن نويبخ. (1996). بحيروت 1996 (انتخابات 1996). تل ابيب: يديعوت احرونوت.

ليرن چڤعولي. (3 نيسان، 2015). نتنياهو هُوْ تشرتشل همودرني (نتنياهو هو تشرتشل الجديد). جرى الاسترداد من معاريف: http://www.maariv.co.il/journalists/journalists/Article-470578

ليئور دطال. (1 كانون الأوّل، 2017). أَنِي، ڤِچام هَمدِيناه: شَناه عالْ فيس بوك شِلْ نتنياهو (أنا، وأيضًا الدولة: سنة على صفحة نتنَيَاهو في الفيس بوك). ذا-ماركر، ص.ص 10-11.

محمّد سعدي. (2006). مستقبل العلاقات الدوليّة من صراع الحضارات إلى أَنْسَنة الحضارة وثقافة السلام. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة.

مهنّد مصطفى. (2013). الإستراتيجيّة الإسرائيليّة التفاوضيّة (2009-2012) نصف تسوية ونصف مصالحة. المجلّة العربيّة للعلوم السياسيّة، ص.ص 147-163.

مهنّد مصطفى. (2015). الأصول الاجتماعيّة - الإثنيّة للانقسام السياسيّ في انتخابات

الكنيست العشرين. مجلّة الدراسات الفلسطينيّة، ص.ص 134–147.

مهنّد مصطفى. (2016). الإنتاج المعرفيّ الإسرائيليّ عن الربيع العربيّ: بين التوجّه الأيديولوجيّ والأداة الاستشراقيّة. سياسات عربيّة (18)، ص.ص 186–195.

مهنّد مصطفى. (2017). المسجد الأقصى "ميدان تحرير" في القدس. مجلّة الدراسات الفلسطينيّة (112)، ص.ص 158–163.

نديم روحانا. (2004). المصالحة في النزاعات القوميّة المستمرّة: القوّة والهُويّة في الحالة الإسرائيليّة – الفلسطينيّة. مجلّة الدراسات الفلسطينيّة، 15(57)، ص.ص 62–84.

نير حاسون. (19 آذار، 2012). هَفَنچليم حِكّو لنتنياهو كْمُو شمحَكِّيم لَمَشيح (الأنجليكيّون انتظروا نتنياهو وكأنّهم ينتظرون المسيح). هآرتس، ص 5.

يتسحاق چلنور، ودانا بلاندر. (2013). هَمَعَريخِتْ هَپوليطيت بيسْرائيل (الجهاز السياسيّ في إسرائيل) الجزء الثاني. تل أبيب: هَمَخُون هَيِسْرائيلي لِديمقراطيا (المعهد الإسرائيليّ للديمقراطيّة).

يردين ميخائيلي. (30 كانون الثاني، 2017). حَزاق بِفْنِي هَچُولْشيم (قويّ أمام المتصفّحين). هآرتس، ص 3.

يسرائيل هرئيل. (29 كانون الأوّل، 2017). بيني كَتْسُوبير، ممَنْهيچي هَتّحياه: نتنياهو شِدّيل إتْ هَمفلَچاه لِفْرُوش ممِمْشيلِتْ شامير بِـ 1992 (بيني كَتْسُوبير من قيادات هَتّحياه: نتنياهو طالب من حزب هتحيا الخروج من حكومة شامير في العام 1992). جرى الاسترداد من هآرتس: https://www.haaretz.co.il/news/politi/.premium-1.5516834

يهونتان ليس. (10 تشرين الأوّل، 2017). نتنياهو: هَحَشْمُونائيم عَمْدُو 80 شَناه، عَلينُو شِنَقْطيحْ شِنَحَچُوچ 100 (نتنياهو: الحشمونائيم صمدوا 80 عامًا، علينا أن نضمن أن نحتفل 100). هآرتس، ص 1؛ ص 4.

يوناتان منديلوف. (1999). هَمَأَڤاك هَكَفُول شِلْ هَليكود: بين پَطيش لَسَدان (الصراع المزدوج لدى الليكود: بين المطرقة والسندان). تأليف آشار أريان، وميخال شامير، هَبحيرُوتْ بيسْرائيل- 1996 (الانتخابات في إسرائيل- 1996) (ص.ص 233–262). القدس: هَمَخُون هَيِسْرائيلي لِديمقراطيا.

يوناتان منديلوف. (2001). هَليكود بِڤْحِيروتْ 1999: ميرُوتس إِلْ تُوخ هَكِشَلُون

(الليكود في انتخابات 1999: السباق صوب الفشل). تأليف أريان أشار، وميخال شامير، هَبحيُروت بيسّرائيل- 1999 (الانتخابات في إسرائيل 1999) (ص.ص 283-314). اَلقدس: هَمَخُون هَيسّرائيلي لِديمقراطيا.

المراجع الإنجليزيّة:

Ben Caspit .(2017) .The Netanyahu Years .New York: Martin`s Press.

Benjamin Netanyahu. (1993). A Durable Peace: Israel and Its Place Among the Nations. New York: Warner Books Editions.

Greenberg, J. (2015, December 11). War of Words: The Fight over `Radical Islamic Terrorism`. Retrieved from Political Fact:www.politicalfact.org/truth-o-meter/article/2015/dec/11/war-words-fight-over-redical-islamic-terrorism

Kimhi, S. (2001). Benjamin Netanyahu: A Psychological Profile Using Behavior Analysis. Profiling Political Leaders. In O. Feldman, & L. Valenty, Cross-Cultural Studies of Personality and Behavior (pp. 149-164). Westport: Greenwood Publishing Group.

Neill Lochery. (2016). The Resistible Rise of Benjamin Netanyahu. New York: Bloomsbury Publishing.

Netanyahu, B. (1968). Don Isaac Abravanel: Statesman and Philosopher (second edition ed.). Philadelphia: The Jewish Publication Society of America.

Samuel Huntington. (1993). The Clash of Civilization? Foreign Affairs 72(3). 22-49..

Samuel Huntington. (1996). The Clash of Civilizations and the Remarking of World Order. New York: Simon and Schuster.

Shaul Kimhi، Sagit Yehoshua، و Yarden Oliel. (2017). Behavior Analysis of Benjamin Natanyahu in 1999 and 2017: What has Changed? Annals of Psychiatry and mental Health5(5)، 1-10..

Thomas Mitchell. (2015). Likud Leaders: The lives and Careers of Menahem Begin, Yitzak Shamir, Benjamin Netanyahu and Ariel Sharon. North Carolina: McFarland and Company Publishers.

Weber, M. (1978). Economy and Society. Berkeley: University of California Press.

Yael Aronoff. (2014). The Political Psychology of Israeli Prime Ministers: When Hard-Liners Opt for Peace. New York: Cambridge University Press.